عبد الحكيم عبد الغني قاسم

المذاهب الصوفيه ومدارسها

- المدارس الصوفية
- المدرسة العدوية
- المدرسة البغدادية
- المدرسة البصرية
- المدرسة الرفاعيه
- المدرسة البدويه
- المدرسة القنائيه
- المدرسة الشاذليه

مكتبة مدبولي

عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم

المذاهب الصوفية ومدارسها

١٩٨٩

الناشر

مكتبة مدبولي

ت: ٧٥٦٤٢١



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ملهم النفوس ومربيها ـ الهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها ـ وقد خاب من دساها أرسل رسله لهداية البشر واخراج الناس من ظلمات الضلالة الى نور الهداية .

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد ﷺ الذى كان يدعو ربه فى ضراعة وخشوع قائلا : « اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها . »

ورضى الله تبارك وتعالى عن أصحابه الذين نهجوا نهجه فزكت نفوسهم وسمت أرواحهم ـ فعاشوا فى ظل القرب من ربهم فكانوا قدوة لمن بعدهم فى السير على منهج رسول الله ﷺ فرضى الله عنه ورضوا عنه وبعد :

فان الاسلام حب ومحبة ـ حب لله ولرسوله وحب للجهاد فى سبيل الله بالكلمة الطيبة لانها صدقة وأمر بمعروف ونهى عن منكر .

ومحبة يشع اثرها بين المسلمين فيجنون ثمارها ـ مودة ـ ورحمة ـ وتعاطفا وتعاونا على البر والتقوى . حتى يصبح المسلمون كالجسد الواحد فى شيوع الاحساس بالالام والامال ، وحب الله يتحقق بطاعة الله سبحانه وتعالى ـ وفعل أوامره واجتناب نواهيه ويزداد حب الله فى قلب العبد المؤمن بزيادة الطاعة وفعل النوافل وقد سلك هذا المسلك الرعيل الاول من أصحاب رسول الله ﷺ ـ وتابعهم على هذا المنهج من جاء بعدهم فكانوا خير أمة أخرجت للناس رجالا تؤمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ثم جاء بعد عدة قرون من تاريخ الدعوة الاسلامية ـ رجال التصوف حملوا لواء هذا الحب .

والكتاب الذى بين أيدينا « تأليف الاستاذ عبدالحكيم عبدالغنى محمد قاسم » ونقدمه للقارىء وهو « المذاهب الصوفية ومدارسها » ، نعرض بلمسات من خلق الصوفية ومدارسها وما قامت به هذه المدارس الصوفية فى البلاد العربية والاسلامية بدور الرائد والمساهمة فى تحرير النفس من الهوى والشيطان • والله أسال أن ينفع القارىء بهذا الكتاب لنعود للعمل بالاسلام تطبيقا وسلوكا •

انه نعم المولى ونعم النصير

يوسف محمود أحمد

مدير عام وزارة الاوقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــــــديم

ما زال كل ما نعرفه حتى يومنا هذا عن الصوفية ضئيلا ومحدودا بالمقارنة بما ذكره علماء وفقهاء الصوفية فى كتبهم • وحتى هذا الجزء الضئيل من المعرفة بالصوفية غير معروف الا لفئة متخصصة فى جامعاتنا ويرجع ذلك الى عدم الالمام بمعانى الالفاظ الصوفية لدى الكثير من المتعلمين والمثقفين •••

وكتابى هذا لا يحتوى على تفسير لمعانى الالفاظ الصـــوفية أو توضيح مواجيدهم وليس تأييدا أو معارضة للفكر الصوفى واتجاهاته ومجالاته ومدارسه وعلمائه وفقهائه • وانما هو بداية جديدة من نوعها فى طريق شاق من الصعب أجتيازه بسهولة نحو بحوث كثيرة فى مجال الفكر التربوى الصوفى الاسلامى فى المستقبل •

ولقد دفعنى حبى لله العزيز الحـكيم ولرســوله عليه الصـلاة والسلام وغيرتى على الاسلام كعقيده أمنت بها أن أتحمل تبعة شاقة تشتمل على قراءة كتب الصوفية بأســتيعاب وفهم وحرص شــديد لأتعرف على ما هيه الصوفية وموضوعاتها ومواجيدها ثم قراءة الكتب التى تؤيد فكرهم أو تعارضه سواء كانت هذه الكتب بلغتنا أو بلغـة المستشرقين • وفى النهاية خرجت من هذه القراءات بموضوع كتابى المذاهب الصوفية ومدارسها •

وفى الحقيقة وجدت صــعوبة شاقة من متابعة الفكر الصــوفى التربوى فى كتب الصوفية أو المعارضة والمؤيدة ويرجع ذلك الى ضآلة تلك الموضوعات فى داخل الكتب الصوفية • ولقد دفعنى الله عز وجل أن أحصل على ما أقدمه فى كتابى هذا •

وكانت خطتى فى بحثى ذات محورين أولهما المحور التاريخى الذى يقوم على متابعة الحقائق التاريخية التى أثرت فى هذا الفكر وأدت الى

تطوره • ثم تتبع عـوامل قيام مدارسه خـلال الفترات التاريخيـة ومحاولة ربط هذه الحقائق والعوامل بالقوى الثقافية فى عصره سواء كانت هـذه القوى اجنبية أو اسـلامية • ثم يحلل كل ذلك فى اطار القرآن الكريم والسنه حتى تتيح لنا صورة واضحة شاملة عن الفكر التربوى الصوفى ومدى تطور هذا الفكر خلال العصور المختلفة •

وثانيهما هو المحور الفلسـفى الذى يقوم على تتبع التدمـور الاسلامى للفكر التربوى وهو ما نطلق عليه بمصطلح « الايديولوجية الصوفية التى تشـتمل على عدة نقاط هامة تتركز فى : ــ الزهـد ــ الاستغفار ــ الحب الالهى ــ التوبة ــ الولاية ــ الذكر ــ الأخلاص ــ الجهاد ــ الورع ــ الفقر ــ التوكل ــ المشاهد » •

ومن خلال هذا النقاط نصل الى الفلسفة التربوية الصوفية التى أخذ بها فقهاء الصـوفية فى تربية طـلابهم الذين لعبوا دورا هاما فى المجتمع الاسلامى والذين وقفوا فى وجه اعداء المسلمين حينما تعرضت الدولة الاسلامية لهجماتهم خلال الفترات التاريخية المختلفة •

ويتبع هذا المحور ايضا مدلول معنى التصوف حتى يصـل الى معرفة أصله ونشأته حتى يأخذ القارىء فكرة واضحة عن الصـوفية ويكون معدا لمعرفة الفكر التربوى الصوفى •

فأن كان كتابى هذا قد وفى بما كتبت أرجو له من منفعة للمسلمين والاسلام يكون ذلك فضل وكرم من ربى العزيز القدير قد منحنى اياه ووفقنى خيرا • وان اختلفت مع وجهة نظر القارىء فيه فحسبى اننى اجتهدت ولى أجر عند الله •

وحسبى اننى وضحت الملامح الاساسية للفكر التربوى الصوفى وأضعها أمام نظر الأخرين للقيام ببحوث كثيرة فى هذا الميدان الكبير الصعب • وفقنى الله وأياكم لمنفعة الاسـلام والمسلمين والدعـوة الاسلامية •

عبد الحكيم عبد الغنى محمد قاسم

الباب الأول

* تعاريف الصوفية ومدارسها .
* الديانات وفكرة التصوف .
* الفلسفة اليونانية وأثرها على التصوف .
* الزهد .

الفصل الأول

تعاريف الصوفية ومدارسها

ظهرت بذور التصوف فى سماء الفكر الاسلامى فى بداية القرن الثانى الهجرى على هيئة نزعات شديدة من الزهد فى متاع وزخرف الدنيا نتيجة ما وقع فيه العالم الاسلامى وقتئذ من حوادث شديدة أثرت تأثيرا كبيرا فى جميع جوانب الحياة . وان كان بعض الباحثين يرجع ظهور التصوف الى عاملين هامين أولهما الذنوب التى يقترفها العاصى المسلم ومحاولته محوها بطلب المغفرة من ربه والعامل الثانى يتمثل فى الرعب الشديد الذى ينتاب العصاة من اليوم الأخر وما أعد فيه من عذاب شديد لهم مما يجعلهم يطلبون التوبه من خالقهم والزهد فى الحياة .

ولقد تعددت التعاريف لكلمة التصوف التى وردت فى كتب كل من القشيرى ومذكرة الأولياء لفريد العطار ونغمات الأنس لجامى والتى لا تعطينا معنى شامل مانع لكلمة الصوفية وان كانت هذه التعريفات توضح مدى التطور الذى شمل الفكر الصوفى خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى .

ومن التعريفات أن بعض الباحثين يرى أن هناك صلة قوية بين لفظ صوفى ولباسهم الصوفى الذى كان يميزهم عن بقية المسلمين (١) .

ويعطينا بعض الباحثين تعريفا آخر بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا رعاة للأغنام وأنهم اتخذوا من أوبارها ملابس تقيهم البرد فى الخلاء .

وهذا الخلاء الواسع الفسيح الذى يغمره الهدوء ويشجع على التفكير العميق فى أمور الدنيا وما فيها من متع وزخرف وما فيها من

---

(١) التصوف الاسلامى وتاريخه : ترجمة دكتور ابو العلا عفيفى لجنة التاليف والترجمة ص ٤ طبعه ١٣٨٩ هـ .

شفاء وبلاء وفى النهاية زوالها ، توصل الأنبياء قبل بعثهم الى أممهم بأن هذا الكوكب ومن فيه سائر الى حياة افضل ونعيم مقيم اعده الخالق لعباده المؤمنين قد أدى كل هذا التفكير الى الانقطاع للتأمل والعبادة وللزهد فى الدنيا (١) .

وقد تداولت هذه الكلمة فى القرن الثالث الهجرى ، ويقال ان أول من استعمل لفظ صوفى هو الجاحظ البصرى عندما كان يتكلم عن النساك فى عصره . وان أبو هاشم الكوفى أول من لبس الصوف وأطلق عليه متصوفا لأنه زهد فى الدنيا وما فيها من متع وزخرف ويقول فيه صاحبه نفحات الأنس .

« انه كان أول من تسمى بالصوفى »

ويحبذ جمهرة فقهاء الصوفية ان هناك صلة قوية بين لفظ صوفى وبين أهل الصفة « وهم فقراء المسلمين فى الصدر الأول الاسلامى »قد انقطعوا للعبادة وملازمة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة وعاشوا على صدقات اغنياء المسلمين عليهم وذلك لظروفهم التى وقفت حاجزا عن السعى وراء الكسب المادى والرزق .. ظلوا فى المسجد للعبادة لا يسألون أحدا من المسلمين يحسبهم الناس أغنياء من التعفف حيث ذكر ذلك فى كتاب الله عز وجل .

« للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا » (٢) .

وهناك رأى ثالث يرجعه صاحبه الى العصر الجاهلى أى قبل الاسلام بعدة قرون حيث كان يخدم الكعبة رجلا وهبته أمه فى خدمة البيت الحرام وكان يدعى « الغوث بن بركان » انقطع هذا الرجل للعبادة وخدمة الكعبة والعمل على نظافتها وعنه أخذت قريش فكرة سدنه

---

(١) عبد الرازق نوفل : التصوف والطريق اليه : مطبعة الشعب ص ١٤ .
(٢) البقرة : ٢٧٣ .

الكعبة وقد أطلق عليه « صوفى » وعرف بهذا اللقب طوال حياته ويرى صاحب هذا الرأى أن لفظ التصوف مشتق من أسمه (١) ،

ويقول بعض الباحثين ان كلمة التصوف مشتقة من لفظ الصفاء الذى يعمر قلوب الزهاد ويستدلوا على ذلك بقول أحد المتصوفة وهو أبو الفتح البستى حيث قال :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
ظنــوه مشــــتقا من الصـــــوف

ولست انحل هذا الاســم غير فتى
صافى فصوفى حتى لقب الصوفى (٢)

وقد وصفهم أهل الشام بالفقراء واستندوا على ذلك القول الله عز وجل :

« يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » (٣)

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام .

« يدخل فقراء امتى الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام — وقول أحد المتصوفة وهو سرى السقطى » :

« لا تأخذ من أحد شيئا ولا تسأل أحدا شيئا ولا يكن معك ما تعطى منه أحد شيئا » .

ويقال أنهم سموا بهذا اللقب لتخليهم عن أمـــلاكهم والرغبة فى العيش فقراء (٤) .

---

(١) التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق : دكتور زكى مبارك . المطبعة العصرية بيروت جـ ١ ص ٤١ .
(٢) التصوف على مذهب التصوف : أبو بكر الكاباذى تحقيق محمود النواوى ص ٣٣ .
(٣) فاطر : ١٥ .
(٤) محمد يوسف محمد : الصوفية واثرهم رسالة الماجستير ص ١٣ .

وقد أطلق عليهم عدة صفات منها جوعة لأنهم لا يتناولون طعامهم الا بنذر ضئيل أو غرباء لخروجهم من أوطانهم أو سائحين لكثرة اسفارهم أو متوكلين لأنهم تجردوا عن ارادتهم وتركوا الأمر كله لله عز وجل (١) .

وقد حاول بعض الباحثين ان يربط بين كلمة صوفى العربية الى كلمة صوفيا اليونانية ومعناها الحكمة وان يقارن بين الكلمتين وما يضفيان على أهلهما من حكمة وأقوال مأثورة (٢) .

ويرى معروف الكرخى (المتوفى ٢٠٠ هـ) ان معنى التصوف فى الحقائق التى يحصل عليها الصوفى والعفة عما هو موجود عند الناس من منصب مال أو جاه فقال :

« التصوف الأخذ بالحقائق واليأس عما فى ايدى الخلائق »

أما سليمان الدارانى (المتوفى ٢١٥ هـ) فقد صور لنا ان أعمال الصوفية من عند الله الخالق سبحانه وتعالى وأنه مع الخالق دائما وان حاله لا يدرى بها الا الله سبحانه وتعالى بقوله :

« التصوف ان يجرى على الصوفى أعمال لا يعلمها الا الحق وان يكون دائما مع الحق على حال لا يعلمها الا هو » .

أما بشير الحافى (المتوفى ٢٢٧ هـ) فقد وضح أهم مواصفات الصوفى هى صفاء القلب من الحقد والضيق والهم والقلق ومن أى رغبة من رغبات الحياة المتمثلة فى المال والمنصب والشهرة بقوله :

« الصوفى من صفا قلبه لله »

ويوضح لنا ذو النون المصرى المتوفى (٢٤٥ هـ) بأن أحوال

---

(١) التصوف والاتجاه السلفى فى العصر الحديث : دكتور مصطفى حلمى ص ١٠ .

(٢) ذو النون المصرى : طبعة أولى دار الشروق : بالقاهرة : السيد أبو حنيف ص ٤٣ .

ومعاملة وكلام الصوفى هى حقيقته الواضحة وأن علاقاته الدينوية من متاع وزخرف ومتعه منقطعه تماما ••• وان احواله ومعاملاته وكلامه تدل على ما فى داخله بقوله « الصوفى هو اذا نطق كان كلامه عن حاله فهو لا ينطق بشىء الا أن كان هو ذلك الشىء » •

« واذا أمسك عن الكلام عبرت معاملته عن أحواله وكانت ناطقة بقطع علائقة الدينوية عن حاله » •

ويرى سرى السقطى (المتوفى ٢٥٧ هـ) بأن العلم والورع مكملان لبعضهما وان الكتاب (القرآن الكريم) والسنة هما أساس العلم الصوفى وأن الكرامات التى تعطى للصوفى لا تعطيه الحق فى اباحه محارم الله •• فيقول :

« التصوف اسم لثلاث معانى وهو الذى لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه ظاهر الكتاب والسنة ولا تحمله الكرامات على هتك استار محارم الله » •

ويرجع سهل بن عبد الله التسترى (المتوفى ٢٨٣ هـ) التصوف الى عدم الفهم فى الأكل والاتجاه الى الله والفرار من الناس وما يخضون فيه حيث قال :

« التصوف قلة الطعام والسكون الى الله والفرار من الناس »

وقد وضح الجنيد البغدادى (المتوفى ٢٩٧ هـ) صفات الصوفى كاملة بقوله :

« التصوف تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتى ومفارقة اخلاق الطبيعة وأخماد صفات البشرية ومجانبة نزوات النفس ، ومنازلة الصفات الروحية والتعلق بعلوم الحقيقة ، وعمل ما هو خير الى الأبد والنصح الخالص لجميع الأمة والأخلاص فى مراعاة الحقيقة » •

واتباع النبى صلى الله عليه وسلم فى الشريعة (١) .
وقد وضح لنا المستشرقون معنى التصوف وخصائصه العامة بأنه فلسفة حياة ، وطريقة فى السلوك الفردى لتحقيق المثالية الاخلاقية والسعادة النفسية ويصعب التعرف على حقائقها بالفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية ذائبة (٢) .

ويرى كبار الباحثين فى التصوف ومنهم عالم النفس الأمريكى وليم جيمس ان للتصوف عدة خصائص هى : —

١ — احوال ادراكية وهى الهامات تأتى للتصوف وليس معرفة برهانية .

٢ — احوال وجدانية يصعب نقلها الى الاخرين فى مضمون لفظى دقيق .

٣ — بقاء هذه الاحوال وهى قصيرة فى ذاكرة المتصوف .

٤ — لا تحدث بأرادة المتصوف وأنها خاضعة لقوة خارجية عليها تسيطر عليها .

ان كلمة تصوف من الكلمات الغامضة التى تعددت تعريفاتها ومفاهيمها ويرجع ذلك الى تداولها بين الديانات المختلفة والحضارات الانسانية على مر العصور التاريخية كما ان كل صوفى يخضع تعبيره للتجربة التى خاضها فى أطار ما يسود عصره من أفكار ولا يخضع لحضارة مجتمعه من تطور أو اضمحلال وان هذه الكلمة لا ترد فى اللغة العربية كما لا يوجد لها اصلا فى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام كما ان الباحثين لم يجمعوا على تعريف شامل جامع لها .

---

(١) انظر كتاب : فى التصوف الاسلامى وتاريخه ترجمة ابو العلا عفيفى طبعة لجنة التأليف والترجمة ص ٢٨ — ٤١ .

(٢) انظر مدخل الى التصوف الاسلامى دكتور ابو الوفا العتيمى ص ١٠ — ٢٥ .

مدارس البحث الصـــوفى

لم يفكر العالم الاسلامى فى اقامة مدارس للبحث العلمى تبحث الفكر الصـــوفى ، بل أن ما يقدم الآن مبنى على القـــدرات الفكرية الفردية •

أما فى الغرب الأوربى فقد قامت المدارس المختلفة لأخضاع الفكر الصـــوفى الاســـلامى للبحث العلمى ، وقد قدمت هذه المدارس بعض البحوث التى قامت على الأسلوب الذاتى وليس الموضوعى •••

عمدت هذه المدارس الى ايجاد صلة بين التصوف وبين المسيحية وبين الديانة الهندية والفارسية • وقد تعرضت هذه المدارس لدراسة الجانب التصرفى لأغراض استعمارية أو أظهار المسلمين فى صورة مرضى نفسيين وأنهم يعيشون فى غيبوبة مستمرة وتشـــنجات شديدة نتيجة ما يحدث لهم فى حلقات الذكر التى تقام فى المساجد ومن أهم هـــذه المدارس هى :

١ ـــ المدرسة الانجليزية :

تقوم هذه المدرسة ببحث أصول التصوف وجذوره الممتدة الى الرهبنة ورياضيات الهنود ومنهجها العلمى هو المنهج الاســـــتقرائى والتصوف الاسلامى فى نظرها ظاهرة من الظواهر الجزئية لتصوف عام •

٢ ـــ المدرسة الالمانية :

تبحث هـــذه المدرسة فى المؤثرات الداخلية فى التصـــوف بسبب اتصال المســلمين بالديانات الهندية والفارسية واليهودية والمســيحية ومنهجها المنهج الفلسفى ودراستها للتصوف على أنه ظاهرة نفسية •

٣ ـــ المدرسة الفرنسية :

دراسة المدرسة منصبة على أن التصوف الاســـلامى يشبه تماما

التصوف المسيحى (الرهبنة) وان جذور التصوف الاسلامى ممتدة الى المسيحية وتؤخذ عنها ومنهج المدرسة المنهج الروحى وهو منهج غير علمى •

٤ ــ المدرسة الاسبانية :

تشبه المدرسة الفرنسية فى ايجاد أصل التصوف الاسلامى من التصوف المسيحى والمنهج نفس المنهج فى المدرسة الفرنسية دراستهما منصبة على ان التصوف ظاهرة اجتماعية •

مراحل التطور الصوفى

قسم علماء التصوف والباحثين فيه مراحل التطور الصوفى الى مراحل ثلاثة هى : ـــ

المرحلة الأولى :

ظهر التصوف فى هذه المرحلة على أنه زهدا فى الحياة الدنيا والبعد عن متعتها واختيار الحياة الأخرى وما فيها من نعيم مقيم للمؤمنين ويقوم المسلم على مجاهدة نفسه على الاستقامة والطاعة لله عز وجل واتباع ما جاء فى الكتاب والسنة وقد ظهرت هذه المرحلة فى الصدر الأول القرن الأول والثانى الهجرى •

المرحلة الثانية :

دخلت بعض الأمم الاسلام نتيجة الفتح الاسلامى لها وأقبل الناس على الحياة من متع وملذات وتكالب الخلفاء على الحكم وانقسم المسلمون بين معارضين ومؤيدين للحكام نكان لابد ان يواجه علماء التصوف هذه الظواهر التى وجدت على المجتمع الاسلامى فأضافوا الى التصوف تعبيرات جديدة هذه التعبيرات مستمدة ايضا من الكتاب والسنة مثل الفقر ثم ارادوا ان يميزوا بينهم وبين بقية المسلمين فأختاروا الملابس الصوفية التى عرفوا بها على مر العصور المختلفة •

المرحلة الثالثة :

امتزجت الثقافات الوافـــدة الى المسلمين من الدول التى دخـــلت الاسلام مع الثقافة العربية واعلنت عن مولد ثقافة جديدة هى الثقافة الاسلامية فكان لابد ان يواجه علماء التصوف هذه الظاهرة بأدخـــال بعض التغييرات وبعض الظواهر من حيث ترتيب المقامات والأحوال ونظام السلوك والآداب التى فى الكتاب والسنة وتوافق الشرع وتؤكد السير عليه .

الفصل الثانى

الديانات وفـــكرة التصـــوف

تعددت الآراء حول قضية مصادر التصوف الاســـلامى ومنها ان التصـــوف قد ظهر فى بادىء الأمر بخراسان وهى أحـــد مدن فارس القديمة حيث تلاقت فيها معظم الديانات والثقافات الشرقية ولما دخلت الاســـلام نتيجة الفتح الاســـلامى لها يقال ان صبغت بعض المبادىء الاسلامية بالصبغة الصوفية القديمة التى كانت تؤمن بها خلال فترات تاريخها القديم •

أما الرأى الثانى فيوضح لنا أن احتكاك العرب فى شبه الجزيره العربية بالمسيحية المجاورة لها سواء كانت ذلك أيام التجارة القديمة أو أيام الفتح الاسلامى لدول المنطقة المجـــاورة أدى ذلك الى دخول بعض المسيحين الاســـلام ونقلوا معهم بعض الأفكار المســـيحية من الرهبنة الى الزهد الذى تطور الى التصوف •

أما الرأى الثالث فهو ان الصـــوفية قد نقلت افكارها نتيجة حركة الترجمة التى قام بها العرب المسلمون للعلوم اليونانية القديمة ونقلوا معها الحكمه اليونانية بل يرجع اصـــحاب هذا الرأى الى ذى النون المصرى أحد المتصوفة ـــ أنه كان على علم بالحكمة اليونانية فى عصره • ويؤكد هذا القول صاحب كتاب التصوف الاسلامى الاستاذ رينولد •

« لكن على يقين من أننا اذا نظرنا الى الظروف التاريخية التى أحاطت منشأة التصوف بمعناه الدقيق ـــ استحال علينا ان نرد أصله الى عامل هندى أو فارس ولزم ان تعتبره وليد اتحاد الفكر اليونانى والديانة الشرقية أو بعبارة أخرى وليد لاتحاد الفلســـفة الافـــلاطنية الحديثة والديانة المسيحية » •

وعلى هذا وجب علينا أن نســـتعرض الديانات وهل لها صـــلة بالتصوف ؟ حتى نعد الاذهان لتقبل الفكر التربوى الصوفى •

أولا ـ الديانة الفارسية

انتشرت الديانة الزرادشتية فى ربوع بلاد ايران وكانت هـذه الديانة فى الأصل هى دين الميدين والفرس وما أن مات صاحب هذه الديانة والداعى اليها حتى هجم دار الأول ملك الفـرس والميـدين بجيوشـه الجرارة على شبه جزيرة بلاد اليونان وحطم عاصـمتها وأصبحت هذه الشعوب فى يوم وليلة تدين بهذه الديانة بل تعمل على نشرها والتعصب لها •

وقد بلغت الدعـوى للديانة أوج عظمتها فى عهد الامبراطورية الاكمنية وكانت تشمل شعوبا بكتريا وميديا وفارس وقد اندمجت هذه الشعوب فى تلك المناطق وصارت تدين بهذه الديانة وتدافع عنهـا وتتعصب لمبادئها وقيمها وأساليبها •

ولما فكر الاسكندر الاكبر المقدونى فى غزو فارس وتحطيم مملكتها انتقلت الدعوة الرسمية الى ايدى رجال الدين وهم طبقة الكهنـة فى الديانة الزرادشتية الذين قاموا بنشر هذه الديانة فأوفدوا المبشرين الى جميع بقاع الدول التى تقيم فى المناطق المجاورة لهم ونتيجة لذلك خضعت كل من ارمينية وكبال ودوشيال وليسيا تحت نفـوذ الديانة الوافدة اليهم •

وقد جمعت جميع التعاليم لهذه الديانة فى كتاب سمى بالأبستاق والذى قام بجمعها « اويستر » ملك من ملوك الساسنيين وهو الـذى أقام الحكم الساسانى فى فارس ••• وفى عهد الملك شاهيور انتهى من الشكل الكامل لكتاب الابستاق ثم حطمت الجيوش الاسلامية المملكة الفارسية وانتشر الاسلام فى ربوعها وقضى على الديانة الزرادشتية • بل اعتنق كثير من الزرادشتين الديانة الاسلامية وهاجر جزء منهم الى الهند وحملوا معهم معتقداتهم الدينية وقد أطلق عليهم بأسم « مجوس الهند » وقد صار لهم ثروة كبيرة نتيجة القيام بالاعمال التجارية فى الهند وكونوا طبقة خاصة لا يقبلوا فى جماعاتهم أى أجنبى • وظلت الديانة المجوسية كما هى لم تتأثر بأى معتقدات اخرى حتى يومنـا هذا •

وتؤمن الديانة الزرادشتية بوجود أله أعظم يعلم الماضى والحاضر وهو خـالق الخلق كله ويطلقوا عليه اسـم « اهرمزدا » ومخاطبـة زرازشت للآلة كما يخاطب صديق حميم له كما يوضح لنا فى الأبستاق انه حبيب الآله وأنه سـيظل يمدح الأله حتى يموت ، أما الملائكة فى نظره فهم الذين يتقبلون الصلاة من الانسان فى معابد النار لهـداية المؤمنين الذين يزورون هذه الاماكن المقدسة •

ويعتقد زرادشت ان الفيصل بين الخبيث والطيب هو النار • كما ان الخير فى نظره هو الآلة أما الشر فى نظره فيرجع الى « اهرمن » وهو الشيطان وأكدت الديانة أن الخـلاص من القيود المادية الى الحياة الروحية لا يتحقق الا عن الطهارة الخالصة التى تأتى عن طريق التحرر النهائى من الجسد وقيوده •

وتؤمن الديانة الزرادشتية بالاشياء الروحية والمادية التى يتألف منها الكون هذا جوهر الديانة الزرادشتية ••

أما رأى الباحثـين بأن التصـوف الاسـلامى قد تأثر بالديانة الزرادشتية مثله مثل السياسة ويستدلون على ذلك بقولهم ان منصب الخلافة فى العصر العباسى قد انتقل من دمشق عاصمة الامويين الى بغداد عاصمة العباسيين وقد انشأ منصب الوزارة وأسند الى الفرس الذين ساهموا فى اقامة الدولة العباسية وأسند اليهم أيضا مهنة التدوين والترجمة وبالرغم من أنهم دخلوا الاسلام ودافعوا عنه فقـد نقلوا افكارهم الفارسية الى المجال الاسلامى فى كل شأن من شئون الحياة والدليل الثانى ان هناك صلات بين العرب والفرس موجودة منذ دخول الفرس الاسلام ولهذا اتصل شيوخ الصوفية بالفرس كما ان جـزء كبير من الشيوخ أصله فارس ومن هنا يكون التصوف الاسلامى قـد تأثر الى حد كبير بأفكار وقيم ومبادىء الفرس •

أما أصحاب الرأى المعارض فى ذلك يرى أن هذه الادلة ليست قاطعة فى حـد ذاتها مسـتدلا بأن الدولة المغلوبة دائما تتأثر بالدولة الغالبة وأن المسلمين من الفرس آمنوا بالاسلام بدون ضغوط تاركين معتقداتهم القـديمة مستقين أفكارهـم من المنبع الجديد « القرآن الكريم »وهو المنبع الأصلى للصوفية ويغنى عن كل منبع آخر •

ثانيا — الديانة الهندية

الهند مهد حضارة قديمة منذ ثلاثة آلاف سنة وهى ذات تاريخ مجيد وحضارة متماسكة الحلقات والذى يهمنا من الحضارة هى ديانتها القديمة وقوامهـا عبادة « البترا معبود مقدس يقدم اليه الهدايا ويعمل الكهنة فى خدمة هذا الاله مع اقامة الطقوس الدينية ولم تكن هـذه العبادة لوحـدها بل توجد ديانات أخـرى مثل عبادة الشمس والحيوانات المختلفة .. أما جوهر الديانة الايمان بعالم الأموات وهو عالم له تأثير قوى على الكون والمشاركة فيه (١) .

وبعد فترة ظهرت ديانة جديدة وهى البوهمية وقد قامت على انقاض الديانة السامية والبوهمية قسمت الهنود الى عامة وخـاصة والخاصة موحدون والعامة وثنيون فالخاصة يعتقدون أن معبـودهم واحد أما العامة فيميلون الى عبـادة الأوثان وهى مؤثرة فى الأرض وبلغت عدد الالهة عندهم ثلاثة وثلاثون ثم انحصرت فى ثلاثة آلهة .

والنفس عند البوهمية جوهر الحياة خالدة صافية فاذا اتصـلت بالجسد تغيرت بين الصفاء الى العكار وهى فى نظرهم باقية لا يتخللها الفناء ولا تصاب بالبلى وتنتقل من جسد لآخر وهذا ما يطلق عليـه « تناسخ الأرواح » .

وقد سيطرت تلك الديانة على الفكر الدينى الهنـدى وأثرت فى حياته وظلت الهند تدين بهـذه الديانة حتى ظهر بوذا الذى أوجـد الديانة البوذية (٢) .

لم يكن بوذا صاحب رسالة أو منشىء دين كما يعتقد بعض الباحثين

---

(١) مقارنة الأديان — الديانات القديمة ، الامام محمد أبو زهرة دار الفكر العربى ص ٢٢ — ٢٣ .

(٢) مقارنة الأديان — الديانة القـديمة — الامام محمـد أبو زهرة ص ٥١ — ٥٢ .

وانما كان مفكرا مستنيرا يعرف الحياة واسرارها ، سيطرت على فكرة عملية الخلاص من متاعبه ، فلما هيىء له أنه وصل الى ما يرمى اليه ، قرر أن يقود غيره فى نفس الطريق الذى سلكه ، وقد تبعه طلابه فى هذا المجال وتعاليمه لم تدون فى حياته بل دونت عقب وفاته وهدفها الخلاص من متاعب الحياة و آلامها •

وعلى الانسان الذى تصبو نفسه الى الترفانا (السعادة) أن يقرر كيف يصل الى الفناء ولا يأتى ذلك الا عن طريق التحرر من القلق •

لم يهتم بوذا بالبحوث العقلية وانما يسعى الى الاهتمام بالبحوث النفسية ومعرفة أمراض النفس وكيفية علاجها ويرفض بأى شكل من الاشكال كل ما يتعارض مع فكرته يحث الرهبان البوذيين أن يعيشوا فى الأديرة والصوامع بعيدين عن زحمة الحياة •

ولا يعترف بوذا بالأرتباطات الأسرية ، فالمرأة فى نظره أقل منزلة من الرجل فيحتقرها ولا يعيرها أدنى اهتمام عنده •

وأقر أن ثروة الانسان فى الحياة هى الاخلاق الطيبة والسيرة الطاهرة والذكرى الحسنة فاذا اراد الانسان السلام والراحة والطمأنينة فعليه ان ينشد كبح جماح نفسه وشهواتها وأطماعها •

وكل التعليمات البوذية تدعو الى التأمل والتركيز الباطنى وهذا فى رأيهم يؤدى الى خلق الملكات الروحية •

ويرى الباحثون أن تلاقى الصوفية الاسلامية مع الديانة البوذية فى حالة الفناء عند الصوفية توازى النرفانا وان فكرة الحلول والاتحاد توازى لديهم التناسخ فى الأرواح (١) •

وقد ذكر البيرونى أن الصوفية فى الاسلام قد اخذوا من التناسخ

---

(١) الحياة الروحية فى الاسلام . دكتور مصطفى حلمى .

حين قالوا « فى الدنيا نفس نائمة ونفس يقظة »(١) .

ويخبرنا الدكتور عبد القادر محمود بأثر البوذية فيقول :

« أن أثر البوذية فى الأفق الصوفى الاسلامى قد بدأ قبل الميلاد بخمسمائة عام وقبل الفتح الاسلامى للهند ، وفى القرن الرابع الهجرة كان للبوذية أثرها الضخم فى فارس مما يصل المصدر الهندى بالمصدر الفارسى (٢) » .

ويرد أصحاب الرأى المؤيد للصوفية بأن هذه ليست ادلة كافية وليس التناسخ يشبه الفناء لأن التناسخ معناه حلول الأرواح من جسد لآخر أما الفناء فمجرد نظرية فلسفية فقط وان الصوفية نشأت اسلامية مستمدة تعاليمها من الكتاب والسنة وفيهما غناء عن أى شيء آخر .

ثالثا — الديانة اليهودية

لقد تأثر اليهود بالديانة الزداشتية نتيجة ما حدث لهم فى بابل ٥٨٦ ق.م من أسر ونفى خارج بلادهم وظلوا اسرى حتى جاء كورش المجوسى ملك الفرس وقام بغزو بابل وفك أسر اليهـود وأعادهم الى بلادهم وظلوا تحت الحكم الفارسى حتى ظهر الاسكندر الاكبر المقدونى الذى ضم الفرس تحت لواء مملكته فصاروا بالتبعيةرعايا الامبراطورية المقدونية .

لقد نقل اليهود بعض الافكار الديانة الزراشـتية عن الاعتقاد بالأرواح الشريرة والملائكة وفكرة الشر فى ضراوتها لم تكن موجودة فى كتابهم قبل عميلتى السـبى الأول والثانى لهم ولكن نقلوها بعد فك أسرهم وعودتهم الى بلادهم على أيدى ملوك المجوس .

---

(١) البيرونى : تحقيق بالهند من نقوله مغيوله فى العقل أو المزاولة ص ٨٢ .

(٢) دكتور عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية فى الاسلام ص ١٧ .

ان الباحث جولد زنهير وهو يهودى الأصل يعتقد ان الصوفية الاسلامية قد تأثرت الى حد كبير باليهودية ويستدل على ذلك بأن بعض اليهود قد دخلوا الاسلام ووضعوا كثيرا من الاحاديث التى تسمى بالاسرائيليات وان نظريتى التشبيه والتجسيم لدى اليهود تشابه نظرية الاتحاد الحلول لدى الفلسفة الاسلامية حيث يقول الشهر ستانى فى شأنهم « وجدوا التوراة مملوءة بالمشابهات مثل الصور والمشافهة والتكلم جهرا والنزول من طور سيناء أنتقالا والاستواء على العرش أستواءا» ويعترض مؤيدى الصوفية على هذه الادلة بأنها ليست كافية ولا يدل ان التشبيه والتجسيم والتكلم جهرا والانتقال والاستواء من افكار الصوفية وانما هذا دخيل عليها وملتصق بها حتى يعتقد الناس ان الصوفية خرجت من المنهج الاسلامى وينادى مؤيدى الصوفية بقولهم ان هناك فرق بين التصوف والفلسفة فالصوفية قد اخذت من المنبع الأساسى الاسلامى أما الفلسفة فهى ناقلة عن المنبع اليونانى القديم •

رابعا ــ الديانة المسيحية

لست فى حاجة لموضوعى هذا ان استعرض الديانة المسيحية بالتحليل وانما الذى يخصنا أن نستعرض أهم النقط الاساسية المتصلة بموضوعى كالرهبنة وطبيعة السيد المسيح لدى المذاهب المسيحية المختلفة لنرى هل هناك علاقة بين المسيحية والتصوف الاسلامى •

ارتبط العرب بالنصارى فى بلاد الشام فى العصر الجاهلى ويقال ان الفتن والحروب والكوارث الشديدة فى شبه الجزيرة أدت الى هروب بعض العرب الى الأديرة واعتنقوا المسيحية ودخلوا الرهبنة •• ولما جاء الاسلام دخل بعض المسيحيون فى دين الله أفواجا وليس معنى ذلك أن افكارهم ظلت ملتصقة بهم بل نبذوها مرة واحدة عند اسلامهم وتقبلوا تعاليم الاسلام وعملوا على اتباعها وانخرطوا فى الجيوش الاسلامية مرافقين المسلمين والاسلام بصفتهم اعضاء فى الأمة الاسلامية الجديدة •

الرهبنة المسيحية لم تتغذى من رفض العالم الارضى بما فيه من

مباهج وملذات وانما جاءت برفض كل شيء من جانب « قيصر » ترقبا منها لمجيء ملكوت الله •• انتشرت الرهبنة أول ما انتشرت فى صحارى مصر الشرقية هربا من الرومان وتعرضهم لمخالفى عقيدتهم بالتعذيب والقتل والسجن •

ومن هنا كثر الرهبان والنساك المسيحين نجاة بأنفسهم وهربا من الدنيا ومتاعها وقطعوا كل صلتهم بالعلائق البشرية •

ثم زاد التعذيب للمسيحيين ويسمى هذا العصر بالاضطهاد الدينى فأكتفوا بالصبر بل اكثر من ذلك ضحوا بحياتهم متمثلين بالسيد المسيح تقربا وقربانا ووصولا اليه • وبعد فترات التعذيب عادت الحياة طبيعيه اليهم فانغمسوا فى الملذات واقبلوا على الشهوات وانحرفوا وراء كل علاقات شاذة ومن هنا هربت فئة قليلة فتنسكت هربا وخوفا من هذه الحياة وكانت نتيجة هذا الهروب ظهور الاديرة التى كانت مأوى لهم من الترف الى عالم جديد عليهم هو العالم الروحى •

ولقد اخضع الراهب فى الدير الى عمليتين هما الطهارة والفقر •

والطهارة فى الدير ليس معناها طهارة الجسد أو الملابس وانما هى طهارة بقطع العلاقات بالحياة حتى يكون على قدرة كافية لخدمة البشرية أما الفقر فى قانون الرهبنـــة هو التحرر المطلق من كل شيء ورفض الماديات من أجل خدمة الانسانية هذا هو جوهر الرهبنة •

أما طبيعـــة السيد المسيح عليه الســـلام فى المسيحية أو بالمعنى الأصح فى المذاهب المسيحية الثلاثة الملكانية والنسطورية واليعقوبية فتتلخص فيما يلى : —

١ — المذهب الملكانى :

ساد هذا المذهب بعد الفتح الاسلامى فى المنطقة العربية ، ويعتقد هؤلاء ان الله ثالث ثلاثة أى ان الصـــــورة الالهية هى الأب والابن والروح القدس • ويقوم هذا المذهب بعملية المزج بين الثلاثة معتقدا

بأن الجوهر « الله أما الملكوت الكلى هو جسد المسيح » وهو قديم ازلى لأن الجسد (الله) فهو قديم ازلى والكلمة هى العنصر الثالث من عنصر الوجود اتحدى بجسد المسيح وتعلقت بناسوته فمريم اذن ولدت جسدا الهيا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت وهذا رأى الملكانية .

٢ ـ المذهب النسطورى :

ان المسيح عليه السلام انسان وان مريم انسان جزئى ولا يلد الانسانى الجزئى الا انسانا جزئيا مثله وحدثت النعمة الالهيه فأتصل اللاهوت بهذا الانسان الجزئى كما اتصل من قبل بسائر الانبياء فى نظرية التسلل ولكن صلته بالمسيح كان اكثر دواما واستقرارا (١) .

٣ ـ المذهب اليعقوبى :

ان المسيح فى نظرها جوهر واحد فيه الانسان والاله وان اللاهوت والناسوت اتحدت اتحادا كاملا فى شخص المسيح وان القتل وقع على الجوهر من حيث انسان واله.

ويرى الباحثون الغربيون أن التصوف له صلة بالمسيحية نتيجة اتصال العرب بالنصارى فى بلاد الشام ودخولهم الرهبنة ولما دخلوا الاسلام نقلوا بعض المبادىء المسيحية الى التصوف الاسلامى منها :

١ ـ الزهد فى الدنيا نتيجة كثرة انغماس الناس بالملذات .

٢ ـ الهروب من الفتنة والاضطرابات .

٣ ـ نقل فكرة الحلول والاتحاد الى التصوف الاسلامى .

ان الزهد فى الدنيا قد ورد فى القرآن والسنة وليس غريبا ان تأخذ به الصوفية كقاعدة أساسية له .

---

(١) الفلسفة الصوفية فى الاسلام : دكتور عبد القادر محمود ص ٣٤ ـ ٣٥ .

خامسا ــ الاســـــلام

أعتمد الاسلام على مصدرين هامين هما الكتاب والسنة أعتمادا كاملا وقبل ان نتعرض بما جاء فى هذين المصدرين من أفكار عن الزهد يجب ان تلقى عليهما الضــوء قليــلا لتعرف أهمية كلا المصـــدرين للمسلمين عامة وللمتصوفين خاصة •

أولا ــ الكتاب : (القرآن الكريم)

بعث الله سبحانه وتعالى محمدا عليه الصلاة والسلام فى شبه الجزيرة العربية بنفس المهمة التى بعث بها من قبل رسله وانبيائه عليهم الصلاة والسلام فكانت دعوته عليه الصلاة والسلام لكافة الناس بما فيهم اتباع الانبياء السابقين ومهمته دعوة الناس الى المنهج السليم وتبليغهم هداية الله من جديد وجعل من آمن به وبهذه الدعــوى أمة واحدة يقيم هدايتها وحياتها على هدى من الله ، ثم تخرج لهــداية الدنيا واصلاحها وأن « القرآن الكريم » هو كتاب الدعوة الذى أنزله الله على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام فيه هدى ونور ، يهدى به من يشاء من عباده •

وموضوع القرآن الكريم « الانسان » وهو محور نجاته وسعادته ومحور خسرانه وشقائه ويقدم لنا القرآن الكريم الآيات التى ترفض كل ما كان يدور فى ذهن الانســـان قبل نزوله وان النظريات العلمية القديمة من صنع الانسان نفسه وكانت تبحث عن الحيــاة الدنيا وعن نظام الكون وعند الاله وعن ماهيه الانسان ــ وعن المجتمع المثالى • وعن اليوم والأمس هذه النظريات كانت سطحية وتقديراتها خياليــة وخاضعة لاهواء الانسان ذاته وانها باطلة ومهلكة له ، وجاء القرآن الكريم ليعرفنا الانسان بأنه خليفة الله فى الأرض وبموجب هذا المبدأ وضع له المنهج الســـليم الذى يقدم الصـــحة ويوصـــل الى العافية الحسنة •

يحدثنا القرآن الكريم عن السماء كيف صنعت ؟ وعن الانسان كيف خلق ؟ وعن المشاهدة فى الكون وعن الأمم السالفة وقصصها فى أسلوب

خلاب جـذاب مؤثر فى النفوس مستعرضا أعمالها المختلفة وسـلوكها وعقائدها مبينا مدى تعارضـها مع المنهج الصـحيح ذاكرا الشـئون والمسائل التى وراء الطبيعة • ومن خلال ذلك يوضح ما عليه الناس من خطأ وسوء فهم عن الحق •

مقررا فى اذهـانهم الحقيقة الواقعيـة عن الحياة وبأن المنهج الاسلامى هو المنهج الذى يلائم الحق ويأخذ الى الطريق السليم ••

وأن القرآن الكريم ليس كتاب يحتوى على نظريات مجـردة وأفكار موضوعه لتدرس وتفهم تبحث فى اللاهوت فتحل جميع اسراره وأنما هو كتاب دعوة لخلق الرجل السليم ذو الاخلاق العطرة كما عمل كسر قيوده وأعداده للوقوف فى مواجهة العالم الذى انصرف عن الحق وجعله يقارع البـاطل ويحارب ائمة الـكفر وقادة الفسـق ورواد الضلال •

لقد انتزع القرآن الكريم كل رجل كريم وكل نفس زكية من كل بيت وجمعهم تحت لواء صاحب الدعوة • فهـو الذى اخرج غيظ كل مفسد وجعله يقاتل انصار الدعوة • ليهلك كل من هلك عن بينه ويحيى كل من أحب الأيمان على بينه •

هذه صورة واضحة عن الكتاب الكريم الذى استقت الصـوفية منه افكارها واعتبرته أساس لدعوتها ومنهجها واذا خالفته فليس من التصوف بشىء فهو الذى يرشدها ويوضح مقاماتها •

ويقول عز وجل ايضا « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا »

ويقول أيضا :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كبيرا » •

ويقول أيضا :

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فأختلط

به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا » •

ويقول أيضا (سيجزى الشاكرين) •

ويقول أيضا (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

ويقول أيضا : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) •

اذا امعنا النظر فى هذه الآيات نجدها تحمل ما يلى :

التوبة — الشكر — الذكر — الزهد — الاحسان — التوكل •

وهى أفكار الصوفية الاسلامية ودليلا واضحا على أنهم أخذوا افكارهم من الكتا بالكريم •

ثانيا — السنة :

هى أعمال وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وقد وجدت الصوفية من أعمال وحياة وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام مرشدا لها كما اتخذتها الصوفية أساسا لحركتها وطريقها •

وأهم هذه الأحاديث تدور حول :

١ — الولاية
٢ — التوبة
٣ — الزهد
٤ — الورع
٥ — الذكر
٦ — الحب الالهى
٧ — الفقر .
٨ — الاحسان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى من عاد لى وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى ما أفترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطيته ولئن استعاذ بى

لأعذته وما ترددت عن شيء انـــا فاعله على ترددى عن نفس عبـــدى المؤمن » .

وقول رسول الله عليه الصلاة والسلام فى التوبة :

« يأيها الناس توبوا الى الله فأنى أتوب فى اليوم مائة مرة » .

وقوله فى الزهد :

ما يرويه عثمان بن عفان عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « ليس لأبن آدم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه ، وثوب يوارى عورته وحب الخير والماء » .

ويقول عليه الصلاة والسلام فى الذكر :

عن أم حبيبة زوجة النبى صلى الله عليه وسلن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كلام أبن آدم عليه لاله الا أمر بمعروف أو نهى عن المنكر أو ذكر الله .

وقول رسول الله فى المحبة :

عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل « المتحابون فى حـــلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » .

ويقول عليه السلام عن الدعاء :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس شيء اكرم على الله من الدعاء »

واذا قرأنا كتب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام نجدها مليئة بالحب والود والتريث والحكمة والزهد والكفاف والصبر وكان كثير الاستغفار .

ومن خلال ما استعرضته من آيات وأحاديث شريفة وما هو موجود فى كتب السيرة من اقوال واحوال الرسول عليه الصلاة والسلام يعتبر كل هذا ينبوعا فياضا صالحا يغنى الصوفية عن أى مصدر آخر .

* * *

الفصل الثالث

الفلسفة اليونانية وأثرها على التصوف

وضحت الدراسات الحـديثة لمجتمع شـبه الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى بأنه لم يكن فى غفلة عن التيارات الفكرية المتصارعة والمسيطرة على العالم القديم وقتئذ ، وعارضت فكرة الباحثين القدماء بأن هذا المجتمع الجاهلى ما هو الا قبائل متناثرة متناحره لأتفه الأسباب ولا روابط بينها غير روابط العادات والعرف والتقاليد •

وظهر أخيرا الاكتشافات الأثرية فى القرن الحالى توضح بأن هناك دول قديمة عظيمة قامت فى جنوب شـبه الجزيرة ذات حضارات مزدهرة وذات كيان سياسى واقتصادى واقامت علاقات تجارية نتيجة العلاقات الطيبة مع جيرانها • هذه الدول هى الدولة المعينة والحميرية والسبئية •

لم تكتف هذه الدول بعلاقاتها التجارية مع جيرانها فى البحرين الأحمر والمتوسط بل وسعت علاقاتها فى شـبه الجزيرة مع جيرانها فى وادى الحجاز حيث توجد الكعبة والبيت الحرام الذى يلتف حوله العرب فى وحدة دينية كبرى جاءت نتيجة ديانة ابراهيم عليه السلام •

أخذ الفكر العربى من التيارات الفكرية السائدة فى العالم وقتئذ ما يتمشى مع حضارتها وقيمها ومبادئها ونبذت كل الأفكار التى تتعارض مع نقاء واصالة فكره (١) •

وحاولت بعض الشخصيات التى كانت تجـوب فى ربوع شـبه الجزيرة وخارجها ادخال الفكر اليونانى نتيجة الاعجاب به والأخـذ بكل جديد ولو كان هذا الجديد يتعارض مع ما جبل عليه الفكر العربى الأصـيل •

---

(١) الحياة الروحية فى الاسلام : دكتور محمود مصطفى حلمى ص٣٤ .

ولكن هذه المحاولة نبذها الفكر العربى ولم يصغى اليها وماتت كغيرها من المحاولات الفكرية الوافدة اليه •

أغلق العرب فى الحجاز كل المنافذ العقلية نحو الاستجابة للتراث الروحى اليونانى الذى حاول ادخاله النضر بن الحارث ابن عمة رسول الله عليه الصلاة والسلام ايمانا منهم بان هذه الموروثات الروحية اليونانية قد افسدت الحياة فى مجتمعهم وايمانا منهم بتراثهم الروحى الذى ورثوه من اجدادهم اسماعيل وابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام (١) •

ويعتقد بعض الباحثين بأن الديانة العربية فى العصر الجاهلى قائمة على عبادة الأوثان والأصنام لذاتها — وهذا الاعتقاد ليس له نصيب من الصحة بل كانت عبادتهم متجهة نحو البيت الحرام والكعبة ونتيجة لهذه العقيدة الدينية أوجد العرب ما يسمى بالأشهر الحرام وفيه تقف جميع الصراعات الدموية الدائرة بينهم ليتجهوا نحو عقيدتهم بزيارة البيت الحرام والحج فى تلك الأشهر الحرام التى اتفق عليها فميا بينهم •

وحينما اندفع عرب شبه الجزيرة العربية حاملين راية الاسلام مبشرين جيرانهم بالدين الجديد لم يقف الباحثون على أى دراسات فلسفية خاصة بهم فى تاريخهم الاسلامى فى الصدر الأول من الدولة الاسلامية •

ولما انحصرت موجة الفتح الاسلامى فى العصر الأموى وبدأت الحياة السلمية تغمر المجتمع أخذ العرب فكرهم واتجاهاتهم من الأفكار الاسلامية التى كان مصدرها الكتاب والسنة ولم يكونوا فى غفلة عن الثقافات الوافدة اليهم من المناطق الخاضعة لسيطرتهم •

لم يقم المسلمون كغيرهم من الفاتحين بتدمير الثقافات الأخرى التى تتعارض مع ثقافتهم وليس الاسلام دين تدمير للثقافات الاخرى

---

(١) نفس المرجع ص ٣٥ .

وانما دين تعايش فى سلام مع الثقافات الاخرى الخاضعة تحت سيطرته والدليل على ذلك ابقاء العرب المسلمين على المدارس الفلسفية العلمية التى كانت فى الاسكندرية وانطاكية وفى الرها والمدائن وجنديسابور •

ولم يضع الاسلام حواجز نحو الفكر المخالف له بل بحث على التعرف عليه والوقوف على أصوله واتجاهاته حتى يأمن عدم الوقوع فى تلك المعتقدات القديمة سواء كانت روحية أو عقلية ونبذها اذا كانت تتعارض مع الافكار الاسلامية •

تعرف العرب على الكتب اليونانية وعلى علماء اليونان وتركوا مدارسها تزدهر ازدهارا كبيرا ايمانا منهم بأن الفكر الاسلامى بصفائه ونقاء معدنه وغزارة منبعه لا يتأثر بأفكار بشرية عاجزة على معالجة مشاكل حياتها بل مصدى الاسلام الكتاب والسنة فيهما الكثير من معالجة للمشاكل البشرية فى كل زمان ومكان •

ايمانا بأن الخالق هو الذى وضع العلاج لانه أدرى بخلقه ومشاكل حياتهم وأمور دنياهم بل يعد المصدرين من أعظم المصادر التى حررت القضايا الكبرى التى كانت تجوب الفكر العلمى القديم ووضحت أصول هذه القضايا وردت على كل فكر ظنى الى نحره ووضحت بأن ما استند عليه من أفكار بشرية عاجزه على معرفة أصول هذه القضايا •

وتتمثل هذه القضايا فى الكون والله — اليوم الآخر — البعث — والموت — والمجتمع والاسرة — والعلاقات بين المجتمعات المختلفة • والهدف من خلق الانسان وأصله وقيمه ومبادئه وعقله وروحه ومتطلبات حياته الجسدية والعقلية الروحية •

ترك المسلمين المدارس الفلسفية كما وضحنا سابقا تزدهر وتنمو وأهم هذه المدارس التى ازدهرت فيها الفكر اليونانى القديم ممتزجا مع الفكر الشرقى القديم هى مدرسة جنديسابور وأول من نبغ فيها وانفصل عنها هو الكندى وتلاميذه وقد أطلق عليهم ابى تيمية شيخ

الاسلام فى عصرهم بأنهم « فراخ اليونان وتلامــذة الرومان » أما الدكتور على سامى النشار أنكر عليهم لقب فلاسفة الاسلام بل لقبهم « بأبناء الفلسفة اليونانية » •

كان اقبال الدولة العباسية فى عهد المنصور اقبالا منقطع النظير على ترجمة علوم اليونان من فلسفة ومنطق وطب وأخلاق •• ثم ازداد هذا الاقبال واتسعت الدائرة فى الترجمة فى عهد المأمون نتيجة عوامل كثيرة منها نمو العلاقات الدولية الطيبة التى قامت بين الدولة العباسية وجيرانها نتيجة الثورة الاقتصادية الكبيرة التى جاءت عن طريق التجارة مع الدول المجاورة ونتيجة الاستغلال السليم للموارد الاقتصادية فى الدولة على أسس سليمة واندفعت الدولة العباسية فى علاقاتها السياسية والاقتصادية مع الدول المجاورةحتىبلغت ذروتها فتمتعت حينئذ بثروة طائلة جذبت اليها المغامرين من كل فج عميق •

وخصصت الدولة العباسية جزءا كبيرا من مواردها المالية لعقــد صــفقات ثقافية مع الدول المجــاورة وخاصـــة مع قبرص والدولة البيزنطية (١) •

اشتملت هذه الصفقات على شراء الكتب اليونانية والرومانية التى حبست فى خزائن الامبراطور البيزنطى والحاكم القبرصى وفى عهــد المأمون نظمت عملية شراء هذه الكتب وقامت البعثات العلمية التجارية لعقد الصفقات وكان النصيب منها كبيرا وظل المأمون يتابع عملياته فى شراء الكتب اليونانية والسريانية والفارسية والهندية بشغف شــديد لدرجة أن هذا الأمر كان شغله الشاغل حتى فى نومه (٢) •

امتلأت دار الحكمة بمشتريات المأمون وكان لابد ان يتعرف عليها الفكر العربى الاسلامى فأقام المأمون دار للترجمة الحقها بدار الحكمة وأقام عليها شخصيتين لعبتا دورا هاما فى ترجمة معظم هذه الكتب وهما

---

(١) العالم الاسلامى فى الدولة العباسية : دكتور حسن محمود دار الفكر العربى ص ٢٥٠ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٥٢ .

« حنين ابن اسحاق » و «وابن النديم » • لقد نبغ كل منهما فى معرفة اللغة اليونانية فقام الأول بالترجمة من اليونانية الى السريانية ثم قام مساعدوه بالترجمة من السريانية الى العربية اما الثانى فقد ترجم معظم الكتب من اليونانية الى العربية •

أما أهل الذمة فقد قاموا بدورهم فى عمليات الترجمة التى بلغت ذروتها فى هذا العصر نتيجة اخلاصهم لها فترجموا كتبا فى الطب والفلسفة والمنطق والفلك (١) •

وتعرف الفكر العربى على المنطق اليونانى بل تأثر به بل عمل على صبغة بالصبغة العربية الاسلامية فى قوالب جديدة ومناهج حديثة تتمشى مع العصر ومتطلباته للرد على اعداء العرب والمسلمين وقتئذ •

واستخدم المنطق لدى الفرق الاسلامية للدفاع عن ارادتها وافكارها ضد خصومها كما ان الفكر الاغريقى قد ترك طابعه وأثره على الحياة الثقافية العربية الاسلامية فى مجالات محدودة منها :

ترتيب العلوم وتبويب الكتب كما أثرت الفلسفة اليونانية فى تعاليم المتكلمين ويرى بعض الباحثين ان الافلاطونية الحديثة كان لها الأثر فى الفكر الصوفى •

وسنرى امكانية ذلك أو عدمه عندما تستعرض الافلاطونية وهى اب موضوعنا وأثرها على الصوفية •

ويعارض الامام عبد الحليم محمود فكرة الترجمة للتراث اليونانى والفكر اليونانى وخاصة ترجمة كتب العقائد وكتب الأخلاق ويوضح بأن الدين الاسلامى فيه من العقائد والاخلاق ما يكفى المسلمين وما يغنى عن غيرها ويقول فى هذا الصدد :

« ولم الترجمة ؟ أفى العقيدة التى جاء بها القرآن — والسنة

---

(٣) نفس المرجع السابق ص ٢٥١ .

نقص يستكمله ؟ أفى الأخلاق التى رســمها الله ورسوله خلل تزيله ترجمة كتب الوثنيين ؟ (١) » •

ثم يعيب على الخليفة المأمون مســاندته للمعتزلة فى نزاعها مع ائمة وفقهاء الدين وتحديه لهم وأمره بالترجمة للتراث اليونانى وفتح بلاد المسلمين للغزو الفكرى اليونانى بقوله : « وما كان لنا أن نعيب دخول المأمون فى نزاع لو أنه دخل دخول الأب الرحيم المهدىء للنزاع لو أنه دخل دخول الاخ الأكبر ملطفا ومانعا للحدة بين الأخوة ، اننا لا ننتقد الدخول فى النزاع وانما ننتقد الكيفية والصورة انها ليست صورة دخول علمى فى موضوع نقاش دينى وانما هى صورة دخــول جبروتى ، دخول من يريد ان يأمر ليطاع دخول من لا يريد ان يصغى الى نصح ولا ان يستجيب لبرهان (٢) •

ويقول فى موضع آخر :

« وأحب الامراء رضاء المأمون ، فساهموا فى مشروع الترجمه ووجد الاثرياء ان دور وسائل التقرب الى المأمون ان يســاهموا فى مشروع الترجمة فعملوا على المساهمة بما لديهم فى مشروع الترجمة ووجــد المثقفون ان من عــوامل التقرب الى المأمون ان ينشروا اراء ارسطو وافلاطون وغيرها ، فتعلموها ودرسوها وعلموها ، واذا كانت أفكار اليونانية قد بدأت الدخول فى البيئة الاسلامية على استحياء فأنها بمرور الزمن أستوطنت والفها كثير من الناس عن طريق التكرار وشاعت الاراء واستقرت بالألفه والعادة والرعاية (٣) » •

---

(١) القرآن والنبى : الامام عبد الحليم محمود طبعة دار المعــارف ص ١٥٣ •

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٥١ • واحب ان اوضح بأن الدكتور عبد الحليم محمود قد صب جام غضبه على ترجمة الكتب اليونانية وخاصة كتب الفلسفة اليونانية • فالترجمة نفسها لاضير عليها • فالمسلم فى اى زمان ومكان لا يقتنع الا بكتاب الله والسنة • ومهما فرضت عليه أى افكار لايقبلها مادامت تتعارض مع دينه •

(٣) نفس المرجع السابق ١٥٤ •

ونتيجة لتحديه ائمة الدين والفقهاء فقد ترجمت الأورجانون وهى كتب ارسطو فى المنطق ثم كتب سقراط وافلاطون •

وجاءت لحظة اشعال نار الصراع بين مؤيدى الفكر اليونانى وتياراته المختلفة وبين علماء الدين ومعارضتهم لهذا الغزو الفكرى اليهم •

ونتيجة لهذه الحرب المستمرة المتأججة النيران بين الطرفين قد ماتت مدرسة الكندى وافكاره • كما شن أهل السنة حربا لاهواده فيها على مدرسة الفارابى وافكارها حتى كانت نهايتها الى الأبد •

ورغم تلك الحملات الشديدة والوقوف فى وجه التيارات الفكريه الوافدة الى الفكر الاسلامى الا أن مدرسة الفلسفة الافلاطونية قد وجدت مجالا بين فئة قليلة بعيدة كل البعد عن المنهج الاسلامى وقد وصف القفطى افلاوطين بقوله « انه كان حكيما مقيما فى بلاد اليونان » •

أما الجماعة التى تشربت مبادئه وصارت من أكبر المؤيدين لأفكاره قد أطلقوا عليه « شيوخ اليونانى »[١] •

ولابد أن تستعرض مذهبه لنعرف اتجاهاته ومدى ما أخذ منه المتصوفة أو نبذوه لمعارضته الفكر الاسلامى له •

ويدور مذهب الافلاطونية الحديثة فى اقسام ثلاثة هى النفس والله والعقل فالنفس عنده جوهر كريم شريف وهى نقطة تدور حول العقل وتشتاق اليه فى كل تحركاتها كما ان العالم السفلى نقطة أيضا تدور حول النفس وتشتاق اليها فى كل سكناتها وتحركاتها ، أما الله فى جوهر المذهب فهو المحبوب المبدع الذى تشتاق اليه الصور العليا لأنه كساها حقيقة وجودها (والتى من وجوده) وهو قديم دائم على حالة لا يتغير والعاشق يعمل على ان يصبوا اليه ويكون معه •

---

(١) الفلسفة الصوفية فى الاسلام : دكتور عبد القادر محمود ص٣٦.

أما العقل فهو الجزء المهم لدى النظرية الافلاطونية الحديثة فهو يشـــتاق الى الله والنور الأول والمبـــدع للاشياء من كل الامتنانيات الاخرى وان الأشياء كلها قد ابدعها الله بغاية الحكمة وان الجواهر العقلية قد فاضت منه وقد تفاضلت مراتب تلك الجواهر نتيجة لاختلاف قربها أو بعدها من النور الأول التى فاضت منه (١) •

أما الاثر الافلاطونى لم يظهر على الفكر الاسلامى الصوفى ولم يتأثر به ائمة وفقهاء والتصوف وانما ظهر على مجموعة متناثره ضئيلة قد حملت هذه المجموعة الأسماء الاسلامية وهى ليست بمسلمة (٢) •

لقد أستقت الافلاطونية مصادرها ومعارفها المختلفة حينما التقت مع الثقافات القديمة فى جنديسابور وفى غيرها فى المدن الشرقية وقـــد حاولت بكافة الطرق ان تتغلغل فى الكيان الاســـلامى وتســـيطر عليه فوجدت ضآلتها فى الأحاديث النبوية الشريفة فنفذت اليها ولكن علماء الحديث كانوا لها بالمرصاد وقاموها مقاومة عنيفة وهاجموا واضـــعوا هذه الاحاديث التى تخدم افكارهم فصبغوها بالصبغة الاسلامية ولتجد مجالا لجذب قلوب عامة المسلمين ليلتفوا حولها •

أول من وضع هذه الأحاديث عبد الرحمن محمد الحسينى السلمى وهو أمام المتكلمين الفعليين فقد قال : قال رسول الله عليه الصــــلاة والسلام « وهو حديث قدسى » « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل، فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال عز وجل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا اكرم منك ، بك أخذ وبك أعطى وبك انيب وبك اعاقب » •

لقد هاجم علماء الحديث هذا الحديث وكان على رأس المعارضين المهاجمين الأمام « تقى الدين ابن تيمية » شيخ الاسلام وانه موضوع وله صلة بالفكر اليونانى وخاصة الفلسفة الأفلوطونية الحديثة • ثم

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام : دكتور على سامى النشـــار والفكر العربى ج ١ ص ١٥٠ •

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٥٤ •

هناك احاديث دخيلة نتيجة هذا الحشو الذى قام به مغالطو الاسلام ومنها •

« كنت نبيا وآدم بين الطين والماء » ويقصد به رسول الله عليه الصلاة والسلام •

أما الثالث فهو « كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفوا » :

لقد وجدت الافلوطنية مجالا واسعا وكبيرا وعلما من علوم المسلمين بل من أشد العلوم لديهم اصالة فنفذت اليه كما ذكرت سابقا •

أما فكرة الوحدة التى نادى بها محى الدين عربى والتى وجدت هجوما شنيعا من ائمة التصوف ذاتهم وائمة وفقهاء السنة فقد تاولوا فيه بأنه ليس من الاسلام ولا يمت اليه بأى صلة بل هو فيلسوف من الفلاسفة وان هذه النظرية « وحدة الوجود » فقد صيغت فى نسق فلسفته التى نادى بها (١) •

الدارس للصوفية يشعر منذ البداية أن التصوف الاسلامى فى أصالته أسلامى ويستمد منهجه من القرآن الكريم الذى يعيش فى قلوب المسلمين وبه من الآيات الكريمة التى تغنى عن أى منبع آخر يمكن للصوفى ان يستمد افكاره منها • كما ان السنة ايضا بما فيها علوم نظرية وتطبيقية تتمثل فى أقوال وسلوك الرسول ﷺ فهى المنبع الثانى الذى يستمد منه الصوفية افكارهم وهو يغنى ايضا عن استخدام أى منبع آخر •

كما ان الزهد وهو اللبنة الأولى للتصوف نشأ فى أحضان الكتاب الكريم والسنة وأنتهى اليهما وتطور فى النهاية الى التصوف الذى يعد ثورة كبرى على الترف العقلى وعلى الطبقة العليا من اغنياء الدولة

---

(١) الفلسفة الصوفية فى الاسلام : دكتور عبد القادر محمود دار الفكر العربى ص ٦٣ .

وكبار التجار فهو فى مضمونة ثورتين ثورة اجتماعية واخرى ثقافية تشمل الجانب الفلسفى والجانب العقلى .

ان جمهرة المسلمين يرون ان اليونانيين فى حد ذاتهم وثنيون وان قيمهم ومبادئهم واخلاقهم وتراثهم مستمد من هذه الوثنية فهم يحاربون من يأخذ عنهم أو يميل الى افكارهم أو يعتنقها فمن الغريب فعلا ان تعقد أواصر صلة روحية بين التصوف وهذه الأفكار اليونانية .

فالتصوف الاسلامى فى حد ذاته تراث روحى يحدث نتيجة ادق حركات القلب ويتبع الذوق الاسلامى ويكشف عن الضمير وانه ثورة صفاء مع مجتمع شمله التحلل الاجتماعى من جميع نواحيه كما ساده أيضا الانهيار الاقتصادى . كما أن الورع قد شمل المسلمين فى القرنين الأول والثانى البحرى الذى انقلب زهدا منظما ثم جاءت الفلسفة اليونانية نتيجة الترجمة ، وكان الزهد قد تطور فى تلك الفترة الى التصوف وظهرت علومه المختلفة ومناهجه فنشأت الصراعات المختلفة بين الفقهاء والفلاسفة .

فقهاء الدين وهم يأخذون بظاهرة الشريعة الاسلامية (القرآن الكريم والسنة) أما فقهاء التصوف وهم يأخذون بباطنها وقد تناولوا القرآن الكريم بما وراء الفهم العقلى فاختلفوا مع الذين يتكلمون بالمنطق والعقل ولم يمضى الوقت طويلا فى العالم الاسلامى حتى ظهرت ثلاثة تفسيرات للقرآن الكريم .

(١) التفسير الفقهى (٢) التفسير العقلى (٣) التفسير الذوقى

وظهرت فئة أخرى تدعى التصوف اخذت بالفلسفة وقام بينهم وبين الصوفية والعقلية والفقهاء نزاع شديد وأدى النزاع فى النهاية الى وجود المدارس المختلفة فى العالم الاسلامى ومنها :

١ — المدرسة العقلية :

وتمثل الوجود من حيث موجود بالعقل .

٢ ــ المدرسة الصوفية :

وتمثل الحياة الصوفية نتيجة تجربة صوفية وقد ظهرت من خلال ذلك علم الاخلاق على يد أكبر صوفية السنة ومن أشـــــهرها الامام أبو حامد الغزالى الذى ساد علمه العالم الاسلامى حتى يومنا هذا •

٣ ــ المدرسة الفلسفية الصوفية :

وهى التى لها شطحات اخرجتها عن المنهج الاسلامى ومصدريه القرآن والسنة •

٤ ــ مدارس الفقة والشريعة الاسلامية :

وهى التى تعتمد على النصوص القرآنية وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام •



الفصل الرابع

الزهـــــد

فى بداية القرن الأول الهجرى ظهرت مجموعة من المسلمين الأوائل حبذت الاقامة فى مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام واعتمدت فى حياتها على بعض الصدقات التى يقدمها أغنياء المسلمين لهم وهم « أهل الصفة » وقد أطلق عليهم لفظ « الزهاد » ومنذ تلك اللحظة شاع استخدام هذا اللفظ فى العالم الاسلامى .

ومعنى كلمة الزهد فى اللغة هو الاعراض عن الشىء أو عدم الاقبال عليه أو النظر الى الحياة الدنيا بشىء من الاستخفاف والاحتقار وعدم التكالب على جمع الأموال وعدم الاغراق فى ملذات الحياة رعبا من الله ومن عقابه الذى أعده للكافرين والمنافقين ومرتكبى الذنوب .

حيث قال الله عز وجل فى ذلك :

« الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين ، ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » (١) .

ليس الزهد فى الاسلام بمعنى العزلة عن الحياة وعدم المشاركة فيها ، فالانسان خلق بطبيعته ليكون خليفة الله على هذا الكوكب والهدف من وجوده على هذا المسرح أن يطور حياته ويرقيها ويسعى بالمنهج العلمى الى معرفة أسرار وخصائص هذا الكوكب الذى وجد عليه ومن خلال هذه المعرفة يصل الى معرفة خالقه وكلما زادت معرفته به زاد ايمانه وزهد فى زخرف الحياة وملذاتها ... ولقد استوعب كل هذا علماء وفقهاء وأئمة الصوفية فى القرن الرابع الهجرى .

---

(١) التكاثر ١ — ٨ .

لم يرد فى كتاب الله لفظ الزهد الا فى آية واحدة من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام حيث قال العزيز الحكيم :

« وشروه بثمن بخس ، دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين »

ويوضح لنا الله عز وجل فى آيات كثيرة بأن الأرض وما عليها من زينة وبهجة وملذات وزخرف وأموال وشهوات ماهى الا اختبارا للانسان حتى يتعرف الخالق على أحسن الأعمال فيجزى أصحابها خير الجزاء بما عملوا وصنعوا • وان الدنيا بما فيها زائلة فى النهاية حيث وضح ذلك فى كتابه الحكيم بقوله :

« انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا » (١) •

ان الأرض وما عليها رخيصة عند خالقها فلو شاء لأغدقها اغداقا على الكافرين وان الذهب الذى يفسد الحياة ويبهر القلوب المظلمة رخيص عند الله ويبذله الخالق بكثرة على من يكفر به لأنه متاع الحياة الدنيا والمتاع زائل مع زوال الدنيا ذاتها — فلو شاء الله لجعل لمن يكفر به بيوتا سقفها من فضة وسلالمها من ذهب •

حيث يقول فى كتابه العزيز :

« ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » (٢) •

ويذكرنا الخالق سبحانه وتعالى بأن بعض الناس يفضلون الحياة الدنيا وما فيها من ملذات عن غيرها التى أعدت للمتقين •

حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

« بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى » (٣) •

---

(١) الكهف : ٧ — ٨ •
(٢) الزخرف : ٣٢ — ٣٥ •
(٣) الأعلى : ١٦ — ١٧ •

ومن الأحاديث النبوية الكثير التى تحث على الاقبال على الآخرة والزهد فى الدنيا مع المشاركة فى الحياة وعدم العزلة فيما يجرى فيها •

حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الدنيا حلوة حضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب » •

ويأمرنا صلى الله عليه وسلم بعدم ذكر الدنيا فى قلوبنا وعدم الانشغال بها عن الهدف الأسمى للحياة وهو عبادة الرحمن سبحانه وتعالى حيث قال :

« لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا » •

ويقول أيضا :

« ما الدنيا فى الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بما يرجع اليه » •

ويقول صلى الله عليه وسلم :

« من أصبح والدنيا أكبر همه فليس بين الله بشىء والزم الله قلبه أربع خصال : هما لاينقطع عنه أبدا ، وشغلا لا يتفرغ منه أبدا، وفقرا لا يبلغ غناه أبدا ، وهلاكا لا يبلغ منتهاه أبدا » •

وقال موسى بن يسار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها » •

وقد نقل أئمة وعلماء وفقهاء التصوف تعريفاتهم عن الزهد من مفهوم ما جاء به الكتاب والسنة فى هذا الصدد •

حيث قال الجنيد :

« سلب الله الدنيا من أوليائه وحماها من أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم » •

ويقول ابن جلال الصوفى :

« الزهد هو النظر فى الدنيـا بعين الزوال فتصغر فى عينيـك فيسهل الاعراض عنها » •

ويقول ابن خفض :

« الزهـد فى الحلال وترك الحرام فريضـة » •

وهدف الاسلام الأساسى محاربة المغالاة بأى شكل كان وخاصة الارستقراطية المادية التى تملك ولا تعطى وتملك لتفسد الحيـاة على الأرض، وتستخدم ماأودعه الله من أسرار وخصائص للارض لتعطيل سنن الخالق ولمصلحتها ، ولذلك أوجد الله حركة الزهد فى الاسـلام للقضاء على تلك الارستقراطية البغيضة على النفوس وليرتفع بمستوى الفقراء الاجراء (١) •

فالزهـد علامة وميزة للاسـلام عن غيره من الأديان السماوية ومخالفة لـكل ما ظهر فى المجتمع القبلى فى شـبه الجزيرة كمـا أنه شعار لـكل مسلم • فالاسـلام فى حقيقة الأمر لم يدعو الى شركة ذات مناجم من ذهب تغنى أصحابها وتغذق على عمالها ولـكن دعوة روحية التف حولها الضعفاء والمحرمين والعبيد وتحت قيادة رسـول الله صلى الله عليه وسلم (٢) •

دخلت الأمم والقبـائل فى دين الله أفواجا وصار الاسلام قوة أجبرت أقـوى الامبراطوريات الخضـوع تحت راياته بل انـدمجت أملاكها فى الدولة الاسـلامية وحملت هذه الأملاك رايات الاسـلام مدافعة عنه ••• فالزهد هو أحـد الصور الأصيلة فى الاسلام الذى أخذ به قادة المسلمين والاسـلام ونزلوا الى مستوى المؤمنين الفقراء حتى كسبوا عطفهم فالتفوا حول راية الاسلام وصارت صورة الزهد متصفة بصفات الداخلين فيه من طبقة الفقراء (٣) •

---

(١) بحار الصوفية : أمحد بهجت دار المعارف : ص ١١١ .
(٢) نفس المرجع ص ١١٢ .
(٣) نفس المرجع ص ١١٣ .

لقد تأثر الزهد بمنهجين هامين وهما المنهج النظرى والتطبيقى فى حيـاة رسول الله على الله عليه وسلم •

فالمنهج النظرى هو كل ما نطق به رسـول الله عليـه الصـلاة والسلام فى توضيح المعـالم الأصيلة للزهـد وحث به المسلمين على مجاهدة النفس بترك ملذات الحياة وغض النظر عما يجرى فى الدنيا من متعة وتكالب على الأموال وجرى وراء سحب الأمل وانما السعى الى حياة أفضل أعدت للمؤمنين الصابرين •

والمنهج التطبيقى فقـد كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة ، فقـد بدأ طريقـه منذ تحركت نفسه الى العزلة فى غار حراء بعـد أن حببها الله الى قلبه •• فقـد كان صلى الله عليه وسلم ينطلق من حياة مكة الصاخبة الى جبالها ليخلو بنفسه وينطلق بفكره فى ربه وخالقه •

ثم جاء الوحى بالرسالة فانطلق عليه الصلاة والسلام بدعوته الى أهله وعشيرته الأقربون وكانت دعوته ذات شقين هامين أحدهما نشر الدين الاسلامى بين القبـائل العربيـة فى شبه الجزيرة العربيـة ثم الى الدول والأمم المجاورة والعمل على تحطيم عبادة الأوثان •

أما الشق الآخر من الدعوة الاسلامية هو نبذ التكالب على الحياة المادية وملذاتها والفرار الى حيـاة روحية طيبـة متصلة بالخالق عز وجل ومن هـذا المنطلق لم تسـتوعب قريش هـذه الدعوة فأعلنت معارضتها ومقاومتها بكل قوة سـواء كانت قوة الفكر أو قوة السلاح ورغم استخدامها القوتين فقـد أيد الله الفئـة المؤمنة بقيادة رسوله عليه الصلاة والسلام فحطمت الفكر الوثنى والسلاح القرشى وخيبت الأمانى القرشية فى تحطيم الدعوة الاسلامية •

لقد حقدت قريش ما شاء لها أن تحقد وتكره حينما رأت اقبـال النـاس فى الدخـول فى دين الله اقبـالا منقطع النظـير خاشـعين مستمعين الى آيات الله •

ويقول الله عز وجل :

« اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت النـــــاس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » (١) •

لقـــد كانت هـــذه الأفـــواج من النـــاس الداخلة فى دين الله بمحض ارادتها حبـــا فى الله ورســـوله خليطا من الأغنيـــاء والفقراء والسادة والعبيد تحملوا كل ما تعرضوا له من ألوان مختلفـــــة من التعذيب ومحاصره فى شعب مكة حتى كتب الله للاســـلام أن ينتشر ويتغلب على متاعبه •

ولقد ساعدت عوامل كثيرة على انتشار الزهد والعزله على الحياة السياسية ونستعرض هذه العوامل حتى نعرف المدى الذى وصل اليه المسلمين فى تلك الفترة الحاسمة فى حياتهم ومن أهمها :

أولا : لقد اهتم الاســـلام ببناء المسلم روحيا فبغضه فى متاع الدنيـــا وزخرفها ونفره من الاهتمام بما فيهـــا حتى تصفو نفســـه ويصل من خلال ذلك الى الحياة الأخرى التى وعده الله بهـــا حيث يقول الله تعـــالى :

« ان المتقين فى مقام أمين ، فى جنات وعيون ، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ، لا يذوقون فيهـــــا الموت الا الموتة الأولى ووقاهم عـــذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم » (٢) •

وكما ذكرت سابقا لم يكن الزهـــد معناه العزلة عن الحيـــاة بل مشاركة فيهـــا حتى تتطور الحيـــاة ويصل بها الانسان الى مايرجوه الله منه • فالزهـــد بغض متاع وزخرف وملذات الحياة وعدم التكالب عليها وعدم الاقبال على الفساد وتعطيل سنن الخـــالق على الأرض • ولهذا انتقل الرسول صـــلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى تاركا نماذج كثيرة واضحة عن زهده فى الدنيا •

---

(١) النصر : ١ — ٣ •

(٢) الدخان ٥١ — ٥٧ •

وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة ولذلك سار المسلمون على النمط الذى تركه لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا ننسى كتاب الله عز وجل فانه يرسم لنا الطريق السامى للوصول الى الحياة الطيبة فى الدنيا لنسعد فى الآخرة ويقول الله عز وجل « وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون » (١) •

لقد تعرض كتاب الله فى آيات كثيرة للحياة فى الدنيا مصورا صور الزهد فى ايجاز تارة واسهاب تارة أخرى على ضرب الكثير من الأمثلة • ثم وضح الحلال والحرام ووضح حدود الله وبين مواضع الزهد فى ذلك ونتائج الزهد على الفرد والأسرة والمجتمع وأعطى الاختيار لذلك وحث أيضا على الورع والقيام على العبادة والتهجد فى الليل حيث يقول عز وجل فى هذا الصدد :

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (٢) •

أما العامل الثانى يوضح لنا الحياة الاجتماعية المتغيرة التى حدثت فى المجتمع الاسلامى نتيجة الفتوحات الاسلامية حيث كثرت الغنائم فى أيدى المسلمين فأصابوا منها الكثير فأقبلوا على الدنيا بما فيها من متع ولهو •

هذا الاقبال الشديد على الدنيا أدى فى نفوس بعض المسلمين شيئا من الانقباض ثم فى النهاية العزلة وعدم المشاركة فى هذه الحياة الجديدة خوفا من رب العزة سبحانه وتعالى ومن عقابه وعلى رأس هذه الفئة الصحابى الجليل (أبو ذر الغفارى) الذى قام بتبصير المسلمين بسوء الحياة الجديدة ويحذرهم من هذا الثراء

---

(١) القصص : ٦٠ •

(٢) هود : ١٥ — ١٦ •

الذى أقبل عليهم ويلفتأنظارهم نحو اخوانهم الفقراء الذين لايجدون ما ينفقون على متطلبات حياتهم الأولية •

كان أبو ذر الغفـــارى يرى خليفة المسلمين وامامهم ومن أتباع رسول الله عليه الصـــلاة والسلام وهو « عثمان بن عفان » يخالف ماكان عليه الشيخين السابقين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب •

لقد ندد أبو ذر بهـــذه المخالفات ثم تحول التنديد الى الانكار ثم الهجوم عليـــه بطريق غـــير مباشر بهجومه على ولاته ومخالفتهم الشريعة وبذل أموال المسلمين لمن يستحق ولا يستحق جريا منهم وراء مطالبهم الشخصية ، ثم أنكر على الخليفة فيما كان يفعله من عـــزل وتولية للولاة لمصلحة أقاربه منحرفا عما كان يفعله سابقيه •

لم يكن انكاره لأعمـــال الخليفـــة ومعارضـــته لمـــا تم وهجومه على ولاته خروجا عن طاعته حيث قال فى عبار ة صريحة :

« لو صلبنى عثمان على أطول جذع من جذوع النخل ما عصيت »

خلق أبو ذر الغفارى بأفكاره هذه طريقـــا جـــديدا الى نفوس المسلمين فمنهم من نبذ الحيـــاة وانضم الى الفئة التى سبقته ومنهم من استمر فى هجومه على الخليفـــة • وكانت الفئـــــة الزاهـــدة فى الحياة ضئيلة ومحدودة واتخذت من المـــدينة المنورة مقرا لها وظلت تتوارى عن الناس ولا تشارك فيما كان يجرى فى المدينة وقتئذ ثم فى النهاية حينما قتل الخليفـــة ورأت لأول مرة دماء المسلمين تراق بيد المسلمين اعتزلت الحيـــاة نهائيا غير مشـــاركة فيها ســـواء بالقول أو العمل وعاشت على بقايا الأموال التى جاءت اليهـــا • وأطلق عليهم لقب « زهاد » •

والعامل الثالث وجود التيارات الشديدة التى ظهرت بعد مقتـــل الخليفـــة الثالث •

هذه التيارات كانت تسعى فى الخفاء الى وقف حركة الفتوحات الاسلامية وتجميد الأنظمـــة الاســـلامية الجديدة بكافة جوانبهـــا —

ولولا هذه التيـــارات لاندفع المسلمون الى أبعد ما وصلوا اليه وأن يقيموا أحـــدث ما توصلت اليـــه قرائحهم من أنظمة جديدة تتناسب مع تطور العصر .

أول هذه التيـــارات سعت نحو السيطرة على الدولة الاسلامية وهو التيـــار الأرستقراطى الأموى الذى وجد التربة الخفية لافكاره ومؤامراته فى حيـــاة عثمان بن عفان واتخذ من الشام قاعدة للوثوب على الحكم حينما سقط عثمان فى دمائه ، بل شاركت هذه الأرستقراطبة ومهدت الطريق نحو اغتيـــال الخليفـــة حتى يخلو لها الجو للسيطرة الكاملة على الدوة الاسلامية .

عملت الأرستقراطية الأموية علىنشر بذور الاستعلاء والظلم بين المسلمين بل أكثر من ذلك أشعلوا نار العصبية القبيلية التى أخمـــدها الاسلام بين العرب حين ظهوره .

هذه الآفات التى نشرتها الأرســـتقراطية كان لها الأثر فى ظهور حركة الأعاجم وتعصبهم لحضاراتهم القديمة وظلت هذه الحركة تعمل فى الخفاء للقضاء على حكم العرب والاطاحة بالدولة الأموية .

لم تكن الأرستقراطية والشعور المضاد لها من العوامل التى أدت الى اراقة دم الخليفـــة بل هناك تيارات أخرى أوجدها الخليفة نفسه بأن أفسح لكبار الصحابة أن يستمتعوا بالحياة فينطلقوا الى السياحة فى الدولة الاسلامية وأقاليمها واستقر بعضهم فى الأمصار المختلفـــة والتف حولهم المسلمين فملكوا الضياع والبساتين وكونوا لهم الأتباع والأنصار فظهر لأول مرة الاحزاب السياسية — أما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب قـــد حددا اقامة كبار الصحابة فى المـــدينة ليكونوا مستشارين لهم فى أمور الدولة الاســـلامية وخوفا عليهم أن تغريهم هذه الحيـــاة الجديدة التى أقبلت على المسلمين بأموال كثيرة منالبلاد المفتوحة فيطغوا ويكونوا عملا سيئا يضر بالدولة الاسلامية .

لقد ألزم عمر بن الخطاب المسلمين بالتقشف والزهد فى الدنيـــا بينما عجز عثمان بن عفان أن يلزمهم بذلك فأباح لهم الانتشـــار بين

ربوع الدولة مع زيادة فى العطاء لهم فتهالكوا على الدنيا ومتاعها فاندلعت الفتنة تأكل من يعارضها وتدمر كل شىء أمامها فقتل عثمان ومن بعده على بن أبى طالب وغيرهم من الصحابة الأجلاء وظهرت الأحزاب السياسية فى الدولة وبدأ عودها يشتد رويدا رويدا حتى قوى فعصفت ببقية بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام ولم ينج منهم الا « على زين العابدين » .

شاهد بعض المسلمين تلك السحائب من الفتن والخيانات والأكاذيب واراقة الدماء فانعزلوا عن الحياة فأطلق عليهم اسم « الزهاد » .

وكان المثل الأعلى فى دعوتهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وكانوا فى حاجة الى شخصية كبيرة تقودهم الى الزهد فكان « على زين العابدين » .

كان « على زين العابدين » يكره أهل العراق لأنهم خذلوا أباه وجده فى حربه مع الأرستقراطية الأموية ولذلك صار بعيدا عنهم ولم يكن لديه أية اتصالات بفارس وكان يبغض أيضا الحكم والرياسة وكان زاهدا فى الدنيا وكان يدرك تمام الادراك بأن مشاركته فى الحياة السياسية المشحونة بالفتن كفيل بأن يسىء الى نفسه والى الحياة الاسلامية الجديدة التى يمثلها (١) .

هذه العوامل الثلاثة التى ساعدت على نشأة الزهد طورته مع تطور الحياة الاجتماعية والظروف التى طرأت على الحياة الثقافية الاسلامية . فطور الزهد الى مايعرف باسم التصوف .

ومن علامات الزهد ألا يفرح العبد الزاهد للدنيا اذا أقبلت عليه ولا ييأس اذا أدبرت عنه تحقيقا لقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم:

« لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم » (٢) .

---

(١) بحار الصوفية : احمد بهجت دار المعارف ص ٨٨ .
(٢) الحديد : ٢٣ .

ويوضح لنا ابن عطاء الله السكندرى الزهد فى الدنيا بقوله :

« علامة فى فقدها وعلامة فى وجدها ، فالعلامة التى فى وجدها الايثار منها ، والعلامة التى فى فقدها وجود الراحة منها بالايثار شكر لنعمه الوجدان ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان » .

ويقسم الامام أحمد بن حنبل مقامات الزهد الى ثلاثة أقسام وهى : —

١ — زهد العوام : ترك الحرام .

٢ — زهد الخواص : ترك الفضول من الحلال .

٣ — زهد العارفين : ترك مايشغل العبد عن الله تعالى .

وقد قسم فقهاء الصوفية الزهد الى ثلاثة أنواع وهى :

١ — زهد الفقراء : الذين لا يملكون من الحياة الا قوتهم الضرورى فالزهد عندهم هو الغبطة والسعادة بما هم فيه والرضا بما أعطاهم الله عز وجل .

٢ — زهد الأغنياء : الذين يملكون الامكانيات المادية لجلب الملذات والمتع وامتلاك القصور فالزهد هو اخراج كل هذا من القلب فلا يفكر فى الدنيا وتركها وملذاتها والاقبال على الآخرة وما أعد له من حياة ناعمة فيها .

٣ — الزهد فى النفس ومن أجلها : المقصود بذلك عدم ارضاء النفس ولا يعجب بما يفعله فاذا عجب ورضى عنها تملكه الغرور وابتعد عن طريق الحق .

وقال بعض العارفين فى دعائه :

« اللهم اجعل الدنيا فى أيدينا ولا تجعلها فى قلوبنا » .

هذا أجمل مافى الزهد بأن تملك أسباب الحياة فتشارك فيها ثم لا تجعل هم الدنيا والحياة يملك قلبك .

الباب الثانى

* مـــــدخل .
* الاطار الأيديولوجى للتصوف .
* المـــــذاهب الصـــــوفية .

مـدخل :

« الايديولوجيا » كلمة يونانيـة الأصـل ، ترجمت الى كثير من اللغات ولها عدة مفاهيم مختلفة منها :

١ ــ انها تعنى العلم كعلم الاجتماع والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم الانسانية كما تعنى أيضا المثل والقيم والمبادىء التى ورثها الانسان عن أجداده أو جاءت له عن طريق الأديان (١) •

٢ ــ تدرس فى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا ولها مناهج خاصـة تدور حول طبيعـة الفكر الانسـانى وما يتبعـه من عمليات عقليـة وصـور فـكرية مختلفة ويطلق عليهـا اسم « علم الأفـكار » •

٣ ــ وتعنى أيضا مباحث الخير والحق والجمال •

٤ ــ ولا تعنى العقيـدة الدينية كما يعتقد بعض الباحثين وانما ترتبط بهـا لوجود تشـابه فيما بينهما كلاهما يعطى مجموعة تصورات وقضايا كبرى تمس الحياة الانسانيـة بكافة جوانبهـا مثل قضـية

الألوهية والـكون والمجتمع والأسرة والانسان واليوم الآخر وما فيه من عقاب ثواب •

٥ ــ تعنى مجموعة الأهـداف التربوية المختلفـة التى يسعى المجتمع الراقى لتحقيقها •

٦ ــ تمثل مجموعة النسيج الفكرى التربوى ولا يفهم أى فكر بمعزل عنهـا ، فهى التى توضح الأهـداف التى يرمى المجتمع الى

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود الايديولوجيا والتربية دار الفكر العربى ص ٢٦ ــ ٣٥ .

تحقيقها وعلى هـــذا الأساس تعد المناهج الدراسية والعلمية وتخصص لها المصادر المختلفة لتمويل هذه العملية التربوية (١) •

١ ــ الاطار الايديولوجى العام ويتمثل فى :

الله ــ الـــكون ــ الانسان ــ اليوم الآخر ــ الأسرة المسلمة، المجتمع الاسلامى ، الشيطان ، العمل •

٢ ــ الاطار الايديولوجى الخاص يتمثل فى :

التوبة ــ الذكر ــ الخوف ــ الحب الالهى ــ التوكل ــ الولاية ولكى نفهم الاطار الايديولوجى الصوفى ككل يجب أن نحلل كل نقطة من هذه النقط حتى تتضح لنا معالم الفكر التربوى الصوفى الذى ظل عدة قرون يعد أجيالا كثيرة من علماء وفقهاء وأئمة للصوفية •

لقد أثرت هذه الأجيـــال المؤمنة بربها العالم الاسلامى بأفكار روحية مستمدة من آيات الله وأحاديث وسلوك رسول الله عليه الصلاة والسلام • ونتيجة لهذه التربية الروحية قادوا العـــالم الاسلامى فى فترات مظلمة مرت عليه حتى كتب له النصر وحافظوا أيضا على بنيانه من التصدع خلال الفترات التاريخية •

لقد أعد الفكر التربوى الصوفى الفرد المسلم ليكون مدرسة كاملة يتربى على يديه جيلا كاملا وفق ايديولوجية صوفية •

---

(١) عبد الحكيم عبد الغنى قاسم : الايدلوجيا والتربية من المسيحية والاسلام دار الفكر العربى ص ٢١ ــ ٢٣ •

الفصل الأول

الاطار الايديولوجى

أولا — « الله » :

أوجد الله الايمان فى قلب الانسان وجعله طبيعيا فى النفس البشرية وجزء من حياتها (١) فالايمان ليس كلمة بسيطة تنطق بها وانما فكر واحساس قلبى قوى ترجم الى سلوك عملى يتفق مع طبيعة هذه الكلمة ومن الصعب على أى انسان الوصول الى الايمان وانما يأتى بتوفيق من الله (٢) حيث يقول العزيز الحكيم :

« انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » (٣) ولا يتأتى الايمان الا بمعرفة كاملة عن فكرة الألوهية وقد فسرها القرآن الكريم فى منتهى البساطة دون أن يتخذ الاساليب الجدلية السقيمة التى لا تتفق مع المنطق حيث يقول الله :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » (٤) .

ويسوق لنا القرآن الكريم أدلة كثيرة عن وجود الحق منها : أن الله يتصف بالقدرة الفائقة بحيث لايستطيع كائن ما فى الوجود أن يقلد أو يخلق شيئا ما خلقه الله سبحانه وتعالى حيث يقول :

« الله الذى خلقكم ، ثم رزقكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، هل

---

(١) عبد الحكيم عبد الغنى قاسم : الايديولوجيا والتربية بين المسيحية والاسلام : دار الفكر العربى ص ٤٦ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الفكر التربوى عند الغزالى : دار الفكر العربى ص ٥٢ .

(٣) القصص : ٥٦ .

(٤) الاخلاص : ١ — ٤

من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون » (١) .

ويقول أيضا :

« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز » (٢) .

« ووضح القرآن الكريم أن عبادة الأوثان والأصنام لاتعود على الانسان بضرر أو نفع معين ، وانها فى حد ذاتها عبادة باطلة واستخفاف بمنطق العقل السليم والفطرة الانسانية .

حيث يقول الله عز وجل :

« واتل عليهم نبأ ابراهيم ، اذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون ، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم اذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » (٣) .

وهناك دليل آخر على وجود الله وقدرته التى يتصف بها قد فسرها القرآن الكريم فى أهم الظواهر الاجتماعية ومنها ظاهرة الموت والحياة بأن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يحيى ويميت ولا يستطيع أى كائن فى الوجود أن يبعد شبح الموت عن نفسه وغير قادر أن يبعث الحياة فى الآخرين حيث يقول الله عز وجل :

« ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال أبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » (٤) .

---

(١) الروم : ٤٠.
(٢) الحج : ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) الشعراء : ٦٩ — ٧٤ .
(٤) البقرة : ٢٥٨ .

ودليل آخر على وجود الخالق وقدرته بأنه ناقش ذلك من خلال الرؤية للظواهر الطبيعية فلا تستطيع أى قدرة غير قدرة الله أن تغيرها مثل تعاقت الليل والنهار وظهور القمر والنجوم .

كقوله تعـــالى :

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهـــار فاذاهم مظلمـــون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (١) .

ودليل آخر من خلال النعم التى أنعمها الله على عباده ولايستطيع أى انسان أن يمنعها أو يعطيها .

وذلك فى قـــوله :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لـــكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (٢) .

ودليل آخر من خلال الحوادث التى تقع على الانسان ، فيضرع الى الله مستغيثا به حتى يكشف عنه الضر وينجيه من هذا البلاء .

حيث يقول الله عز وجل :

« هو الذى يســـيركم فى البر والبحـــر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبـــــة وفرحوا بهـــا جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » (٣) .

ودليل آخر بأن القرآن الـــكريم أشار الى عمق الألوهية ذاتها بأن وضح أسماء الله ولا يستطيع أى مخلوق على الأرض أن يطلقها على نفسه ونم هذه الاسماء :

الخالق ــ الباسط ــ الرزاق ــ السميع ــ العليم ــ الرحمـــن الرحيم ــ الحى ــ الجبـــار ــ المنتقم ــ العـــزيز ــ الحكيم .... وغيرها من أسماء الله الحسنى .

---

(١) يـــس : ٣٧ ــ ٣٨ .
(٢) النحل : ٧٨ .
(٣) يونس : ٢٢ .

ومن خصائص القدرة الالهية أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الـكريم على رسـولـه صلى الله عليه وسلم وهو أمى فأعجز قريش وغيرها من القبائل العربية اعجازا كاملا لفظا ومعنى حيث قال الله :

« ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبـدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » (١) .

لم تستطع قريش رغم مالديها من امكانيات فى اللغة العربية أن تتحدى المعانى والألفاظ التى أنزلها الله على رسوله صلى الله عليـه وسلم رغم المحاولات المتكررة من بعض الكفار مما ادعوا النبوة عقب وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام فكانت مجالاتهم تقليدا بغيضا الى طبيعة النفس البشرية ولقد استنكر الجميع هذا التقليد (٢) .

ثانيـا ـ الـكون :

يعرض القرآن الـكريم فى آيات كثيرة صورا مختلفـة عن خلق السموات والأرض حيث يقول العزيز الحكيم :

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لهـا من فـروج » (٣) .

وقال أيضـا :

« خلق السموات بغير عمـد ترونهـا » (٤) .

ويقول أيضـا :

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونهـا ثم اسـتوى على العرش وسخر الشمس والقمر » (٥) .

---

(١) البقرة : ٢٣ .
(٢) عبد الحكيم عبد الغنى قاسم : المرجع السابق ص ٤٩ — ٥٠ .
(٣) ق : ٦٠ .
(٤) لقمان : ١٠ .
(٥) الرعـد .

وقوله سبحانه وتعـــالى :

« وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فىذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١) •

ويتحدث القرآن عن الكواكب والنجوم حيث يقول العزيز الحكيم « هو الذى جعل لـــكم النجوم لتهتدوا بهـــا فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » (٢) •

ويقول أيضـــا :

« هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقـــدره منـــازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق ليفصـــل الآيات لقوم يعلمون » (٣) •

ويوضح لنـــا القرآن اختلاف الليل والنهار حيث يقول الله :

« هو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل ذلك فى فلك يسبحون » (٤) •

ويقول أيضا :

« يغشى الليل والنهـــار يطلبـــه حثيثا » (٥) •

ويقول فى مضع آخر :

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون » (٦) •

ويتحدث القرآن الكريم عن تصريف الرياح وتســـيير السحاب ونزول المطر كما يتحدث عن النبات وتكوين الأجنه واختلاف الألوان •

---

(١) الرحمن : ٧ •
(٢) الأنعـــام : ٩٧ •
(٣) يونس : ٥ •
(٤) الأنبياء •
(٥) يـــس : ٤٠ •
(٦) يس : ٣٧ — ٣٨ •

حيث يقول سبحانه وتعالى فى هذا الشأن :

« ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينـه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » (١) .

ويقول أيضا :

« أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون » (٢) .

ويذكرنا فى موضع آخر بقوله :

« هو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا » (٣) .

ويقول أيضا :

« والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » (٤) .

ويقول فى موضع آخر :

« الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون » (٥) .

ويقول :

« وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت

---

(١) النور : ٤٣ .
(٢) الواقعة : ٦٨ — ٧٠ .
(٣) الفرقان : ٤٨ ، ٤٩ .
(٤) فاطر : ٩ .
(٥) الروم : ٤٨ .

سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » (١) •

ويقول العزيز الحكيم :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه » (٢) •

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٣) •

« هو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (٤)

يعرض القرآن الكريم صور الكون بشتى أنواع العرض ، فهو يعرضه مرة فى صور شاملة ومرة أخرى فى صور مفصلة ثم يعود الى عرضه فى ايجاز شديد حتى ليجمعه فى كلمة واحدة مضافة لاسم الله مثل :

« رب العالمين »

ويوضح القرآن الكريم عظمة الخالق فى خلقه هذا الكون وابداعه له كما تكثر الآيات التى تدور حول الشمس والقمر والنجوم والكواكب والجبال والبحار والينابيع والليل والنهار والظلمة والنور والسحاب والأمطار والنبات والمزروعات والحيوان والانسان كل هذا بصور رائعة • وجعل الخالق سبحانه وتعالى هذا الكون مسرحا للانسان ومجالا لطموحه لتحقيق رغباته ثم جعله أيضا محورا لتفكيره

---

(١) الأعراف : ٥٧ .
(٢) الزمر : ٢١ .
(٣) النحل : ١٠ ، ١١ .
(٤) الأنعام : ٩٩ .

وبحوثه ليصل الانسان من خلال معرفته بالكون الى معرفة الخالق (١) •

ومن صفات هذا الكون البديع فى التكوين أنه دائما فى حركة وتبديل وكذلك ارتباط بين الأسباب والنتائج •

من خلال كل هذا نرى حقيقة واضحة وهى حقيقة الخالق سبحانه وتعالى وان الكون بمظاهره وأسراره المختلفة والكائنات التى توجد به كلها تدين بالعبودية لله وحده ، فالأحرى بالانسان وهو أحد مخلوقات الله أن يدخل فى هذه الدائرة كقوله تعالى :

« ان ربكم الذى خلق السموات والأرض فىستة أيام ثم استوى على العرش يغشىالليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » (٢) •

لم يكن الكون فقط مثارا لتفكير الانسانوتأمله، أيضا مجالا لرزقه والانتفاع به فالله خلق الكائنات والطبيعة وسخرهما للانسان ، وفوق كل هذا جعله سيدا كريما عزيزا على كل مخلوقاته بما أوجد فيه من خصائص واستعدادات تمكنه من التعرف على قوانين الحياة والتعرف على ظواهر الكون لتطوير الحياة واسعاد نفسه •

ويقول الدكتور عبد الغنى عبود عن الكون وارتباطه بخالقه :

(« ليست فكرة الكون » معزولة عن فكرة « الله » فى الاطار الايديولوجى الاسلامى وانما هى فكرة مكملة لها ، وذلك لأن الكون هو (موضوع) قدره الله سبحانه بمعنى أنه اذا كان الله سبحانه خالقا ، فان الخلق هو هذا الكون ، واذا كان سبحانه قادرا ، فان قدرته تتبدى فى هذا الكون ومن ثم كانت فكرة الكون محورا ثانيا من محاور فهم الاطار الايديولوجى للاسلام) (٣) •

وينقسم الكون الى جزئين : الجزء المادى والجزء الروحى ،

---

(١) عبد الحكيم عبد الغنى قاسم : المرجع السابق ص ١٢ — ١٣ •
(٢) النور : ٤٣ •
(٣) دكتور عبد الغنى عود : الفكر التربوى عند الغزالى : دار الفكر العربى ص ٥٦ •

فالجزء المادى الذى نراه بأعيننا ونسمع ذبذبته وقد أكد هذه الحقيقة العلم الحديث أما الجزء الروحى فهو الذى لانسمعه ولا نراه وهذا لايعنى عدم وجوده لأن سرعة الذبذبة أكثر مما تقع عليه العين أو تسمعه الأذن لأن سرعته أكثر من سرعة الضوء •

حيث يقول دكتور رؤوف عبيد :

«عالم الروح لا يرى ولا يسمع ولا يلمس — مع وجوده الحقيقى — لأنه أثير يهتز أى يتردد بسرعة تتجاوز سرعة الضوء» (١)

ثالثا — الانسان :

قدس الانسان قديما واعتبروه شيئا رائعا وقد أطلق عليه سيد المخلوقات على الأرض وقد صور بصور مختلفة فتارة محاربا وأخرى رامى رمح وعاشقا ومتأملا ويرجع ذلك الى الاعجاب الشديد به والايمان بعظمته وسيادته على الارض (٢) •

وقد تناول العلماء والباحثون الانسان من عدة جوانب كثيرة وقدمت فيه بحوث كثيرة ، هذه البحوث لو تناولناها بالتحليل لوجدنا فيها تناقض كبير فى حياة الانسان الاولى ونشأته على الكون •

فبعض العلماء يرى أن الانسان جاء نتيجة تطور بعض الخلايا الحية فى الكون حتى وصل الى ماهو عليه الآن ، والاسلام يعارض كل هذا التناقض بأن الله خلق الانسان ليكون خليفته فى الأرض ووضح الفترة السابقة لخلق هذا الانسان كانت سرا من أسرار الله ، ويقول الله عز وجل فى هذا الصدد :

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا»(٣)•

---

(١) الدكتور رؤوف عبيد : مطول الانسان روح لا جسد (الخلود — العقل الاعتقاد فى ضوء العلم الحديث) الجزء الأول طبعة ثالثة — دار الفكر العربى ١٩٧١ ص ٢٩ •

(٢) عبد الحكيم عبد الغنى قاسم : نفس المرجع السابق ص ١٥ •

(٣) الانسان : ١ •

« وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا »(١) .

ومعنى هذا لا توجد صلة بين خلق الانسان وبين التكوينات الأرضية التى وجدت لدى المخلوقات الأخرى (٢) .

خلق الله الانسان وحدد صفته ومنزلته الروحية وحدد مكانته من الكون ومن المخلوقات والكائنات التى وجدت قبل وجوده ثم وضح علاقاته فيها وتعامله معها كما أن الطبيعة ـ بحسب تقرير القرآن الكريم ـ هبة من الله للانسان قد سخر ظواهرها وجعلها مجالا لرغباته وطموحه حيث يقول الله عز وجل :

« ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون » (٣) .

أودع الله فى الأرض خصائص وأسرار مايسمح بحياة الانسان ، فقد جعلها مقرا صالحا لتنشئته بجوها وتركيبها وحجمها وبعدها عن الشمس والقمر ودورانها حول الشمس وميلها على محورها وسرعة دورانها الى غير ذلك من الموفقات التى تسمح بحياته وهو بطبيعته قادرا على تطويع الأرض واستخدامها بما أودعه من خصائص واستعداداته للتعرف على نواميس هذا الكون وتسخيره فى حاجاته .

وحيث يقول الله عز وجل :

« هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم »(٤) .

لقد جعل الله الانسان كريما بين مخلوقاته وعزيزا وفريدا بين الكائنات حينما أسجد له الملائكة وطرد ابليس من رحمته حين أبدى حقده عليه وعدم طاعته لربه وادعائه بأنه أفضل من آدم وذريته ، حيث قال الله :

---

(١) مريم : ٩ .
(٢) عبد الحكيم عبد الغنى قاسم : نفس المرجع السابق ص ١٨ .
(٣) الأعراف : ١٠ .
(٤) البقرة : ٢٩ .

« وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (١) .

لقد نظرت الملائكة في خصائص المخلوقات التى سبقت آدم من حيث صراعها وسفكها الدماء وظنت بعلمها لهذه الخصائص بأن (آدم) له نفس الخصائص حيث قالوا حين سماعهم خطاب الله « وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » .

لم تكن الملائكة تعلم بأن المخلوق الجديد سيفوقها علما واحاطة بما يدور حوله في هذا الكون . بل قارنت بينها وبينه بأنها مسبحة ومقدسة الله وبين هذا المخلوق الذي له نفس الخصائص السابق معرفتها لدى المخلوقات الأخرى من فساد وسفك للدماء ، ولكن سرعان ماتغيرت هذه النظرة حين تبين عجزها لما وضعت فى اختبار من الله بعرض علمها وعلم هذا المخلوق فاعترفت أولا بفضل الله عليها بما علمها وثانيا إعترفته بمقدرة المخلوق الجديد .

ولما اكتمل للانسان كل شيء من استعدادات وخصائص ورعاية من الخالق واعتراف الملائكة بفضله وكراهية وحقد ابليس له لذا كان لابد له أن يدخل تجربة جديدة ليعرف ضعفه فى بعض جوانب تكوينه، هذا الضعف يمكن عدوه (ابليس) من الدخول اليه .

يتركز الضعف فى خلود آدم فى الجنة التي أسكنه الله اياه ، فقد وجد فيها المتعة والنعيم الكامل وهو يعرف تماما فى اسكانه الجنة فترة موقوتة يتدرب فيها ويستكشف مواهبه ويتعرف على عدوه ويدرك أخطر مواقفه والخلود فى الجنة عنده معناه لايموت أبدا ويكون له ملك غير محدود وعمر طويل ومن هنا كان دخول ابليس اليه .

تحركت نفس آدم بالخلود فى الجنة وهذا المكان ليس موضعا للخلود فيه الآن وحذره الله من ابليس فهو خالقه ويعرف تكوينه

---

(١) البقرة : ٣٠ .

العقلى والنفسى والوجدانى كما حذره أيضا من اقترابه من هذه الشجرة .

فالقرآن الكريم لم يتعرض لنوعية هذه الشجرة والتى ترمز للمحظور الذى يتعلم منه آدم كيف يمكنه كبح جماح شهواته ورغباته وآماله التى لا تتحقق ، حرك ابليس نفس آدم نحو المحظور ليخرجه من رحمة ربه التى حرم منها بسببه وما أن فعل آدم هو وزوجه ، فعلتهما حتى شعرا بالندم فأخبرهما الله بأنه قد حذرهما من تلك الشجرة ومن هذا الملعون .

وعصيان آدم لم يكن فى مواجهة الخطاب كما فعل ابليس وانما عصيانه بعد تقبله الأمر والاستجابة له أولا حيث قال الله سبحانه وتعالى :

« يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهم ماورى عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ، فدلالهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين » (١) .

وحينما ظهرت السوءة لادم وحواء اتضح لهما بأن ابليس قد أوقعهما فى المحظور وتمت التجربة وتكشفت لهما خصائصهما فاستعدا لمزاولة اختصاصهما فى الخلافة والدوخل فى المعارك التى لا تنتهى مع عدوهما المتربص بهما والساعى لافساد حياتهما وتعطيل رسالتهما حينما صدر الامر الالهى لهما حيث قال الله عز وجل .

« اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين» (٢) .

---

(١) عبد الحكيم عبد الغنى قاسم : نفس المرجع السابق ص ٣٢ .
(٢) الأعراف : ١٩ — ٢٢ .
(٣) الاعراف ٢٤ .

وقال أيضا :

« فيها تحيون وفيها تموتون وفيها تخرجون » (٣) •

وليست فكرة الكون معزولة عن القضية الانسانية التى سردها القرآن الكريم وانما مرتبطة بالانسان ارتباط كامل فالكون بما فيه من خصائص واسرار يعمل على ترقية الاستعدادات الانسانية وخصائصها والانسان بدوره يعمل على تطوير خصائص الكون والكشف على أسراره والانتفاع به ، فالانسان مخلوق من مخلوقات الله يسعى سواء طوعا أو كرها الى عبادة الله ومعرفته •

ولم يتمكن الانسان من القيام بتبعيات الخلافة فى الارض مالم يخلق الانسان فى نفسه ووجدانه معنى العبودية الكاملة لله ويعنى العبودية أن يسلم المرء نفسه كله ويتوجه بكل مشاعره نحو ربه سبحانه وتعالى ويعترف بأن الذات الالهية هى الحقيقة المطلقة الوحيدة •

وحين يثور الانسان على العبودية لله ويرفضها ولايؤمن بها فان ثورته قد تكون على حساب حريته وحياته وأسباب طمأنينته فى يومه وغده وحين يتقبل المؤمن هذه العبودية تتوفر له كل اسباب المنعة والراحة (١) •

ورسالة الانسان المسلم فى حياته نشر الحق والعدل والخير ولا يمكن ان يفعل ذلك الا اذا وجدت فى نفسه صورة صادقة من هذه المبادىء (٢) •

وحرية الانسان فى الاختيار لحياته وسلوكه تعتمد على عقله

---

(٢) الأعراف : ٢٥ .
(٣) الحجر : ٥٣ .
(١) عبد الحكيم عبد الغنى : المرجع السابق ص ٥٢ .
(٢) عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى دار الفكر العربى ص ٤٤ .

وقلبه وهما أغلى شىء لديه والله سبحانه وتعالى يخاطب ذلك فيه ولا يخاطب بطنه أو جسده ، ومخاطبة الله لقلب الانسان وعقله هو الطويل الى الله تفكرا فيه ودعوة الى اكتشاف أسرار الكون (١) •

رابعـا اليوم الآخر :

حياة الدنيا واليوم الآخر حياة واحدة بداية زائلة فى الحياة الدنيا وبداية أبدية فى اليوم الآخر • وزوال الدنيا صوره القرآن الكريم فى يوم القيامة وما يحدث للنجوم والكواكب والجبال والبحار والانسان، وكافة المخلوقات والكائنات من فناء وموت كل ذلك صوره لنا فى صورة ترغيب وترهيب حتى تستقيم الحياة الدنيا وينتشر فيها العدل الالهى ويسعى الانسان الى حياة طيبة آمنة لا قلق فيها ولا خوف وان كل ما يزرعه الانسان يجده فى آخرته •

ويصور لنا القرآن الكريم ذلك فى قوله عز وجل :

« فاذا النجوم طمستواذا السماء فرجتواذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت ، لاى يوم اجلت ، ليوم الفصل ، وما ادراك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين ، الم نهلك الاولين ، ثم نتبعهم الآخرين، كذلك نفعل بالمجرمين » (٢) •

ويقول أيضا :

« واذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدمت وأخرت » (٣) •

ويقول أيضا :

« اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعها كاذبة ، خافضة رافعة ، اذا

---

(١) عبد الحكيم عبد الغنى قاسم : نفس المرجع ص ٥٤ .
(٢) المرسلات : ٨ — ١٨ .
(٣) الانفطار : ١ — ٥ .

رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا »(١).

وصورة أخرى فى اليوم الآخر صورة العقاب المتمثلة فى النار وما أعده الخالق من عذاب محسوس فى صور تثير فى النفس الخوف الشديد .

والصورة الثالثة هى صورة الثواب المتمثلة فى الجنة وما أعده الله من نعيم مقيم أبدى للذين آمنوا وعملوا الصالحات وهاتان الصورتان ابديتان ولا زوال لهما مثل زوال الحياة الدنيا وقضية اليوم الآخر ليس قضية منفصلة عن قضية الكون والله والانسان بل متصلة بهم فالانسان يسعى الى نعيم الاخرة بتطوير الحياة على الكون مع الأيمان بالله .

خامسا : الاسرة المسلمة :

ويعترف الانسان بأى علاقة بين الرجل والمرأة الا بعلاقة الزواج والزواج عند الجنس البشرى شأنه عند كل المخلوقات فى الوجود حيث يقول العزيز الحكيم :

« ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » .

ويوضح لنا أن الزوجين شطرين من نفس واحدة .

حيث يقول العزيز الحكيم .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجا » .

هذان الشطران فى النفس الواحدة هما راحة للنفس والاعصاب والجسد وصيانة للحياة ومزرعة للنسل وامتدادا للحياة مع تطورها وترقيتها الى حياة فاضلة كريمة مصونة هادئة كقول الله عز وجل

---

(١) الواقعة : ١ — ٦ .

« ومن آياته انه خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » •

خص الاسلام الرجل بالقوامة ، وهذه القوامة صيانة لامور المؤسسة الأسرية من التفكك والانحلال والضياع ، كما أنها أيضا حماية لها من النزوات التى تدمر الحياة •

وحيث يقول الله عز وجل :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » •

خص الله المرأة بعدة وظائف منها الحمل والوضع والرضاعة والعطف والرحمة وسرعة الانفعال والاستجابة السريعة لمطالب الطفولة• كما يقوم الرجل بعدة وظائف منها العمل على توفير الحاجات الأسرية الأولية وحمايتها والصلابة والخشونة والقدرة على التفكير لصالح الأسرة ولهذا جعله الله أقدر على القوامة ولا تسير المؤسسة الأسرية الا به •

وقد حدد الاسلام العلاقات بين أفراد الأسرة ومن خلال هذه العلاقات فى الأسرة تستمر الحياة وتنمو وتتطور •

ولا تنفصل الأسرة عن الاطار الايديولوجى الاسلامى •

يتعامل الفرد مع الأسرة كبقية التعامل مع الخالق ومع الكون الذى يعيش فيه ومع الآخرين وقليل من الفهم يعرف الحياة ونهايتها :

سادسا : المجتمع :

المجتمع فى نظر علماء الاسلام أسرة كبيرة كما أن الأسرة مجتمع صغير ، لأن أفراد الأسرة هم فى حد ذاتهم أفرادا فى المجتمع الكبير ومن خلال التنشئة الأسرية وما اكتسبه أفراد الأسرة يتعاملون به مع أفراد المجتمع الكبير •

والمجتمع الذى أقامه الاسلام له آدابه وقيمه وأخلاقه فهو مجتمع تربطه رابطه قوية واحـدة هى العقيدة الاسلامية التى تنبذ التمايز بالجنس واللون وتبغض التعصب للقـرابة وتحبـذ رابطـة الاخوة الاسلامية حيث يقول الله عز وجل :

« انمـا المؤمنون اخـوة » (١) •

ويطالب الاسلام المسلمين برد التحية أو أحسن منهـا •• حيث يقول الله : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » (٢)• ويحذرنا القرآن الـكريم من الافتخار والاحتيال •

كقوله تعـالى :

« ولا تصعر خدك للنـاس ولا تمشى فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » (٣) •

ويفرض الاسلام التسامح والدفع بالتى أحسن لتتحسن العلاقات بين أفراد المجتمع كقوله تعالى :

« ادفع بالتى هى أحسن فان الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (٤) •

ويحذرنا من السخرية ليقضى على بذور العداوة بيننـا كقـوله تعـالى :

« يا أيهـا الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نسـاء عسى أن يكن خـيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » (٥) •

---

(١) الحجرات : ١٠ •
(٢) النسـاء : ٨٦ •
(٣) لقمـان : ٨٦ •
(٤) الانسان : ١٨ •
(٥) الحجرات : ١٠ •

ويحرم الاسلام الغيبة بين أفراده كقوله تعالى :

« ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » (١)

ويحرم الله أن تؤخذ الأمور بالظن السيء كما حرم التجسس على الآخرين حيث يقول فى ذلك :

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا » (٢) .

وبالجملة فان كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وعرضه وماله فالمجتمع الاسلامى مجتمع نظيف لاتنشيع فيه الفاحشة ولا تنطلق فيه الشهوات وانما تحكمه قواعد وقوانين وسلوك من عند الله .

كقوله :

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون » (٣)

وكذلك فانه مجتمع سليم عفيف آمن ترفرف عليه أجنحة السلام والطهر والأمان وقوى متعاطف يكفل لكل قادر أمين عملا شريفا ولكل عاجز عيشا كريما وكل راغب فى القمة زوجة صالحة ويكفل جميع الحريات للناس . وفيه يقام الشورى والنصح والتعاون والمساواة .

سابعا الشيطان :

ينقسم العالم الكونى الى مجالين .. المجال المادى الذى نراه ونسمع ذبذبته والعالم الروحى الذى لا يرى ولا يسمع بسرعة ذبذبته فالعلم الحديث قد وصل الى شيء محدود جدا فى هذا المجال أما العلم الاسلامى قد أحاط بجميع الجوانب فى هذا العالم الروحى وقد ظهر ذلك فى الاطار الكونى .

---

(١) الجرات : ١٢ .
(٢) النور : ١٩ .
(٣) الحجرات : ١٢ .

« ..... الذى يتربع على عرشه الله سبحانه ومن حوله الملائكة الكريمة — وفى هذا الكون — الجن والشياطين والإنسان والحيوان ولكل هذه المخلوقات المرئى وغير المرئى دوره الذى يؤديه كما أراده الله سبحانه وتعالى فى انتظام الحياة على هذا الكون واستمرار هذه الحياة حتى تقوم الساعة باذن الله سبحانه ، الخالق المدبر وحده .. » (١) .

الشيطان عدو الإنسان اللدود والذى يوقعه دائما فى المحظور ، وقد حذر الله سبحانه الانسان من اتباع الشيطان فتكون نهايته فى النار ووضح القرآن الكريم مافعله الشيطان مع أبو البشرية فى ايقاعه فى المحظور ونجاه من ذلك بأن تاب عليه بعد أن علمه الخالق كلمات فغفر له .

وللشيطان مكايد كثيرة منها الحيل والمكر والخداع الذى يزين المحرمات ويقلب المظلوم ظالما والظالم مظلوما والحق باطلا والباطل حقا .

ويأتى الشيطان الى مريض النفس حيث يلقى فى سمعه من الألفاظ المغرية ويحرك النفس الى الشك والظنون حيث يقول العزيز الحكيم فى ذلك :

« ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد » .

ويحرك الشيطان النفوس الضعيفة بإثارتها نحو الشهوات والملذات فتفسد حياتها وتكون نهايتها .

ويقص علينا القرآن الكريم قصص الأنبياء صلوات الله عليهم موضحا الصراع الذى يدور بين حزبين .

---

(١) الدكتور عبد الغنى عبود : الفكر التربوى عند الغزالى دار الفكر العربى ص ٦١ .

حزب الخير ويقوده نبى من أنبياء الله ويرعاه الخالق سبحانه •

وحزب الشر ويقوده الشيطان ويلتف حوله مرضى النفوس والكافرين والمفسدين فى الأرض وتدور رحى الصراع بين الحزبين فيقل حزب الشر ويزداد حزب الخير حتى تكون كلمة الله بالنصر لحزب الخير فينتصر النبى على حزب الشر ويقضى عليه ويحذرنا الخالق من الشيطان كقول الله سبحانه وتعالى فى هذا الصدد :

« وزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم » (١) •

ويقول أيضا :

« يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » (٢) •

ويقول أيضا :

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » (٣) •

ثانيا — العمل :

العمل يوفر للانسان حاجاته الأولية كما يوفر له راحته النفسية لقيامه بدور هام بتأمين حياته وحياة أسرته لا حياة الآخرين • ويدفع عجلة المجتمع الى الرقى والتقدم (٤) •

ووظيفة الانسان الأساسية فى الاسلام ترقية الحياة فى المجتمع بموجب استخلافه فى الأرض ولا يتم تطوير الحياة بغير العمل •

---

(١) النحل : ٦٣ •
(٢) البقرة : ١٦٨ — ١٦٩ •
(٣) البقرة : ٢٦٨ •
(٤) دكتور عبد الغنى عود : الفكر التربوى عند الغزالى دار الفكر العربى ص ١١١٤ •

ووضع الاسلام انتقال الثروة من شخص لآخر عن طريق الكسب عن طريق عمل تجارى أو عمل يدوى أو عن طريق وراثة •

وضح الخالق الطرق المحرمة والاستحواذ على المال كالسرقة والاغتصاب ، والغش والخيانة والرشوة والاختلاس والبغاء والاحتكار والربا والنصب والاحتيال عن طريق صناعة الخمور وتجارتها (١) •

كما وضح الاسلام المصارف المالية على الأسرة والسائلوالمحروم وابن السبيل وحقوق الجماعة فى المال •

وليس العمل فى الاسلام بكسب العيش وضمان الرزق وانما يشمل عمل العقل والفكر حتى يعود على المجتمع الاسلامى بالنفع الكبير كما أن العمل لايكون بغير علم على أساس أن العلم يطور الطرق والوسائل والادوات التى يستخدمها الانسان فى عمله ويزيد من الانتاج (٢) •

وحيث يقول الامام الغزالى فى هذا الصدد :

« العمل بغير علم لايكون » •

والعلم وحده لايقرب الانسان الى الله بل بالعلم والعمل يجعل الانسان قريبا من خالقه ويفضل الفرد على آخر بهذين الوسيلتين •

فالعلم يرقى العمل الانسانى ويطوره •

وقد فرض الاسلام العمل على الانسان حتى ولو كان غنيا ويعفى عنه العاجز فيلتزم المجتمع بتوفير معاشه هو وأسرته •

سابعا ــ أنبيــاء الله :

لم تكن قصص الأنبيــاء التى وردت فى القرآن الكريم الا دعوة صريحة وواضحة الى معرفة الخالق والايمان به مع العمل الصالح الذى يعود على حياة الفرد والمجتمع بالنفع الكثير ، وأن

---

(١) نفس المرجع ص ١١٥ •
(٢) نفس المرجع ص ١١٦ ــ ١١٧ •

يفسح المجـال أمام العلماء لدراسة الأمم السابقة ومعرفة حضـارتها وعوامل قوتهـا وأسباب ضعفها والنتـائج الوخيمة التى تعود على المجتمع المعاند لدعوة الأنبيـاء •

كما أن القرآن الـكريم لم يسرد قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سردا تفصيلا ولم نحظى بأى تفصيلات عن حياة أى نبى من الأنبيـاء عليهم السلام أو تاريخ أمته بل اقتصر على شرح القضـية الأساسية وهى الصراع بين الحق والباطل والخير والشر — ولم يركز على مايفعله الملوك بالتفصيل فى مجتمعاتهم بل ركز من زاوية ظهور النبى ودعوته ومدى تقبـل هـؤلاء الملوك لهـذه الدعـوة أو مدى معارضتهم لهـا •

ساند الخالق أنبيائه بنصرهم تارة أو بالمعجزات تارة أخرى حتى يقتنع الناس بما جاءوا به فيدخلون فى دين الله أفواجا •

وكانت دعوة الأنبيـاء تقوم على رفض ألوان التسـلط البغيض على عقول النـاس وأيضا التعصب لـكل قديم دون التفكير فى عوامل فساده وعدم افساح المجال للأفكار الجديدة التى فيها مصلحة المجتمع وانما قامت دعوتهم على قوة الايمان بالخالق •

لقـد أوجدت الأفـكار القديمة التى سادت العصور التـاريخية المختلفـة انفصـالا وخصـومة بين الانسان وذاته التى تشمل العقل والروح والجسد •

ففلاسفة اليونان أشعلوا خصومة شـديدة بين الجسد والعقـل وأنزلوا العقل فى طبقـة سامية الشأن • فالفيلسـوف فى نظرهم ذو عقل راجح وبه يسـود المجتمع الذى يعيش فيـه فاهتموا به ، أما البوذية فقد أشعلت الخصومة الى حد كبير بأن أعطت الروح قـوة وانطلاقا فى مجالات الـكون الغيبية وأهملت الجانبين الآخرين •

أما اليهودية فقـد سودت الجسد على الجانبين الآخرين وكانت رسالات الله على أنبيـائه أن تعود هذه الجوانب الثلاثة « العقل —

والروح — والجسد » الى العمل متماسكة متكاملة تحت سيطرة خالقها وبهذا العمل يعود الانسان الى طبيعته الأولى التى فطرها الله عليها حيث يقول الخالق :

« فطرة الله التى فطر الناس عليها ولا تبديل لخلق الله » (١) •

« فالأنبياء جميعا أمة واحدة جاءوا بدين واحد هو عبادة الله رب السموات والأرض والانسان مخلوق وخليفة الله على الأرض خلق ليمارس طبيعته ويرقى حياته متخذا الأسباب والمسببات التى علم اياه بها ، فاذا أهمل الانسان جانبا من جوانبه الثلاثة (العقل — الروح — الجسد) أو اهتم بجانب منهم اهتماما شديدا اختل توازنه واختل الكون معه ولهذا جاء الأنبياء بمنهج واحد من الخالق لوضع الانسان فى مجاله الطبيعى الذى خلقه الله به •

« وما دام مصدر النبوات واحد ، وهو الله سبحانه وتعالى فانه لابد أن يكون هناك اتفاق بين هذه النبوات فى (الأساسيات) •• » (٢) •

والدارس بعمق فى قصص الأنبياء يلاحظ مايلى :

أولا — لاينجو أى رسول أو نبى من البلاء وكلما عظم البلاء لدى النبى زاد شأنه وعظم قدره لدى الخالق •

ثانيا — ضرب الله أمثلة كثيرة فى هذا البلاء ، فمثلا نوح عليه السلام كذبه أهله وعشيرته ألف عام الا خمسين ، وابراهيم طرد من داره ورمى به فى النار ، وموسى فر هاربا خوفا من الاعتقال ومؤامرات القتل واتهم بالسحر والجنون والكذب وعيسى افتروا عليه وعلى أمه زورا وبهتانا وتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لكثير من الأذى من قريش ، مالم يتعرض له الأنبياء به قبله ، كما

---

(١) الانبياء : ٩٢ •
(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الفكر التربوى عند الغزالى دار الفكر العربى •

اتهم بالجنون والسحر والكذب وتعرض للقتل والحروب والمؤامرات•

ثالثا — قصص الأنبيـــاء مختلفة عن بعضها فقصة يوسف تعرضه يرى حلما وقصـــة ابراهيم تعرضه فتى يافعا ونظر للسماء مفكرا فى ملك الله وقصـــة داود تعرضـــه شـــابا مندفعـــا فى حـــروب مـــريرة مع جالوت •

رابعا — بعض القصص تعتمـــد على السرد المفصـــل للحوادث وأخرى يهمل هـــذا السرد وتعتمـــد على الايجـــاز فتختلف القصص طولا وقصرا فى عرضـــها •

خامسا — وتختلف طريقة العرض من قصـــة لأخرى أو منهـــا الصراع بين الخير والشر والصراع بين الانسان وظروف حياته وأهوائه أو الصراع بين الطين والروح والصراع بين النبى وزوجته أو أهـــله أو ابنـــه أو أبوه (١) •

لقـــد وضـــعت هـــذه القصص بكل دقة مقاييسا للجمال والحق والخير تستطيع الانسانية أن تصل اليهم بما لديها من عقل وروح •

ثامنا — العلم الاســـلامى :

وضح القرآن الـــكريم فى آيات كثيرة فضل العلم والعلماء حيث يقول العزيز الحكيم :

« شـــهد الله أنه لا اله الا هو والملائـــكة وأولو العلم قائمـــا بالقسط » •

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » •

وقال تعـــالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » •

ويقول أيضـــا :

« قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » •

---

(١) احمد بهجت : انبياء الله : مطابع الشروق : طبعـــة سادســـة ١٩٧٩ ص ٢١ — ٢٦ •

وقال عز وجل :

« وقال الذين أوتوا العلم ، ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« العلماء ورثة الأنبياء » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« يستغفر للعالم مافى السموات والأرض » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه « ياكميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، المال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالانفاق » .

وقال أيضا رضى الله عنه « كل يوم لا ازداد منه علما فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم ، وليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك » .

وبمثل هذا الأسلوب حث الاسلام المسلمين على الأخذ بالعلم وحينما فعلوا ذلك أنارت الأمة الاسلاميةالطريقالى كافة البشر ، لقد تغير المجتمع القديم وتحلى بمثل عليا جديدة وكان الفضل فى ذلك للاسلام ولرسول الله عليه الصلاة والسلام .

لقد كرم الله المسلمين حينما قال عز وجل :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » (١) .

---

(١) العلق : ١ — ٥ .

يقصد الاسلام بالقراءة نوعين همـا :

أولا — قراءة الـكتب والآثار التى تركها العلماء السابقين لمعرفة الأجيـال السابقـة وأحوالهم وطرق معيشتهم والحوادث التى مرت عليهم وحضارتهم التى بنوها وأسـباب قوتهـا وفسادهـا واندثارها فى النهـاية •

ثانيا — التعرف على ما يدور فى الكون ويحصل على هذه المعرفة بطريق الحواس ، والبحث فى الـكون لمعرفة أسراره وخصائصـه •• والهـدف من هـذين النـوعين فى القـراءة هـو أن يتمكن المسلم من الوصـول الى خالقه ويعرف سـبب وجوده على الأرض ويكون خليفـة الله على الأرض ويرقى الحياة عليها ويطورها ولا يتأتى ذلك الا بالعمل الجاد المثمر •

لم تمض أعوام قليلة على هذه الدعوة الصريحة من الاسـلام حتى تعرف المسلمون الأوائل على الحضـارات المجاورة بشبه الجزيرة العربيـة فاغترفوا منها مايتناسب مع دعوة دينهم الجـديد وصبغوا ما أخذوا — بالصبغة الاسلامية ، ثمأضافوا عليه الكثير من قرائحهم•

لقـد أضـاء الاسـلام عقول العلماء من ظلام العصور السابقة وأباح لهـا البحث فى الأرض وأعمـاقها والبحار وأغوارها وفى الأفق وأبعادها مستخدما الادوات والوسائل فحصل على نتائج مذهلة •

وانطلق علماء المسلمين الى تقسيم العلوم الى نوعين هما علوم الدنيـا من طب وهندسة وعلوم طبيعيـة وزراعية وعلوم دينية تشمل تفسير القرآن والأحاديث وعلم الأخلاق وغيره من العلوم المختلفـة بمفهومها الحـديث ، وقـد جاء ذلك نتيجـة حرص الاسـلام على احترام حريات الآخرين سـواء فى القـول والرأى دون التعـرض لأصحابها بالسوء فى اللفظ أو البـدن واتسع الأمر حتى شمل الحرية فى العقيدة ذاتها ويقول الله عز وجل فى ذلك :

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (١) .

ويقول أيضـــا :

« لـــكم دينكم ولى دين » (٢) .

وبغض الاسلام نفوس المسلمين من السخرية من الآخرين وتسفيه أقوالهم وآرائهم بل حض على احترام بعضهم البعض لأنهم مخلوقات الله عز وجل كقوله :

« يا أيهـــا الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » (٣) .

ولم يفرض الاسلام العلوم فرضا وانما ترك لهم حرية الاختيار للعلوم حسب ميولهم واستعدادهم ومن هنا ظهر العلماء بتخصصاتهم المختلفـــــة .

« وخلق الاسلام المسلم بما تقتضيه مكانته من الخلافة بأن يحيط علما بما يدور حوله فى الكون من كائنات وأسرار وأن يحيط فيها علما بالخالق سبحانه وتعالى وبمجرد ظهور الادراك والنضج لدى الفـــرد المسلم يعمل الاســـلام على تنمية ملكاتهما لديه ، ومن ناحية أخرى اختلف نظـــام المجتمع الاســـلامى عن غيره من المجتمعـــات الأخرى المجاورة له وجميع أفراد المجتمع يقومون بحكم ذواتهم عن طـــريق الرقابة الذاتية للفرد ، فالاسلام يقيم وازعا داخليا فى الانسان يبعده عن الفعل السىء ويوجهه نحو الخير والفضـــيلة ويكون أفراد المجتمع الاســـلامى كل حاكم لذاته وليس هنـــاك فرد واحد يدعى لنفســـه مثالية يحكم بهـــا الجميع وفوق الرقابة الباطنيـــة فى الانسان المسلم رقابة أخرى ممثلة فى الشريعـــة الاسلامية التى ليست ملـــكا لأحـــد يوجههـــا كيـــف شـــاء بل هى ثابتـــة يخضـــع لهـــا الجميع حاكمين ومحكومين » (٤) .

لقد خلق الاســـلام من الفرد المسلم والمجتمع نمطا واحدا مع ازالة الفوارق بين الطبقات .

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) الكافرون : ٢ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

(٤) أنظر الفكر التربوى عند الغزالى : دكتور عبد الغنى عبود ص ١٢٠ دار الفكر العربى .

وأهداف الاسلام كثيرة منها ايجاد المؤمن بربه واقامة عـدالة اجتماعية حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » •

ويقول العزيز الحكيم :

« يا أيها الناس انا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) •

واحترام العمل والدعوة الى المعرفة •

وللاسلام خصائص يمتاز بهـا عن غيره ومن أهمهـا تـكريم الانسان حينما يعرف من العلم مايساعده على أن يطور حياته ويسعى على تنمية قدراته واستعداداته وميوله وقـد حث الاسـلام على إستخدام البصر والأذن والعقل فى البحث فى أسرار الكون وخصائصه• الـكون وخصائصـه •

عرف علماء المسلمين كل هذا فمدوا أفكارهم الى مجالات البحث المختلفـة واستعانوا بما حصـلوا من تراث قـديم من الحضـارات السابقـة فظهرت العلوم المختلفـة لمفهومها الحديث بفضل الاسلام الذى وضعهم على قارعة الطريق العلمى •

وحين تمت معرفـة الفـرد المسـلم لخالقـه ظهـرت علوم التوحيد والشريعة والفقه وحينما بـدأ الانسـان يتعرف على أسرار وخصائص الكون تعددت العلوم الطبيعية والهندسة والفلك والجغرافيا والزراعة وعلم الحشرات وسلوكياته وعلم الحيوان •

وحينما تعرض الانسان لمرض ظهر علوم الطب وأيضـا حينما تعرضت حيـاته بالافساد ظهر علم الأخلاق وعلم الاجتماع والفلسفة ومن خلال معرفته لقصص الأنبيـاء تعلم السرد التـاريخى فظهـر التاريخ بمفهومه الحديث ومن خلال معرفتهم بالشيطان كعدو لدود •

---

(١) الحجرات : ١٤ •

ظهر علم النفس الذى يبحث فى سلوكيات الانسان السوية منها وغير السوية وضـعف الشخصية واتبـاع الهوى لتعطينـا أنماطـا مختلفة عن السلوك الانسانى .

عوامل تطور العلم الاسلامى :

نجحت الثورة الاسلامية التى حمل لواءهـا كافـة المسلمين فى العالم الاسلامى فى اقامة ثقافة اسـلامية حررت العقل الانسـانى وأسقطت أمامه جميع الحواجز والقيود فانطلقت العقليـة الاسلامية فى المشاركة فى الناحية الثقافيـة العالية فأعطوها كل خبراتهم ونتائج قراءتهم وأفـكارهم فازدهرت الثقافة ازدهارا كبيرا ويرجع ذلك الى عـدة عوامل أولها :

ان الفرس كانوا فى طليعـة حركة الترجمة التى ظهرت فى أوج عظمتهـا من الفارسية الى العربيـة فى عصر المأمون ويرجع الفضـل الى أولئك الذين أجادوا اللغـة العربية والفارسـية معـا وظهروا فى ميادين العلم والمعرفة والتدوين والتأليف .

أما العامل الثانى الذى ساعد على الانطـلاق العلمى ــ الذى جاء نتيجـة امتزاج الثقـافة الاسـلامية بالثقافـة العربيـة بأن ولاة الدولة العبـاسية نقلوا العلمـاء وشـجعوا العـلم فى داخل ولاياتهم فقـامت حركة التأليف والقاء المحـاضرات وعقـد المناظرات العلمية وصار بلاطهم مثل بلاط الخليفة ذاته .

والعامل الثالث فقد شهد العـالم الاسـلامى فى القرن الرابع الهجرى ظهور أكبر مدرستين المدرسة الأولى كانت فى الفسطاط وكان طابعهـا دينى بحت ودرس فيهـا علوم القراءات لأول مـرة وعلم الفقـه والحديث فذاع صيت هذه المدرسة فانطلق اليهـا العلماء من كل فج عميق للدراسة والتـدريس وقـد استقر فيها الامام الشافعى وعمل على نشر مذهبـه وعقد المناظرات بين مذهبه والمذاهب الأخرى وبهذا خلق نهضة علمية جديدة فى نوعها .

أما المدرسة الثانية فهى مدرسة القيروان التى ظهرت فى تونس وساعد على نموها وازدهارها الأغالبة الذين شجعوا حلقات التدريس

فى مساجدها وجلبوا العلماء اليها من أعماق الشرق وفرغتهم للتدريس والبحث العلمى •

لعبت هذه المدرسة دورا هاما ، فى انتشار العلوم الدينية فى بلاد المغرب مما أدى الى جذب علماء قرطبة للدراسة والبحث العلمى وقد وقفوا أمام المعتزلة وتمسكوا بالكتاب والسنة حتى انتصروا عليها فى النهاية •

وعلى هذا النمط قامت المدارس فى أنحاء الدولة الاسلامية وقد رحل بعض الصحابة الاجلاء اليها •

والعامل الرابع بأن قامت الدولة العباسية بالقضاء على الفتن والثورات التى اندلعت منذ مقتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث وقد شملت هذه الثورات العالم الاسلامى •

لقد ساعد الهدوء والأمان الى ظهور طبقات جديدة زادت من دخلها ونالت مزيدا من الحرية مما ساعدها الى الاتجاه العلمى والدراسة والبحث والتردد على حلقات التدريس •

والعامل الخامس فقد لعب الخلفاء العباسيون دورا هاما فى الحياة العلمية فشجعوا العلماء والشعراء وأفسحوا لهم المجال وفتحوا قصورهم كمنتدى يقال فيه الشعر والأدب وحلقات المناظرة •

كما أن الخلفاء اقتنوا المكتبات التى تحتوى على كتب علمية نادرة مختلفة فى العلوم وضعوها فى متناول الجميع وبهذا كله جذبوا العلماء من جميع أنحاء الدولة الاسلامية طلبا للعلم •

أما العامل السادس فهو حركة تدوين التراث العربى وهذا نتيجة رغبة العلماء فى غذاء عقلى وروحى يكون فى متناول أيديهم فى أى لحظة كما أن الفرق الاسلامية المختلفة والتيارات السياسية لم تعد تتقبل سماع التراث مشافهة وانما تسعى الى شىء مدون يؤيد وجهة نظرها ويساعدها بالوقوف فى وجه معارضيها مع وجود صناعة الورق

التى ظهرت أخيرا كل هــذا أدى الى تدوين اللغــة والآداب والحديث والأخبـــار •

أما العامل السابع فهو نتيجــة العــلاقات الطيبــة بين الدولة الاسلامية وجيرانها مما ساعد على وجود بعثـــات علمية متبــادلة مع شراء الــكتب التى أدت الى وجود حركة جديدة وفريدة من نوعهــا وهى حركة الترجمة التى ساعدت الثقافة على سرعة انتشارها •

وما أن انقضى القرن الرابع الهجرى حتى كان العالم الاسلامى يبنى حضارته على أحدث أسلوب علمى عرفته الانسانية منذ نشأتها• ومن هذا الأسلوب العلمى أخذت أوربا ما يتنــاسب مع حياتها فظهر البحث العلمى الحديث وتعددت العلوم وارتقى الانســان بوســائل حيــاته المادية حتى نسى نفسه فتعرض لــكثير من الأمراض النفسية التى نراها اليوم وغمرت عصور مظلمة على العــالم الاسلامى أفقدته ماكان يرجو من حيــاته الروحية فى انتشال حياته المادية التى تسعى بخطى واسعة الى دماره •• ومن هذا كثرت الدعوة الى الرجوع الى الحياة الروحية الاسلامية والتى نحن بصدد الى بحثها وعرضها بدون أى شوائب •

الفصل الثانى

المــذاهب الصوفيــة

أولا ـ التوبــة :

يختلف الانسان عن بقية المخلوقات والكائنات التى تسكن معــه على هــذا الــكوكب ، فقد خلقه ربه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائــكته وعلمــه أسماء كل شىء وأظهر فضــله على الملائكة وجميع المخلوقات وطرد ابليس من رحمته واتخذه عدوا له •

والانسان بطبيعة الحال خلق ضعيفا يتقاذفه صراع مع نفســه وصراع مع عــدوه اللدود الذى لايتعب ولا يمل الوسوسة له حتى يقع فى المحظور ويرتكب الذنوب التى تعرضــه للعقــاب الشــديد والعــذاب الأليم •

هذه الذنوب لو أعددنا لها احصــائية لفاقت المــلايين يرتكبهــا الانسان دون أن يدرى وقــد يكون مصدرها الانسان ذاته عن طريق حواسه (المادى) أو فكره (العقل) أو احساسه ووجدانه (القلب والروح) يرتكبها فى حق نفسه وأسرته أو مجتمعه ، ورحمة به أوجد الله سبحانه وتعــالى ســترا لهــذه الذنوب أو غســلا له منها عن طريق التوبــة •

ومعنى التوبة ألا يقترف صــاحب الذنب أى ذنب آخــر وأن يبتعد عن كل عمل فاسد أو فعل فاحش أو تفكير ضــال أو ظن سىء ولا يستمع الى هوى نفسه أو وسوســة الشيطان ، وقــد حث الله سبحانه على التوبة وربط بينها وبين الفلاح والنجاح لعباده المؤمنين حيث قال عز وجل :

« وتوبوا الى الله جميعـــا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) ٠

كما قرر الاسلام أن التوبة حقيقية اذا أقلع الفرد المــذنب عن العودة الى ارتــكاب الذنب مرة أخــرى ٠٠ حيث يقول الله العزيز الحكيم :

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا » (٢) ٠

وأن يتوب الانسان من ذنوبه ومن غفلته قبل أن يأتيه الموت فلا تقبل منه التوبة حيث يقول الله عز وجل فى ذلك :

« انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحــدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الــذين يمــوتون وهــم كفــار أولئــك أعتــدنا لهم عــذابا أليمــا » (٣) ٠

ومن يغفر الذنوب ويقبل التوبة الا الله سبحانه وتعالى حيثقال فى كتابه العزيز :

« غافر الذنب وقابل التوب شــديد العقــاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير » (٤) ٠

ويحذر الاسلام النــاس من الشماتة والسخرية حينما يفتضح أمر صــاحب الذنب ، فالسخرية منه والشماتة فيــه أقبح من الذنب ذاته ربما يكون صاحب الذنب عند ربه أحسن بكثير من الساخر أو الشامت فيــه لأن الذنب قــد أجرت فيه الذلة والخضوع والوقوف أمام ربه منكس الرأس خاشع الطرف منكسر القلب ٠

ويقول الله عز وجل فى هذا الصدد :

« يا أيهــا الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا

---

(١) النور : ٣١ ٠
(٢) التحريم : ٨ ٠
(٣) النساء : ١٧ — ١٨ ٠
(٤) عافر : ٣ ٠

خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم » (١) •

وللتوبة عادة ثلاثة شروط هامة هى :

١ — الندم على ماسلف منه فى الماضى •
٢ — الاقلاع عن هذه الذنوب وعدم الاستمرار فيها •
٣ — العزم بعدم العودة الى ارتكابها فى المستقبل والاعتذار عنها يقول صادر من القلب طالبا العفو والغفران من الله •

« اللهم لا براءة لى من ذنب فأعتذر ، ولا قوة لى فأنتصر ولكنى مذنب مستغفر اللهم لا عذر لى وانما هو محض حقك ومحض جنايتى فان عفوت والا فالحق لك » •

وهناك نوعان من الاعتذار :

١ — اعتذار ينافى الاعتراف بالذنب كقول المذنب « يارب هذا قضائك وأنت حكمت على وأنت كتبت على ••• » •
٢ — اعتذار يقرر الاعتراف بالذنب كقول المذنب « يارب أنا ظلمت وأخطأت ، واعتديت على فلان ••• » •

ولا تتم التوبة الا اذا عظم الذنب فى نفس صاحبه فالاستهانة بالذنب لا يندم صاحبه عما فعل وهناك نوعين من التوبة هما :

١ — توبة للعلل : يتوب صاحب الذنب من ذنبه اذا شعر بضياع ماله أو خاف على منصبه وعرضه وأولاده •
٢ — توبة الخشية : يتوب صاحب الذنب خوفا من الله وتعظيما له واجلالا له وخشية الطرد من رحمة الله ، ولقبول التوبة عدة شروط من أهمها :

---

(١) الحجرات : ١١ — ١٢ •

١ — أن تكون حال صاحب الذنب خيرا مما كان قبلها .

٢ — أن يكون الخوف مصاحبا له لأنه لا يأمن مكر الله .

٣ — انخلاع قلبــه وتقطعه ندما وخوفا .

٤ — الذلة والخضوع لله .

وعدم قبول التوبة يرجع الى عاملين :

١ — وقوف صاحب الذنب من نفسه واثقا بأن التوبة قد قبلت.

٢ — استمرار الغفلة عن الذنب ولا يتبع التوبة أعمالا صالحــة ويلعب العلم فى التوبة دورا هاما فى حياة المسلم صــاحب الذنب ، فالعلم معنــاه المعرفة واختفاء الذنوب ، فيتألم القلب ويحزن بسببه ، فالألم عند الغزالى معنــاه الندم ولا يخلو من علم وهذا العلم هو معرفة الخير والشر ومعرفة الذنوب وخطرها على حياة الانسان .

ويوضح لنا الامام عبد القادر الجيلانى وهو من أئمة الصوفية التوبة فى أربعة نقاط هامة هى :

١ — أن يملك صاحب الذنب لسانه من الغرور والغيبة والنميمة والــكذب .

٢ — لا يحمل فى قلبه حسدا ولا عداوة لأحد .

٣ — أن يترك اخوان السوء لأنهم يضيعون عليه فرصة التوبة.

٤ — أن يكون مستعدا للموت نادما — مستغفرا من ذنوبه وقــد سئل الحسن رضى الله عنه عن التوبة النصوح فقال :

« هى ندم القلب واستغفار باللســان ، وترك بالجوارح واضمار أن لا يعود اليه » .

وقال أحد الصوفية « ان التوبة عنــدهم هى التوبة من التوبة أى أن يتوب الانسان عن قلة صدقة فى فعله ، فالمعروف أن الانسان يتوب من الاثم أو الذنب الذى يفعله أهل الظاهر ، أما أن يتوب من التوبة ذاتها فهذا معناه عدم التفكير فى الاثم أو الذنب أو فى موضوع التوبة ذاتهــا لأنه اذا فكر فى التوبة تذكر الاثم ومعنى ذلك أن عليه

أن ينسى ذنبه كما عليه أن ينسى توبته التى كانت سببا فى ذنبه ، أى أن يتوب من ذكر كل شىء سوى الله عز وجل ، أى يكون الانسان لله كلية ، وهذا منتهى غاية الواصلين » (٦) .

فالتوبة حلقة الاتصال بين الانسان وربه فلما عصى آدم أبو البشرية ربه ندم على مافعل فرحمه الله بالتوبة بأن علمه كلمات فتاب بها عليه . ولهذا فرضت التوبة على كل مسلم مؤمن بالله ويرغب فى الرجوع الى ربه طاهرا فى الملبس والقول والفكر والقلب فيصدق فيه قوله تعالى :

« ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (٧) .

ومن الأحاديث الشريفة التى اعتبرها الصوفية عمرة لأحوالهم ومقاماتهم قوله صلى الله عليه وسلم :

« يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب فى اليوم اليه مائة مرة » (٨) .

ان التوبة من ذنب ، هو بفعل ضده وقد اشترط الله فى توبة القائمين بالنية كقوله تعالى :

« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » (٩) .

واشترط فى توبة المنافق الاخلاص كقول الله :

« ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا وأعتصموا وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع

---

(٦) الدكتور حسن محمد الشرقاوى : ألفاظ الصوفية ومعانيها : دار المعرفة الجامعية طبعة ١٩٨٣ ص ١٠٤ .

(٧) البقرة : ٢٢٢ .

(٨) صحيح مسلم طبعة دار الشعب جـ ٥ ص ٥٥٣ باب استحباب الاستغفار .

(٩) البقرة : ١٥٩ — ١٦٠ .

المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما » (١٠) .

وباب التوبة مفتوح للجميع من أراد الرجوع الى الله سبحانه وتعالى عليه أن يتطهر ويقلع عن الذنوب ويتوب توبة نصوحا لا رجوع الى ارتكاب أى ذنب .

ثانيا — الذكر :

ورد فى القرآن الكريم العديد من الآيات التى تحض على ذكر الله سواء كان بالقلب أو باللسان ونستعرض هذه الآيات لنرى مدى أهمية الذكر بالنسبة للمسلم كقوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما » (١١) .

وقوله تعالى :

« اذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة » (١٢) .

واذا نسى الانسان ربه أنساه الله نفسه كقوله تعالى :

« ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » (١٣) .

ويوضح الخالق للمسلمين بأن الذاكر لله قد أفلح بأن غفر له ذنوبه وأعد له حياة طيبة فى الدنيا والآخرة كقوله تعاى :

« اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١٤) .

وقال أيضا :

« ان المسلمين والمسلمات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد

---

(١٠) النساء ١٤٥ — ١٤٦ .
(١١) الاحزاب : ٤١ — ٤٤ .
(١٢) الاعراف : ٢٠٤ .
(١٣) الحشر : ١٩ .
(١٤) الانفعال : ٤٥ .

الله لهم مغفرة وأجر عظيما » (١٥) •

ومعنى الذكر هو استحضار الله سبحانه وتعالى فى القلب كما أن الله يذكر عبده الصالح فى الملأ الأعلى ويعطيه الأجر (١٦) •

• وقد فرض على المسلم أن يذكره عقب كل عبادة يقضيها لأن ذكره ينهى عن الفحشاء والمنكر كما أن الذكر يعطيه الشحنة القوية من الايمان ليستمر فى عبادته لله عز وجل •

١ ــ عقب الصلاة كقوله تعالى :

« فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم » (١٧) •

وكذلك عقب صلاة الجمعة كقوله تعالى :

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١٨) •

٢ ــ عقب قضاء مناسك الحج كقوله :

« فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » (١٩) •

٣ ــ عقب الصيام كقوله :

« ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم لعلكم تشكرون » (٢٠)

٤ ــ توضيح وربط بين الكون وبين ذكره لأن من اختصاص الذاكرين الانتفاع بآيات الله عز وجل كقوله تعالى :

---

(١٥) الاحزاب .
(١٦) دكتور محمد الشرقاوى : الفاظ الصوفية ص ١٦٤ .
(١٧) النساء : ١٠٣ .
(١٨) الجمعة : ١٠ .
(١٩) البقرة : ٢٠٠ .
(٢٠) البقرة : ١٨٥ .

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهـار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا » •

٥ ـ ان روح الحج ولبـه ذكـر الله كما قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم :

« انما جعل الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمـار لاقامة ذكر الله » •

٦ ـ وسط المعارك الحربية وحين ملاقاة الأعداء كقول الله :

« يا أيهـا الذين آمنوا اذا لقيتم فئـة فاثبتوا واذكـروا الله لعلكم تفلحون » (٢١) •

وللذكر عـدة أنواع منها :

١ ـ الذكر الظاهرى (أى استخدام اللسان فقط) ينقسم الى ثلاثة أقسام هى :

(أ) ذكر يثنى به على الله مثل سـبحان الله ، والحمـد لله ولا اله الا الله والله أكبر •

(ب) ذكر دعاء كقوله تعالى :

« قالا ربنا ظلمناأنفسنا وانلمتغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٢٢) •

(ج) ذكر رعاية من الله حيث يقـول الـذاكر : الله معى ، الله ناظر الى •

٢ ـ الذكر الخفى وينقسم الى ثلاثة أقسام :

(أ) ذكر بمجرد القلب •

(ب)ذكر التخلص من الغفلة والنسيان •

(ج) ذكر مناجاة القلبللربخشية ورغبة وحبا وثناء واستعظاما•

---

(٢١) الانفعال : ٤٥ .
(٢٢) الاعراف : ٢٣ .

٣ — ذكر الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن وان الله يباهى ملائكته بهؤلاء الذاكرين له •

ويرى بعض الصوفية ان الذكر ليس معناه اهتزاز جسم الانسان وانما الذكر يكون فى القلب لأن الذكر توبة وتطهير حيث يقول الله عز وجل :

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر » (٢٣)•

وأن يراعى الذاكرين مايلى :

١ — الذكر بالقلب •

٢ — لا ينفصل القلب والعقل عند الذكر •

٣ — أن يحذر الذاكر الغفلة كالنوم •

وقد وضح الله سبحانه للذاكر من الخير فى الحديث القدسى كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث قدسى عن الله تعالى (قال الله عز وجل • أنا عند ظن عبدى وأنا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقرب منى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة) •

وبذا يكون الذكر مذهبا اتخذته الصوفية لطريقها •

ثالثا — الخوف :

يحذرنا الله سبحانه من الخوف من المخلوقات أو من ضياع المناصب أو الفقر وقد فرض سبحانه وتعالى على المسلمين الخوف منه كقوله تعالى :

« فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (٢٤) •

---

(٢٣) العنكبوت : ٤٥ .

(٢٤) آل عمران : ١٧٥ .

وقـــال أيضـــا :

« واياى فارهبون » (٢٥) .

وقال سبحانه وتعالى :

« فلا تخشون النـــاس واخشون » (٢٦) .

ومعنى الخوف هو الخروج من الطمأنينة وذلك ان المسلم يغلب عليه الخوف لمعرفته الوعـــد والوعيـــد والترغيب والترهيب للخـــوف ثلاثة أنواع هى :

١ ــ خوف العامة : اضطراب قلوبهم حين سماعهم الوعد والوعيد .

٢ ــ خوف الاساوط : خوفهم من قطيعة الله سبحانه وتعالى .

٣ ــ خوف الخاص : خوف حب وتكريم وخشية من الله .

ويقسم الامام حامد الغزالى حقيقة الخوف الى قسمين :

القسم الأول : بقدر معرفتنا بالحق يكون خوفنا .

القسم الثانى : بقـــدر معرفتنـــا بأنفسنا وعيوبهـــا والأخطـــار المحيطة بها يكون خوفنا .

ويقول أبو حفص فى الخوف :

« الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه » .

قال ذو النون « النـــاس على الطريق مالم يزل عنهم الخوف ، فاذا زال عنهم الخوف ضلوا » .

كما هناك توبة بعلم كما ذكرت فتوجد خوف بعـــلم وهى أعلى درجات الخوف كقوله تعـــالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » (٢٧) .

---

(٢٥) البقرة : ٤٠ .

(٢٦) المائدة : ٤٤ .

(٢٧) فاطر : ٢٨ .

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

« انى أتقاكم لله وأشدكم له خشية » •

وهناك أنواع كثيرة من الخوف منهـا : ـــ

١ ـــ الخوف لله · لعامة المسلمين والمؤمنين •

٢ ـــ الخشية لله · للعلماء والعارفين بالله •

٣ ـــ الهيبـــة لله : للمسبحين لله •

٤ ـــ الاجلال لله : للمتقربين •

وعلى قـــدر الذى يحصل عليه الفرد المسلم من العلم والمعرفة تكون خشيته وخوفه حيث يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام •

« انى لاعلمكم بالله وأشدكم له خشية » •

فالخائف من ربه هارب اليه حيث قال أبو سليمان :

« ما فارق الخوف قلبا الا خرب » •

وقال ابراهيم بن سفيان :

« اذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها » •

وللخوف عدة درجات متفاوته فيما بينها منها :

١ ـــ الخوف من العقوبة : يتولد نتيجة التصديق بالوعد والوعيد ويؤمن به عامة المؤمنين ، والخوف هنا يدل على صحة الايمان •

٢ ـــ خوفا من المكر : وهو من حسن الاعمال التى نعملها وتبديل حالنا من الانس الى الوحشة •

٣ ـــ خوف أهل الخصوص : وهو يكون وقت تضرع العبد للرب باستعطافه بأسمائه ومناجاته بكلامه •

والقلب دائما يكون الغـــالب عليه الخوف فان غلب عليـــه الرجاء فسد وبالتالى فسدت أعمال صاحبه •

ويحدثنا الشيخ السمرقندى عن مالك بن دينار قال :

« اذا عرف الرجل نفسه علامة الخوف وعلامة الرجاء ، فقد استمسك بالامر الوثيق وعلامة الخوف هى اجتناب مانهى الله عنه وأما علامة الرجاء فهى العمل بما أمر الله به » [٢٨] .

ونتيجة الخوف يحاول العبد المؤمن بكل طاقاته أن يمنع نفسه من الوقوع فى المخالفات ويشتد مع نفسه اشتدادا كبيرا ويمنعها من المحظورات وهذا ما نطلق عليه الورع والتقوى .

ويرى بعض المتصوفة :

« أن ينقل قلبك من وطن الدنيا مسكنه الى وطن الآخرة ثم تقبل به كلية على معانى القرآن واستجلائها وتدبرها ، وفهم مايراد منه وما نزل لاجله وخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته ونزلها على داء قلبك » [٢٩] .

وثمرة الخوف فى النهاية قوة الايمان بالله عز وجل .

رابعا التوكل :

للتوكل تعريفات وتفسيرات كثيرة منها : —

١ — عمل قلبى ليس باللسان ولا عمل الجوارح .

٢ — علم القلب بالله سبحانه وتعالى .

٣ — الاسترسال مع الله عز وجل .

٤ — الرضى بالمقدور وأن يرضى بما يقدره الله .

٥ — الثقة بالله والطمأنينة والسكون اليه .

وهناك تعريفات أخرى للصوفية عن التوكل منها : —

قال بشر الحافى : « يقول أحدهم : توكلت على الله ، يكذب على الله ، لو توكل على الله ، رضى بما يفعل الله » .

ويقول ابن عطاء :

---

(٢٨) الامام السمرقندى : تنبيه الغافلين : طبعة١٣٧٩ص١٠١—٢٠٢

(٢٩) ابن القيم الجوزية : مدراج السالكين ص ٢ — ٢٩ .

« التوكل أن لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب من شدة فاقتك اليها ولا تزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها » •

يقول أبو سعيد الخراز : « التوكل اضطراب بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب » •

ويقول أبو تراب النخشبى : « طرح البـدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبيـة والطمأنينـة الى الـكفاية فان أعطى شـكر وان منع صبر » •

أن يثق العبد فى الله ولا يدخل فى ذلك شك فى صدره ولا يطمئن الا اذا رضى الله لانه وكيله • وهناك آيات عديدة وكثيرة لفئات مختلفة من المتوكلين نستعرضها •

١ ــ للمؤمنين كقوله تعـالى :

« على الله توكلوا ان كنتم مؤمنين » (٣٠) •

« وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٣١) •

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٣٢) •

٢ ــ لاولياء الله كقوله تعالى :

« ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » (٣٣) •

٣ ــ لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى :

« فتوكل على الله انه على الحق المبين » (٣٤) •

« قل هو الرحمن ــ آمنا به وعليه توكلنا » (٣٥) •

« وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » (٣٦) •

---

(٣٠) المائدة .
(٣١) التوبة : ٥١ .
(٣٢) الطلاق : ٣ .
(٣٣) الممتحنة : ٤ .
(٣٤) النحل : ٧٩
(٣٥) الملك : ٢٩ .
(٣٦) النساء : ٨١ .

٤ — لانبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى :
« وما لنا ألا نتوكل على الله ، وقد هدانا سبلنا » (٣٧) .

٥ — لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم. فزادهم ايمانا . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٣٨) .

وللتوكل عدة درجات من أهمها :

١ — التوكل : بداية اتصال العبد بربه ويركن الى الله فى كل أموره وهو صفة عامة المؤمنين .

٢ — التسليم : وهو التسليم لله فى كل أموره وهو صفة أوليائه .

٣ — التفويض : وهو أعلى درجات التوكل وهو نهاية مايصل اليه العبد المؤمن بالله وهو صفة الموحدين .

وهناك سؤال مطروح كيف نصل الى درجة التوكل ؟

وللاجابة على هذا السؤال فان هناك أمور لا تتم حقيقة التوكل الا بها وهى : —

١ — معرفة الله وقدرته وانتهاء الامور الى علمه وهذه المعرفة أول درجات التوكل .

٢ — أن يأخذ العبد المؤمن بالاسباب والمسببات مثلا لذلك طهى الطعام لايتم الا بايقاد النار .

٣ — أن يطرد العبد المؤمن من قلبه كل شرك وعلى قدر ايمانه يكون التوكل فاذا التفت العبد الى غير الله نقص ذلك من توكله على الله .

٤ — أن يعتمد قلب المؤمن على الله سبحانه وتعالى ويستند اليه فى كل أموره ويسكن اليه .

---

(٣٧) ابراهيم : ١٢ .

(٣٨) آل عمران : ١٧٣ .

٥ — أن يظن العبد المؤمن فى الله ظنـا حسنا .

٦ — أن يستسلم العبد لربه وينقاد له ويترك نفسه ومنـازعاتها مع ربه .

٧ — أن يلقى العبد كل أموره الى الله وهذا مايطلق عليه باسم التفويض .

٨ — أن يرضى العبـد بما يفعله ربه له وهـذا هو ثمرة التوكل وقد سئل يحيى بن معاذ عن التوكل فقال : « اذا رضى العبـد بالله وكيـلا » .

ويترتبط العلم والمعرفة بالتوكل وعلى القـدر الذى يحصـل به الفرد المسلم من المعرفة والعلم يحصل على قدر من التوكل .

وسؤال آخر مطروح ماجزاء المتوكل على الله والاجابة ما جاء فى القرآن الـكريم من آيات فى هذا الشأن كقوله تعالى :

١ — « من يتق الله يجعل له مخرجا » (٣٩) .

٢ — « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته » (٤٠) .

٣ — « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » (٤١) .

ولهذا يكون التوكل رضا بالله وكيلا فهو الذى يوجه المؤمن الى فعل الخير ويرشده الى عمل المعروف .

خامسا — الولاية :

معنى كلمة الولى فى اللغة هو القريب والمراد بأوليـاء الله الذين فازوا بالقرب من اله سبحانه وتعاى بطاعته واجتنـاب معصيته وهم فئة قليلة من المؤمنين كما فى قول الله عز وجل :

---

(٣٩) الطلاق : ٢ .
(٤٠) الطلاق : ٥ .
(٤١) الطلاق : ٤ .

« ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » [٤٢] •

وهناك عدة تفسيرات لـكلمة الولى وهى : —

١ — العالم بالله المواظب على طاعته المخلص له فى عبادته •

٢ — نصـير الله •

٣ — من آمن واتقى •

٤ — المحب لله •

٥ — الذى تولى هدايته بالله بالبرهان وتولى القيـام بحق عبوديته لله والدعوة اليه •

٦ — الاستغراق فى معرفة الله والايمان بقـدرته •

٧ — أن يتمسك بكتاب الله وسنة رسـول الله عليه الصـلاة والسـلام •

٨ — الذى يؤيده الله وينصره •

والولاية قسمان : عامة وخاصـة :
فالعامة تشمل جميع المؤمنين حيث يقول الله عز وجل :

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » •

والولاية الخاصة التى تشمل جميع المقربين الى الله بالمواظبـة على الطاعة •

وشخصية الولى فى الاسلام شخصية فريدة من نوعها فهى عملية ايجابية مع الحياة ولها منهج اسـلامى تأخذ من كتاب الله وسـنة رسول الله عليه الصلاة والسلام •

وقـد وضـح القرآن الـكريم أن أوليـاء الله هـم الـذين آمنـوا والـذين يتقـون • فى قـول الله عز وجل : « ليس البر أن

---

(٤٢) يونس : ٦٢ — ٦٣ •

تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس وأولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٤٣) •

كما أن الوالى مجاب الدعوة راضيا عن الله سبحانه وتعالى زاهدا فيما يتكالب عليه الناس من علو فى الدنيا ولا يشغل نفسه بملاذ الدنيا ولا بتحصيل أسباب الغنى ، حسن الاخلاق كريم الصحبة ، عظيم الحلم كثير الاحتمال •

وأولياء الله سبحانه وتعالى يتفاوتون فى الولاية حسب قوة الايمان بالله وقربهم من الله •

وقد قسم الامام ابن تيمية الاولياء الى طبقتين :

١ — سابقون ومقربون وهم فى جنات النعيم وهم قلة من المؤمنين •

٢ — ابرار مقتصدون : الذين يؤدون الفرائض والنوافل وهم مقربون لله فى جنات النعيم • وقد حذر الله سبحانه وتعالى بعدم ايذاء هذا الولى وان معاداته من عداء الله سبحانه وتعالى •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم •• قال الله تعالى · من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب ، وما يتقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته • كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لاعطيته ولئن استعاذنى لاعذته ، وما

---

(٤٣) البقرة : ١٧٧ .

ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره اساءته (٤٤) .

ويمكن بعـــد ذلك أن نقول ان الولايـــة نوعان كبرى وصغرى فالكبرى هى التى يتولى الله فيهـــا عبده فلا يكله الى نفسه ويحفظه فى سلوكه وســـيره ، والصغرى هى التى يتولى العبد فيهـــا طاعة الله تعالى ويحافظ على فرائضه ونوافله ، وصاحب الاولى داخل فى قـــوله تعالى : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وصاحب الولاية العامة داخل فى قوله تعالى : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » على أن أقل درجات الولاية هى الطاعة والاخلاص فى الطلب ويجتمعان فى الكبرى ويختلفان فى الصغرى (٤٥) .

وأفضل أوليـــاء الله هم أنبياؤه وأفضل الانبياء هم المرسلون وأفضلهم أولوا العزم وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمـــد صلى الله عليه وسلم .

لا يتميز أوليـــاء الله عن النـــاس فى الظاهر من الامور وغيرهم فى جميع الطبقـــات كما أن الولى ليس معصوما من الغلط ولا الخطأ بل يجوز أن يخفى عليه بعضا من علم الشريعة .

فأولياء الله هم المتقون المقتـــدون برسول الله صلى الله عليـــه وسلم يفعلون ما أمروا به وينهون عن المنكر فيؤيدهم الله بملائـــكة ويقـــذف الله فى قلوبهم من أنواره . والجنـــة درجات ، وأولياء الله المؤمنون المتقون يضعون فى تلك الدرجات بحسب ايمانهم وتقواهم . ويقول الله عز وجل :

---

(٤٤) رواه البخارى عن ابى هريرة واحمد عن عائشة والطبرانى فى الكبير عن أبى امامة ، البخارى .. طبعة دار الشعب ج ٨ ص ١٨١ .

(٤٥) محمد يوسف حموده : الصوفية واثرهم فى الدعوة الى الله تعالى رسالة ماجستير اشراف دكتور أحمد أحمد غلوس : جامعة الأزهر كلية أصول الدين ص ٥٦ .

« أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحــذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب » (٤٦) •

ويقول عز وجل :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما يعملون خبير » •

وهنـــا ربط الله بين الايمان وبين أهل العلم والمعرفة فلا يكون ولى الله جاهلا أو مفرطـــا فى الجهل ويجب أن يكون عالمـــا بالــكتاب والسنة ، فاذا خالف هذين المصدرين فليس من أولياء الله •

يقول أبى سليمان الدارانى :

« انه ليقع فىقلبى النكته من نكتالقوم فلا أقبلها الا بشاهدين: الــكتاب والسنة » •

وقال أبو القاسم الجنيد :

« من لم يقرأ القرآن ويكتب الحــديث لايصلح له أن يتكلم فى علمنـــا » •

قال أبو عثمان النيسابورى :

« من أمر السنة علىنفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة » •

وقال الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه : « لو طهرت قلوبنا لمـــا شبعت من كلام الله عز وجل » •

وقال ابن مسعود :

« الذكر يثبت الايمان فى القلب كما يثبت المـــاء البقل وان كان الرجل خبيرا بحقائق الايمان الباطنـــة فارقا بين الاحوال الرحمـــانية

---

(٤٦) الزمر : ٩ .

والاحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله فى قلبه من نوره » كقول الله عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم » (٤٧).

سادسا الحب الالهى :

الحب هو أسمى وأرقى العلاقات الانسانية فى الوجود ويتأتى نتيجة العلاقات الطيبة بين المحب ومحبوبه فى أول الطريق .

وتأتى هذه العلاقات الانسانية السامية نتيجة صفاء القلب ونقائه مما فيه من شوائب مختلفة الالوان ، وتظل هذه العلاقات تعلو وتظهر وتتشابك لتؤدى الى تطويع ارادة المحب تحت تصرف محبوبه وفى نهاية المطاف يمنح المحب أغلى مالديه وأشرف مايملكه لمحبوبه وهو « قلبه » .

ولا توجد حدود للمحبة بل لها آثار وشواهد تتصرف عليها وتتلخص فى عدة نقاط هامة منها الميل الدائم نحو المحبوب والايثار وهذه بداية بحار المحبة التى لا قرار لها يعقبها لحظة من أخطر اللحظات المحب بأنه ينسى نفسه فتذوب صفاته فى صفات محبوبه فلا يدرك شيئا الا ما أراد ورغب ويسعى المحب بكل جهوده الى موافقة محبوبه فى رغباته لارضائه فيكون كل كثير عنده قليل حينما يمنحه له وكل قليل لدى المحبوب كثير فى نظر المحب .

ويؤيد هذا القول أبى يزيد البسطامى حيث يقول :

« المحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع مايقدر عليه لاستغله واستحيى منه ، ولو ناله من محبوبه أيسر شىء لاستكثره واستعظمه »

فالمحبة فى نظر المحبين بأن يضع المحب أفعاله ونفسه وماله ووقته لمن يحب منحه منه له ، كما يقتضى من المحب أن يمحو من القلب كل شىء سوى المحبوب وهذه كمال المحبة أما اذا كان فى القلب

---

(٤٧) الحديد : ٢٧ .

بقية لغير المحبوب فالمحبة مدخوله — ولا يزال المحب غاضبا على نفسه حتى يرضى محبوبه •

ويقول الجنيد حينما سأل عن شواهد المحبه :

« سمعت الحارث المحاسبى يقول عن المحبوب : ميلك له بكليتك، ثم ايثارك له عى نفسك وروحك ومالك ثم مرافقتك له سرا وجهرا ، ثم علمك بتقصيرك فى حبه » •

ويرى بعض الصوفية « ان المحبة بذل المجهود وترك الاعتراض على المحبوب وسكر لايصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه » •

ويرى البعض « أن المحبة سفر القلب فى طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره عنى الدوام » •

ويقول الجنيد فى وصف المحب :

« عبد ذاهد عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بآراء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، أحرقت قلبه أنوار هيبته ، وصفا شربه من كأس وده ، وكشف له الجبار من أستار غيبه ، فان تكلم فبالله ، وان نطق عن الله وان تحرك فبأمر الله واذا سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله » •

وآيات كثيرة فى المحبة نستعرض بعضها كقوله تعالى :

« يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » (٤٨) •

وقال أيضا :

« قل ان كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعونى يحببكم الله » (٤٩)

وقال أيضا :

« يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ،

---

(٤٨) البقرة : ١٦٥ .

(٤٩) آل عمران : ٣١ .

يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » (٥٠) .

ويوضح لنا الخالق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز حبه لعدة فئات من المؤمنين وهم :

١ — المحسنين فى قوله تعالى : « الله يحب المحسنين » (٥١) .

٢ — الصابرين كقوله : « الله يحب الصابرين » (٥٢) .

٣ — التوابين المتطهرين كما يقول العزيز : « الله يحب التوابينويحب المتطهرين » (٥٣) .

٤ — المجاهدون فى سبيله فى قوله سبحانه : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (٥٤) .

٥ — المتقين فى قوله : « فان الله يحب المتقين » (٥٥) .

ويقول أيضا أبو العزائم فى وصف حبه لله سبحانه وتعالى وما ناله من هذا الحب العظيم :

هو الحب نور يكشف الحجب عن قلبى
فاهتز حال الذكر شوقا الى ربى

أهيم بذكر الله والوجه المشرق
فاشهر نور الوجه من غير ماحجب

فاننى عن الآثار شوقا الى اللقا
فيمنحنى ربى الطهور من الشرب

سقانا رسول الله خمرة حبه
فاسكرنا طه فهمنا الى الرب

فبشرى لاهل الحب نالوا مرامهم
امامهم المختار كشفا بلا حجب

---

(٥٠) المائدة : ٥٤ .
(٥١) آل عمران : ١٤٨ .
(٥٢) آل عمران : ١٤٦ .
(٥٣) البقرة : ٢٢٢ .
(٥٤) الصف : ٤ .
(٥٥) آل عمران ٧٦ .

وتختلف الوان الحب فمن المؤمنين يحب الله للاحسان وعطفه عليهم وهذا حب العامة ، والحب الثانى لعظمة الله وقدرته وجلاله وهو حب الصادقين ، والحب الثالث مختلف تماما تقول رابعة العدوية (٥٦) .

أحبك حبين حب الهوى
وحب لانك أهل لذاك

فأما الذى هو حب الهوى
يشغلنى بذكرك عن سواك

وأما الذى فأنت أهل له
فكشفك للحجب حتى أراك

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

وهناك سؤال يدور فى ذهن كل مسلم كيف تحصل على درجة المحبة ؟

ونلخص الاجابة على هذا السؤال فى عدة نقاط هامة منها :

١ — قراءة القرآن باستيعاب وفهم .

٢ — التقرب الى الله باقامة النوافل مع الفرائض .

٣ — المداومة على ذكر الله سواء كان باللسان والقلب والعمل .

٤ — تفضيل محبة الله على غلبات الهوى .

٥ — فهم لأسماء الله الحسنى .

٦ — معرفة نعيم الله الباطنة والظاهرة .

٧ — انكسار القلب بين يدى الله .

---

(٥٦) قوت القلوب لابى طالب المكى ج ٣ ص ٨٤ .

٨ — الخلوة لمناجاة الله وتلاوة كلامه والاستغفار والتوبة •

٩ — مجالسة أهل الحب الصادقين •

١٠— البعد عن كل ما يحول بين القلب وبين الله العزيز الحليم •

وفى الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواه ، وأن يحب المرء مايحبه لنفسه وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النـــار » •

وللحب عدة درجات مختلفة عندما يصل المؤمن الى احداها ينتقل الى الاخرى هذه الدرجات هى :

١ — تعلق القلب بالمحبوب نتيجة الاعجاب والتفكير فيه •

٢ — اقبال القلب الى محبوبه والسعى وراء طلبـــه والتمتع بذكره أو مشاهـــــدته •

٣ — اندفاع القلب نحوه دون السيطرة على زمامه •

٤ — ملازمة الحب للقلب دون مفارقته (ويطلق عليه بالغرام) •

٥ — الوداد وهو صـــفو المحبـــه •

٦ — وصـــول الحب الى شغاف القلب كقول الله : عن امرأة العزيز « قد شغفها حبـــا » • وهو ثلاثة مراحل :

(أ) يستولى الحب على القلب •

(ب) يصل الحب الى داخل القلب •

(ج) يصـــل الى غشاء القلب •

٧ — العشق وهو حب مفرط يخاف على صاحبه •

٨ — التتيم هو التقيـــد والتـــذلل •

٩ — العبودية لمحبوبه •

١٠ـ الخلة هى المحبة التى تخللت روح المحب وقلبه ، ولم يصل اليها أحد الا ابراهيم عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم

ويتعلق القلب بمحبوبه تعلقـا لا حدود له بحيث ينسى المحب صفاته فى ذكر محاسن محبوبه حتى يستولى المحبوب على قلب المحب .

فمحبة الله تعالى يؤثر بها أهل السابقية ممن سبقت لهم منـه الحسنى فيرفعهم الى درجات المقـربين ويمنحهم حبـه ويوليهم بره ويجعلهم من الآمنين ، ولا شك أن محبة الله تعالى لأنه لولا محبة الله للعبد ما أحب العبد مولاه (٥٧) .

والمحب يبتعد عن الناس ويخلو لله عز وجل وتراه دائم التفكيرـ صامتا لا يسمع اذا دعاه أحـد لا يكون مع محدثه ولهذا لا يفهم من يكلمه ولا يحزن اذا أصيب ببلاء ولا ينازع أحدا فى متاع الدنيـا من منصب أو مال أو جاه أو غير ذلك من زخرف الحياة (٥٨) .

ويقول الامام الغزالى « معرفـة المحبـة وحقيقتها الا بالمحبـة ذاتها » وهو أبلغ ماقيل عن المحبة (٥٩) .

ويقول الشبلى عن أهل المحبة :

« ... شربوا كأس الوداد ، فضـاقت عليهم الأرض بالبلاء ، فتلذذوا بمناجاته » (٦٠) .

سـابعا الذوق :

مدار الذوق لدى الصـوفية هو القلب ويرى الشـيخ أبو نصر سراج الطوسى أن الـذوق هـو تلقى الارواح للاسرار الطـاهرة من الكرمات وخوارق العادات .

---

(٥٧) محمد يوسف حمودة : نفس المرجع السابق ص ١٤٧ .
(٥٨) دكتور حسن الشرقاوى : الفاظ الصوفية : ص ٢٨٢ .
(٥٩) الامام الغزالى : احياء علوم الدين ج ١٤ ص ٢٥٧٤ .
(٦٠) الامام الغزالى : مكاشف القلوب ص ٢٢ .

ويقال ان الذوق هو طريق الايمان بالله والقرب منه والعبودية له [٦١] •

ويقول ابن عربى فى الفتوحات المكية : « وأخذناه عن الحى الذى لايموت » [٦٢] •

ويقسم أئمة التصوف العلوم الصوفية الى ثلاثة :

١ — العلوم العقلية : يتم عن طريق البحث عن أدلة والحصول على براهين •

٢ — علوم الاحوال : يتم عن طريق الذوق ويتفرع منه عدة علوم الوجد — العشق — الشوق •

٣ — علوم الاسرار : وهى علوم لا تخص الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام •

كما أن أثر الذوق يبقى فى القلب ويطول تأثيره وللذوق عدة درجات منها :

١ — ذوق الايمان : ان العبد اذا ذاق طعم الدعوة من الله على ايمانه وتصديقه جد فى العبادة وأعمال البر للثقة بالوعد عليها •

٢ — ذوق الانس بالله : لا يتعلق العبد بشىء يشغله عن سلوكه وسيره الى الله لشدة طلبه • كما أن الانس بالله حالة وجدانية وتتقوى هذه الحالة بدوام ذكر الله وأن يكون العبد صادقا فى حبه لله •• وكلما كان القلب أقرب الى الله كان أنسه بالله أقوى •

٣ — ذوق الانقطاع لله سبحانه وتعالى : بأن يتذوق العبد طعم القرب من الله بالانقطاع عما سواه •

« فالذوق هو طريق الايمان لان الايمان هو الذى يجمعه الى الله وبالله وكما يقول بعض الصوفية من وافق الله فهو المؤمن المتوحد

---

(٦١) د/ عبد الغنى عبود : المرجع السباق ص ١٣٥ .
(٦٢) محى الدين بن عربى — الفتوحات المكية السفر الاول ص ١٣٩ — ١٤٠ .

ومن وافق الاشياء فرقته الاهواء » [٦٣] .

ثامنـــا ـــ الصـــبر :

معنى الصبر هو الحبس أو الــكف عن الشيء كقوله تعــالى : « واصـــبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغـــداة والعشى يريـــدون وجهـــــه » [٦٤] .

والصبر معناه أيضا حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن العمل الفاحش .

ويحدثنا القرآن الكريم فى آيات كثيرة عن الصبر فى مواضع كثيرة مختلفة الجوانب منهـــا :

١ ــ حيث يأمرنا الله بالصبر بقوله تعالى : « يا أيهـــا الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » [٦٥] وقوله أيضا : « واستعينوا بالصبر والصـــلاة » [٦٦] وقوله : « اصبروا وصابروا » [٦٧] وقوله أيضا : « واصبر وما صبرك الا بالله » [٦٨] .

٢ ــ يثنى الله عز وجل على الصابرين فى قوله عز وجل : « الصـــابرين والصـــادقين » [٦٩] .
وقوله أيضا : « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البـــأس أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » [٧٠] .

٣ ــ ويوضح الخالق سبحانه وتعالى مكانة الصـــابر عنـــده بأنه من المحبوبين لديه كقوله تعالى : « والله يحب الصابرين » [٧١] .

---

(٦٣) دكتور حسن محمد الشرقاوى : الفاظ الصوفية والمعرفة ص١٦٨
(٦٤) سورة الكهف : ٢٨ .
(٦٥) البقرة : ١٥٣ .
(٦٦) البقرة : ٤٥ .
(٦٧) آل عمران : ٢٠٠ .
(٦٨) النحل : ١٢٧ .
(٦٩) آل عمران : ١٧ .
(٧٠) البقرة : ١٧٧ .
(٧١) البقرة : ١٤٦ .

٤ — وللصابر جزاء كبير على صبره عند الله كقوله تعالى :
« لئن صبرتم لهو خير للصابرين » (٧٢) .
وقوله أيضا : « وان تصبروا خير لكم » (٧٣) .
وقوله : « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » (٧٤) .
وقوله أيضا : « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (٧٥)

ويدل الاسلام المسلم الى طريق شاق طويل هو طريق الصبر بأن يفعل الطاعاتويترك المنكرات (٧٦) كما أنه مقام من المقامات الرفيعة لاهل الله ولا يتم الصبر الا بمعرفة الله سبحانه معرفة تامة كما أن الصبر غاية كبرى من غايات أهل الحق وبه تذكر أخلاقهم وآدابهم كما أنهم يقررون بأن الصبر من سمات البشرية وصفة من صفات الانسان (٧٧) .

ويروى لنا كتاب اللمع قصة حدثت مع الشبلى رحمه الله حيث جاء اليه رجلا وسأله « يا شبلى ان صبرا أشد على الصابرين فقال الشبلى : الصبر فى الله « فقال الرجل : لا فقال الشبلى : الصبر لله » فقال الرجل لا فقال الشبلى : الصبر مع الله » فقال الرجل : لا .

فغضب الشبلى وقال : « ويحك يا رجل فما هو ؟
فقال الرجل : الصبر عن الله عز وجل » .
فصرخ الشبلى رحمه الله صرخة كاد أن يتلف روحه (٧٨) .

من هذه القصة نرى أن الصبر انتقل من معناه العام الى صبر فى الله وصبر لله وصبر مع الله وصبر عن الله .

---

(٧٢) البقرة : ٢٤٩ والانفعال : ٦٦ .
(٧٣) النحل : ١٢٦ .
(٧٤) النساء : ٢٤ .
(٧٥) النحل : ٩٦ .
* الزمر : ١٠ .
(٧٦) اللمع : ص ٧٤ .
(٧٧) دكتور حسن محمد الشرقاوى : ألفاظ الصوفية ص ٢١٠ .
(٧٨) اللمع : ص ٧٦ .

الباب الثالث

* فلسفة التربية الصوفية وأهدافها .

* منهج التربيـــة الصـــوفية .

* المؤسسات التربوية الصـــوفية .

الفصل الأول

« فلسفة التربية الصوفية وأهدافها »

من خلال دراستنا للنسيج الصوفى الاسلامى (الايديولوجيا الصوفية) الذى أوضحنا فى الفصول السابقة نجد أن الانسان يرتبط ارتباطا كاملا بالكون الذى استخلفه الخالق عليه • كما يرتبط أيضا بخالقه الذى وجهه بمنهجه الذى نزله على رسوله عليه الصلاة والسلام للقيام بالرسالة التى خلق من أجلها وعليه يقوم بتحطيم كل الحواجز التى تعوق رسالته وتمنعه عن القرب من الله • هذه الحواجز تتمثل فى الشيطان وأفعاله وأساليبه •

وعلى طريق هذا النسيج الصوفى الاسلامى قام أئمة الصوفية بتربية مريديهم •

ومن الطبيعى أن يختلف أى منهج تربوى عن الآخر لاختلاف فلسفة التربية ذاتها عبر العصور التاريخية ويرجع كل ذلك الى اختلاف المصادر التربوية •

وجوهر الفلسفة التربوية الصوفية من القرآن الكريم وهو المصدر الاول لها ويشتمل على النسيج الصوفى الذى ذكرناه فى فصولنا السابقة والمصدر الثانى وهو السنة (فعلا وقولا) •

تدور فلسفة التربية الصوفية حول منطلقين أساسيين أحدهما المسلم الصوفى بكل طاقاته وامكانياته وارتباطه بالكون بما فيه من خصائص وأسرار ••• وثانيهما علاقات الصوفى بربه وخالقه ومنخلال هذه العلاقة تتم علاقاته مع جماعية الصوفية والجماعات الاخرى الاسلامية فالمسلم الصوفى يحتاج الى تلك التربية التى وضعها أئمة الصوفية له والتى تقوم على العمل الصالح وتقوى فيه الجانب الروحى حتى يقوى على كبح جماح شهواته وملذاته فيفسح المجال

للفكر أن ينطلق عبر مجالاته والتى رسمها الله له • وبذا يكون الصوفى قد أعد اعدادا سليما لمكانته الاساسية وهى الخلاغة فى الارض •

وليس معنى كبح جمـاح اللذة والشهوة فى نظر الصوفيـة أن يعرض الصوفى عن تغـذية طاقاته والتى ركبها الخالق فيه • اذ أن وجود تلك الطاقات والنهى عن استغلالها يفقدها القيمة التى من أجلها أودعها الله فى الانسان •

وتسعى التربية لاعـداد المريد أو السالك للحياة الاخرى (يوم القيـامة) ولا يتم هـذا الاعداد لتلك الحياة الا عن طريق معرفة الخـالق ولهـذا وضـعوا للمريد مقـامات مختلفـة لا يرتقى المريد من مقام لآخر الا اذا بلغ درجة الكمال فى مقـامه ويشهد له بـذلك أسـاتذته •

فامداد المريد نحو القـرب من الله وحبـه هى أسمى الاهـداف وجنب هذه الغـاية تنزوى كل الاهداف الاخرى وقد لايرغب الصوفى فى الجنة ونعيمها ولا يخشى النـار والوان العذاب فيها وانما تنحصر رغبته فى حب الله ورضاه عنه •

وهدف المدرسة الصوفية تخليص طلابهـا من ادران الـذنوب الـكبيرة والتى حجبتهم عن خالقهم باعلان توبتهم سرا وعلانية •• أمام أنفسهم وأمام أساتذتهم •• توبة لا عودة فيها •• توبة خوف من الخالق سبحانه وتعالى •• ثم يعـدون أنفسهم للتحلى بالفضائل والوصول الى السيادة الروحية •• ولا تتم السيادة الروحية الا اذا ارتقى الصوفى من مقام التوبة والخوف الى مقام الحب والقرب لله •

ولا يتم الاعداد لهـذه المقـامات الا اذا سلك الطـلاب طريق الزهد فى الدنيـا • وليس الزهد بالمعنى المعروف البسيط وهو هجر الدنيا وعـدم المشاركة فيهـا وترك العمل وعدم الاقبال عليها وهذا يتنـافى مع أهـداف المـدرسة الصوفية ، والتى تنص على أن يكون الزاهد مالـكا الدنيـا وليست الدنيا مالكة له • وبمعنى آخر أن تكون

الدنيـا فى يده بأن يشارك فى الحيـاة عن طريق العمل والتعرف على خصائص الـكون وأسراره ولا يتم له ذلك الا عن طريق المعرفة ولا تتم المعرفـة الا بالقراءة وهنـا تحدد المدرسة الصوفية نوعية هـذه القراءة والهدف منها وطبيعة كل مرحلة من مراحلها .

فاذا كانت الدنيـا فى قلب الصوفى وهـذا يتنـافى مع هـدف المـدرسة الصوفيـة فانهـا تحتل مكان الصـدارة عنـده فتحـرمه من لذة الذكر .. ذكر الخالق والخوف منه والتقرب اليه . فالصـوفى بطبيعة تربيته الروحية يسعى الى الدنيا من أجل اكتساب قوته وقوت أسرته وبهـذا يشارك فى الحياة ويلعب فيهـا دورا كبيرا نحو تطور أساليبها والرقى بها من خلال سموه الروحى .

ولا تتم مرحلة الزهد الا بمجاهدة النفس ولا تعنى المجاهدة مثل مايقوم رهبـان المسيحية وانما التغلب على شـهوات النفس وملذاته واخضاعها تحت سيطرة القانون الاسلامى الذى رسمه الخالق لها .. ولا تتم المجاهدة الا عن طريق العزلة ومعنى العزلة لدى الصوفى العزلة عن كل صفة مذمومة وكل خلق يتنافى مع مااتفقت عليه الجماعة الصوفية فالمـدرسة الصوفية تبغض كل البغض العزلة عن الحيـاة وعـدم المشاركة فيهـا .

ولا تسعى المـدرسة الصوفية نحو تغليب الجانب الروحى لدى الصوفى وتهمل بقية الجوانب فيعتل الصـوفى ويكون عرضة للمرض وعرضة للموت . ولهـذا عمل أئمـة الصوفية على تربيـة طلابهم بطريقة معتـدلة بحيث أن يكون الطالب معتدلا فى كل جوانب الحياة . فلا يكون مطلقا نحو روحيـة تبعـده عن الرسالة التى خلق من أجلها وانمـا ليسمو بنفسـه وروحه وفى نفس الوقت ينال قسطا من الحياة المـادية باعتـدال .

وبهذا تكون شخصية الصوفى كما بلورتها فلسفة التربية الصوفية شخصية لا يستهان بهـا من حيث ارادتهـا وصـلاحها وقوة نقـاء بصيرتها وروحهـا بقربها بل وحبها لخالقها ولهذا زودت التربيـة

الصوفية طلابهـا بالقــدرة على استخدام كافة الامكانيات الموجودة فيهم بما فيهـا امكانية الأنطلاق بثبـات نحو الادراك الـكامل المبنى على الحب الشديد للخالق حتى يتحقق مكانتهم فى المجتمع الاسلامى •

وعملت الفلسفة التربوية الصوفية على ازالة الفوارق الاجتماعية بين طلابهـا وبهـذا قضت على أكبر حاجز اجتمـاعى فى المدرسـة الصوفية يعوق تقـدم المدرسة ورقيهـا وتطورها نحو خلق جيـل جـديد يحب الخـالق ويسعى لارضـائه بالعمل والفكر والمشاركة فى المجتمع الاسلامى •

ومن هذا المنطلق لعبت الجماعة الصوفية الاسـلامية دورا كبيرا فى الحياة العامة فقد ناضلت الاستعمار خلال الفترات التاريخية المختلفة وانتصرت عليه فى أكبر المعارك معه •

أهـداف التربية الصوفيـة :

أولا — صـفاء النفس :

لقد عرف بعض العلماء وآئمة الصوفية ماهية النفس ونستعرض تعريفاتهم حتى نفهم الدور الذى قام به علماء التربية الصـوفية نحو وضع الاسس المختلفـة للوصـول الى قيـام الصـفاء النفسى لدى طلابهم •

يرى الـكندى « أن النفس البشرية جوهر روحانى صاف بسيط وهى لا تنام ودائما يقظانه » (٧٩) •

يرى ابن سينا « أن النفس جوهر بسيط مجرد من المادة قـد قدر له الهبوط الى الجسم المادى من العالم العلوى » (٨٠) •

ويقول السهيروردى فى النفس :

« أحدية صمدية لا تقسمها الاوهام أصلا » (٨١) •

---

(٧٩) دكتور محمد عبد الهنذى ريده : رسائل الكندى الفلسفية ص ٢٧١
(٨٠) ابن سيناء : النجاة : ص ١٨٥ .
(٨١) دكتور : محمد على أبو ريان : هياكل النور ص ٥ .

ويوضح لنـا الفخر الرازى ماهية النفس بقوله :

« النفس الانسانية شيء واحد هى المبصرة والسامعة والشامة والذائقة واللامسه ، وهى الموصوفة بعينهـا بالتخيل والفكر والتذكر وتدمير البدن واصلاحه » [٨٢] .

ويقول القشيرى عنهـا :

« النفس محل الافعـال المـذمومة والروح محـل الاوصـاف الحميـدة » [٨٣] .

فقـد وضح القشـيرى بأن هنـاك نوعان روح ونفس والنفس غير الروح .

أما الغزالى فيرى :

« أن النفس جوهرها مجرد عن المـادة وعلاقتهـا فهى ليست بجسم ولا تحل الاجسام وهى محل المعارف وبه شرف الانسان عن جميع الحيوانات وهو المستعد للقاء الله تعالى » [٨٤] .

وطبيعة النفس الانسانية تميل الى الشرور والاثام . فلو تركت وشأنها ولم تقهر شهواتها ونزواتهـا لدمرت الانسان وحطمت حياته . ولهـذا تجدها لا تميل الى العبادات التى فرضها الله كالصلاة والصوم والزكاة لانها تحس بأن هذه العبادات قيود وهى تكره كل قيد وكذلك لا تميل الى المتابعـة والمراقبة كما تميل الى المعرفة وحب الاستطلاع حين تشاهد الاشياء لاول مرة فتسأل عنها لتعرف .

وطبيعة تكوينها أنهـا ميالة الى الاعجاب بالرأى والى التظاهر

---

(٨٢) دكتور : محمد صـغير حسن : النفس والروح وشرح قواهما للامام فخر الدين الرازى ص ٣٧ .
(٨٣) القشيرى : الرسالة القشيرية ج ١ ص ٣٠٧ .
(٨٤) الامام الغزالى : معارج القدس فى مدراج معـرفة النفس — نشر مكتبة الـــ ص ٥٩ .

والتفاخر ولهذا نرى أن الاسلام وقف منها موقف المنافى لميولها فارتضى ما كان منها طيبا ورفض كل شىء منافى للاخلاق الحميدة •

ومن هذا المنطلق تسعى المدرسة الصوفية الى ايجاد صفاء للنفس وبذلك عن طريق المجاهدة الشاقة والمكابده • ولهذا وضعت عدة تدريبات قاسية لها يمارسها الطالب الصوفى عمليا تحت اشراف أستاذ خبير بطبيعة تلك النفس فيقدم لها الدواء •

ثانيا — الدعوة الى المعرفة :

والهدف الثانى وهو هدف هام تجعله التربية الصوفية فى نيتها ومرادها وتسعى الى تحقيقه بكافة الطرق وهو احراز الحكمة حيث يقول الله عز وجل :

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولى الالباب » (٨٥) •

والحكمة تأتى عن طريق المعرفة • ومصدر الحكمة والمعرفة هو الله سبحانه وتعالى فان أودعها سبحانه فى الكون والانسان وقد وضح القرآن الكريم كيفية الحصول عليهما بأن دعى الله الى التأمل والبحث الدقيق فى الكون والانسان نفسه ، وضرب لنا مثلا فى ذلك بقصة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام توضح كيف توصل ابراهيم الى خالقه حينما رأى الكواكب والقمر والشمس فقال هذا ربى ثم عدل فكرته بعد تأمل وتفكير عميق الى خالقه وبهذا الاسلوب سارت الصوفية فى تدريس مناهجها الدراسية لطلابها •

ثالثا — احترام العمل :

تدعو المدرسة الصوفية الى العمل المنتج الخير ومضاعفته والاخذ بأسباب القوة وهذا لا يأتى الا عن طريق مضاعفة العمل

---

(٨٥) البقرة : ص ٢٦٩ .

والانتـــاج سواء كان ذلك فى مجال الصناعة والزراعة والتجارة وليس عيبـــا أن يعمل الانسان جامعا للحطب وانما العيب أن يمد يده للناس فان شاءوا أعطوه أو منعوه وقـــد حث الله سبحانه وتعـــالى المؤمنين على العمل حيث قال عز وجل :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » •

رابعـــا ــ التمسك بالاخلاق الحميدة :

قال الله عز وجل فى وصف الرسول عايه الصلاة والسلام « انك لعلى خلق عظيم » •

ولمـــا سئلت السيدة عائشة زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام عن خلق رسول الله قالت : (كان خلقه القرآن) وتحدث رسول الله عليه الصلاة والسلام قائلا :

« أدبنى ربى فأحسن تأديبى » •

وضح لنـــا رســـول الله الاخلاق وعظمتهـــا فى حديثـــه غقال : (الصلاة صلة ، الزكاة طهر ، والصوم جنه ، والحج جهاد ، والاخلاق تصـــدق ولا تكذب) •

فى هذا البيان القصير العميق المعنى ، وضح الرسول عليه الصلاة والســـلام أن الاخلاق تصـــدق على هذه العبـــادات وتكذب ان كانت منافيـــة للاداب •

ومن هذا كله قد استوعب المسلمون الاوائل علوم الاخلاق واكن لهم فى رسول الله عليه الصـــلاة والسلام القدوة العملية مستنيرين بقول الله عز وجل :

« لقد كان لـــكم فى رسول الله أسوة حسنة » وقوله أيضـــا :
« وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله » •

وبذلك صارت القدوه العملية باقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم التى أصلحت الـكثير من أفعالهم وأقوالهم فى دائرة الاسلام. ثم توفر لهم المصـدر النظرى فى الاخلاق وهـذا القرآن الـكريم الذى وضح الـكثير من أخلاق الانبياء وأخلاق أتباعهم .

ومن الاخلاق الاسلامية لا يوجد فصل بين العبادات الروحيـة والمعاملات المادية وبين أخلاق الفرد وأخلاق المجتمع واعتبر الاسلام كل الجوانب السالفة شيئا واحدا لا يتجزأ عن أخلاق الانسان .

وقد وضعت المدرسة الصوفية عدة قواعد هامة لطلابها منأهمها:

أولا : أن يحفظ الصوفى أدوات المعرفة كالسمع والبصر والكلام من الانزلاق فى الشر والاثام .

ثانيا : أن يحفظ الصوفى أدوات القوامة البشرية من النزولنحو حضيض الحيوانيـة .

ثالثا : أن يراقب الصوفى أعماله ونتائجها فانه سيحاسب به عند خروجه من الدنيـا على كل فعل وقول وأن الدنيا ماهى الا اختبارا لاخلاقه وأعماله .

رابعا : أن يحافظ الصوفى على الصلة التى بينـه وبين ربه وأن يراقب الله فى كل عمل يعمله معتقـدا بأن البلاء الذى يقع عليه من الحق نتيجة سوء عمله ويسرع الى لجوئه الى الحظيرة الالهية ولا تكون النجاة الا بتحسن الاخلاق .

ولو استعرضنا القواعد الاخلاقية الاخرى التى أخذتها المدرسة الصوفيـة وعملت على غرسها فى نفوس طلابهـا بأن يكون الصوفى عفيف اللسان فلا يشتم ولا يسب أحـدا ولا يتجسس على الاخرين ولا يتنـابز بالالقاب ولا يغتاب أحدا ولا يسخر من أحد وأن يكون نظيف النفس والبدن يقابل الناس بوجه مبتسم باذلا كل جهـده فى طلب السعادة للاخرين مساعدا للفقراء منكرا لذاته متنازلا عن شىء

من ماله عن طيب خاطر من أجل اخوته ويكون ناصحا أمينا اذا طلبت منه النصيحة ولا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يتكلم الا عن علم أو معرفة ويطلب من الله أن يزيده علما •

ويبعد عن أخيه الظلم والفساد ولا يجره الى الرذيلة وبهذا يكون الصوفى نظيف اللسان والقلب والبدن والسلوك •

الفصل الثانى

منهج التربية الصوفية

وضع منهج التربية الصوفية ليحقق ما ترمى اليـه الجمـاعة الصوفية من خلق جيل قوى ذو شخصية مؤثرة فى العالم الاسلامى فالمنهج استمد قواعده واسسه من العقيدة الاسلامية متمثلة فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ولهذا فان المنهـج شاملا فى مفهومه وعمليا فى تطبيقه على الجماعة الصوفية •

أهتم المنهج بالفرد الصوفى اهتماما كبيرا فوضع له النظم التى تعمل على تهذيبه خلقيا وروحيا وعقليا كما وضع المواد الدراسية التى تتمشى مع استعدادات وميول وقـدرات وحاجات الطلاب ورأعى فى منهجه الفروق الفردية بين جماعته وعمل على التوازن المنشـود بين متطلبات الحيـاة والطبيعة الدنيوية للانسان وحاجات كل من العقـل والروح ، حتى يكون الفرد متماسكا مترابطا مع جماعته ويقوم بواجباته نحو نفسه ومجتمعه الاسلامى، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ومشاركا فى الحياة العامة بفكر واسع وروح قوية متماسكة صـافية خالية من الامراض النفسية والجسدية •

ولم ينس المنهج الامكانيات الجسـدية بل اهتم بهـا وعمل على تنميتها حتى يقوم الفرد الصوفى باكتساب قوته وقوت أسرته أو يشارك فى الجهاد الذى فرضه الله على المسلمين •

كما يربى المنهج الصوفى الفرد بصفة خاصة على الاندماج مع الناس والاشياء ارتفاعا بمستوى حياة الانسان الى افق ربانى أرحب وأنظف وأكمل(١) •

---

(٨٦) د/ عبد الغنى عبود : الفكر التربوى لدى الغزالى : ص ١٣٠ .

ويحقق المنهج الصوفى بصفة خاصة عبودية المسلم الصوفى لديه حتى يصل من خلالها الى ايجاد قلب نظيف مفتوح لا منطوى على نفسه محبا لربه ونتيجة لهذا يكون المسلم الصوفى نظيف اللسان مؤديا واجبه على الوجه الاكمل •

وبدون القلب المتفتح يكون الفرد الصوفى قد أوجد حاجزا قويا بينه وبين ربه أطلقت عليه الصوفية اسم « الغفلة التى تؤدى به الى الشهوة والكراهية والتدمير فيعيش فى تلك اللحظة بنفسه عاجزا عن مشاركة الاخرين وبهذا تتغير حياة الانسان عما فطرها الله •

لقد تعددت المواد الدراسية ووضعت بطريقة مترابطة وقسمت الى عدة أنواع هى :

النوع الأول : ويشمل القرآن الكريم وتفسيره : ويقبل عليه السالكين فى الصوفية حفظا متقنا ومراجعه هذا الحفظ على استاذ قدير • ثم بعد ذلك يقبلوا بشغف زائد على معرفة كل الآيات القرآنية معرفة تامة مستوعبين ما حفظوا حفظا وتفسيرا وفهما وادراكا •

النوع الثانى : السنة الشريفة وتشمل أقوال رسول الله عليه الصلاة والسلام وأفعاله ويقوم السالكين بحفظ بعض الاحاديث النبوية على أن يقتدوا بما كان يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام •

النوع الثالث : التعرف على حياة رسول الله ونسبه وخلفه وبعثته وحروبه مع الكفار والدعوة الى الاسلام حتى يأخذ الصوفى العبرة من هذه الحوادث وأنارة الروح الاسلامية فى قلبه ودفعه الى الجهاد فى سبيل الله اذا دعى لذلك •

النوع الرابع : وهى تخص الصوفى بربه وهى عدة علوم مختلفة منها : علم التوبة وعلم الذكر وعلم الخوف وعلم الحب وعلم الورع والشكر والصبر والاخلاص وعلم الطهارة وقد سميت الصوفية هذه العلوم بالمقامات •

النوع الخامس : وهى التربية الخلقية : فقد أهتم المنهج بها اهتماما شديدا فافرد بها جانبا •

وقد تكون التربية تلقينا بالألفاظ أو الممارسة بين الجماعة الصوفية ٠

وتنمى المواد الدراسية الصوفية القدرات الروحية والعقلية لكل سالك فى المدرسة الصوفية ولهذا وضعت فى المنهج عدة مراحل مختلفة أطلق عليها أئمة التصوف اسم « المقامات » لا يرتقى الطالب من مرحلة لاخرى الا اذا أقر أساتذته اجتيازه المرحلة بنجاح ٠ هذه المراحل « المقامات » هى : مقام الحب ، مقام الشهود ، مقام الرضا ، مقام اليقين ، مقام الولاية ، مقام الاحسان ، مقام الصبر ٠

ويقوم كل أستاذ بوضع القواعد والاسس والتنظيمات لطلابه فى هذه المراحل فان اجتازوها شهد لهم بذلك وأقر بما توصلوا اليه ، لهذا اهتم المنهج الصوفى بتنظيم الحياة اليومية للصوفى بأن رغب السالك فى المدرسة الصوفية بالاعتدال فى الطعام وعدم الاقبال عليه بشراهه لان ذلك يؤثر على ملكة الفهم والادراك لدى الصوفى ومن خلال هذا التنظيم أطلق عليهم لغويا « الجوعة » ولم تكتف بهذا بل حث الطلاب بالاعتدال فى حياتهم اليومية ٠ وترك نسمه من الوقت للعمل فيها ليكتسبوا قوت يومهم ٠ أى أن الدراسة ليست بمواعيد ثابتة كما يحدث فى وقتنا الحاضر ٠

والهدف من عملية التنظيم هذه تحقيق عدة غايات هامة هى :

١ — الاعداد للحياة الاخرى ٠

٢ — تصفية الروح لدى الصوفى من الذنوب والامراض ٠

٣ — دفع الصوفى الى العمل بنشاط وحماس ليكتسب قوته على أن يتقن هذا العمل ولا يحتقره مهما كانت طبيعته ٠

٤ — أن يستعد الصوفى للجهاد اذا طلب منه ذلك والجانب العملى فى المنهج الصوفى يتمثل فى الخلوة وهى درجة رفيعة لدى الصوفية وجزء هام فى التربية وقد وضعت لها عدة قواعد مختلفة منها :

١ — الانقطاع بعض الوقت عن الاحتكاك بالناس الا بقـدر ضرورى يلتزم فيه المنقطع بذكر الله سبحانه وتعالى ويتم ذلك بتوجيه من أستاذه .

٢ — قبل الانتهاء من عملية الانقطاع يأخذ الطالب قسطا كبـيرا من بعض العلوم قـد أقرها الاسـتاد مع طلابه حسـب قدراتهم واستعداتهم وميولهم . ويشترط فى هذه الخلوة عـدم الاعلان عنها بين النـاس وأن يكون موعدها سرا بين الاسـتاذ وطلابه وكذلك العلوم الصوفية التى تدرس لايعرفها الاالاستاذ وتلاميذه لانها وضعت فى صيغة أشارات وألفاظ لايدركها المسلم العادى وعلى هذا الاساس كتب أئمة التصوف كتبهم المختلفة .

طرق التدريس فى الصوفية :

وقد أخذ أساتذة التصوف طرق التدريس من التربية الاسلامية ذاتها ولم تكن لهم طريقة معروفة لهم .

وقد حصر بعض علماء التربية الصوفية والاسلامية هذه الطرق فى:

١ — طريقة الحلقات .
٢ — طريقة الرواية .
٣ — طريقة السماع .
٤ — طريقة المناقشة .
٥ — طريقة الاملاء .
٦ — طريقة الحفظ والاستظهار .
٧ — طريقة الفهم .
٨ — طريقة الرحلة « طلب العلم » .
٩ — طريقة القدوة .
١٠ — طريقة القصص .
١١ — طريقة ضرب الامثال .

١٢ — طريقة الاستشهاد بالقرآن الكريم والاحاديث والحكم •
١٣ — طريقة الشعر وهى من أهم طرق التدريس لدى آئمة

التصوف المختلفة لما فى الشعر من أرق الالفاظ والمعانى التى تنثر الوجدان وتقوى الاحساس وتخلق فى الصوفى نوع من التذوق الروحى الشفاف •

ألقاب التلاميذ عند الصوفية :

يقسم علماء التربية الصوفية تلاميذهم الى فئات ثلاث هى :

١ — المريد :

وهو طالب المرحلة الاولى فى الصوفية ويتعرف عليه أستاذه وعلى نفسيته من خلال الحديث معه ومراقبته ومن خلال استعراض ذنوبه التى ارتكبها • فيقرر الاستاذ علاجه بوسائل يراها تتمشى مع طبيعته حتى يشفى من ذنوبه فيلتحق بالمدرسة ويعطى له القدر الذى يمكنه من أن يستوعب قليلا من العلم والمعرفة ويلتزم بعدةشروط عند قبوله فيها•

١ — أن يتحلى بالوقار فى مجلس أهل العلم •
٢ — أن يخدم زملائه وأساتذته •
٣ — أن يكون بارا بوالديه وأهلا لرحمه مكرما لضيفه وجاره يفعل الخير مرضاة للخالق يبتعد عن الشر وأهلة واقران السوء •

٢ — النقيب أو السالك :

يقرر أساتذة الصوفية موعد نهاية المرحلة الاولى بالنسبة للمريد وبعدها ينتقل الى مرحلة أعلى من الناحية العلميــة فيلقب بالنقيب أو السالك وهذا اللقب معناها درجة علمية عليا فى الدراسة •

وتكون العلوم كالآتى :

١ — علوم نظرية كعلم الصبر والورع والخوف والتقوى والشكر والاخلاص •

٢ ــ علوم عملية كعلم الطهارة والتزكية أى القيام ببعض النوافل حسب قدرات النقيب واستعداداته وتفرض عليه المدرسة تنظيمات لا يحيد عنها والا فصل من هذه المرحلة واستبعد عن الدراسة نهائيا وهى :

١ ــ احترام علماء الصوفية كعلماء ومربيين وأساتذة •

٢ ــ أن يتبادل مع زملائه المعاملات الطيبة والتقدير لمن أكبر سنا منه •

٣ ــ أن يظن فى نفسه بأنه أقل مرتبة من زملاء وأنه بينهم متهم بالتقصير حتى يصل الى درجات اعلى •

٤ ــ أن يكون مطيعا لا ستاتذته •

٥ ــ الا يكون مغرورا بنفسه •

٦ ــ أن يقوم بالاعمال التى يكلف بها •

٣ ــ النجيب أو الواصل :

وفى نهاية المرحلة الثانية ينقل الى مرحلة أخرى بعد أن يشعر بذلك أساتذته وقد وضع علماء التربية الصوفية منهجا دراسيا خاصا بها من الناحية العلمية والسلوكية تختلف عما هو موجود فى المرحلتين السابقتين وتفرض على الواصل عدة سلوكيات يلتزم بها التزاما كاملا ويحاسب عليها وتتلخص فيما يلى :

١ ــ أن يحافظ على أسرار المجالس العلمية التى يحضرها •

٢ ــ أن يبتعد تماما عن التدخل فى شئون الاخرين أو أى محاولة لمعرفة أسرارهم •

٣ ــ أن يحدد لنفسه عملا خاصا فى المجالس العلمية يقوم به •

٤ ــ أن يتعامل مع الاخرين حسب قدراتهم العقلية والعلمية الروحية •

٥ ــ أن يتجنب الجدل فى المناقشة •

٦ — أن يبتعد عن الشقاق والخصام مع عامة الناس أو مع زملائه في المدرسة •

٧ — الا يتعرض لاصحاب المذاهب المختلفة مناقشة أو تعـــاملا يؤدى الى اشتباك بالقول أو باليد وأن يحـــافظ على وحدة المجالس فلا يثير الجدل السقيم الذى يؤدى الى تبادل الالفاظ المؤذية •

الخطة الدراسية الصوفية :

أتخذت الصوفية من قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر قاعدة فى وضع نظام خاص للتعامل بين الطالب واســـاتذته • وهذه القصة تلقى الضوء على أن الصوفيةقد تـ علموا منها الكثير ونلخصه فى عدة نقاص من أهمها :

١ — الاتفاق بين المعلم والمتعلم فى وضع الخطة الدراسية ويتحلى فى قوله عز وجل على لسان الخضر مع موسى عليه الصلاة والسلام •

« قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحـــدث لك منه ذكرا(٨٧) » •

وتحقيقا لهذه الآية على الاستاذ أن يضع الخطة الدراسية لطلابه وعليهم أن — يسمعوا ما يعرض عليهم ولا يسألوا قبل أن يفسر لهم•

٢ — أن يحذر المعلم تلاميذه من صعوبة المنهج وهذا يتجلى فى قول الخضر عليه السلام كما ذكر القرآن الكريم •

« انك لن تستطيع معى صبرا » (٨٨) •

٣ — قد يخطىء التلميذ فى استعجال العلم اليه أو الفهم قبل أن تصله القرائن أو التأويل للحوادث وهذا ما حدث حينما خرق الخضر السفينة وحينما قبل الظلام وفى اقامة الجدار •

٤ — للاستاذ الحق أن يتمسك بخطته طالما أنه تأكد من صلاحيتها

---

(٨٧) الكهف : ٦٩ •
(٨٨) الكهف : ٧٤ •

ويتجلى فى قول الخضر عليه السلام فى كل مرة يسأل فيها موسى عليه السلام •

« ألم أقل لك أنك لن تستطيع معى صبرا » •

٥ — على التلميذ أن يعتذر عن خطئــه مرة أو مرتين على حسب طاقة الاستاذ وهذا فى قبول الخضر عليه السلام لعذر موسى فى حادثه السفينة وحق الغلام •

٦ — للمعلم الحق فى عدم مواصلة الدرس مع تلميــذه اذا أصر التلميذ على عدم الفهم وهذا ما أوضحه القــرآن الكريم عن الخضر بعد حادثة الجدار فى قوله عز وجل « هذا فراق بينى وبينك(٨٩) » •

٧ — ليس من حق الاستاذ أن ينسب العلم لنفسه وأنما ينسبه الى الله عز وجل ولذلك قال الخضر عليه السلام فى نهاية مطــافه مع موسى عليه السلام •

« وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطيع عليه صبرا(٩٠) »•

القاب معلمى الصوفية :

١ — **الاستاذ** (الفقيه — الامام — المرشد)

هو امام المدرسة الصوفية وعمودها الذى يرعى طلابه ويشرف على تربيتهم فى المدرسة كما أنه يقوم بوضــع المنهج الدراسى لهم ويحدد حلقات الدرس ومواعيدها •

وتتوفر فيه عدة شروط هى :
١ — أن يلتزم بالكتاب والسنة كمنهج دراسى وتأدية الفرائض التى يلتزم بها عامه وخاصة المسلمين •

---

(٨٩) الكهف : ٧٧ •
(٩٠) الكهف : ٨٢ •

٢ — أن يعرف نفسيات طلابه وما فيها من أمراض وكيفية العلاج لهذه الامراض حتى يمكنه أن يربى طلابه على منهجه الدراسى •

٣ — يلتزم الاستاذ فى أقواله وأفعاله بأسس المحبة لله الخالق سبحانه وتعالى وأن يتوكل عليه ويخاف منه رهبة وأن يتـابع طـلابه ويحاسبهم عن التقصير حتى يصل الى درجة علمية أكبر •

٤ — أن يكون مجددا ومحدثا لعلوم لم تعرف فى عصره ولايكون مقلدا لغيره من علماء الصوفية •

٢ — القطب الروحى :

هو صاحب أعلى الدرجات العلمية فى المدرسة الصوفية ومحل نظر الحق تعالى ويمتاز بدرجة عليا فى الناحية الروحية لايصل الاستاذ الا بجهد كبير •

الشروط الواجب توافرها فى المعلم الصوفى :

لقد خصص أهل التصوف جانبا كبيرا لاعداد المعلم الصـوفى وجعلوه من الدرجة الاولى وهذا لم تصـل اليه أى فـكر تربوى فى العصور السابقة والحديثة فهذا المعلم لدى الصوفية يعتبر مثل صاحب الرسالة ولم تكن فى نظرهم مجرد مهنة أو وظيفة تربط بالاجر كما هو معهود فى عصرنا الحالى والفرق كبير بين هذه الرسـالة والمهنـة الوظيفية فالرسالة تنبع عن اقتناع كبير داخلى عميق بما يؤديه صاحب الرسالة وهو ملتزم أن يوصل ما لديه من فكر الى طـلابه وهو فى كل حالة مستعد للبذل والتضحية فى سبيل دعوته وفكره والمهنة والوظيفة فان صاحبها مرتبط تماما بصاحب العمل أو بالذى يدفع له مرتبه وقد يلتزم بشىء آخر (٩١) •

---

(٩١) د/ عبد الغنى عبود : الفكر التربوى لدى الغزالى ص ١٨١ .

وتوجد عدة شروط هامة فى معلم الصوفية وهى :

١ — أن يؤثر فى أبنائه ويشكلهم من خلال فكرة وشخصية •

٢ — أن يبتعد المعلم عن كل شىء خبيث سواء كان من داخل نفسه أو من خارجها •

٣ — أن يعظم العلم والعلماء •

٤ — أن يتبع الشريعة الاسلامية •

٥ — الا يرفع صوته الا بقدر الحاجة الى ذلك أثناء شرحه •

٦ — أن يصون مجلسه من كل ما يخرجه عن العلم الذى يريد توصيله الى طلابه •

٧ — أن يزجر كل طالب حاول أن يذكر مجلسه العلمى بسوء أدب أو اساء الى الآخرين من زملائه •

٨ — أن يتواضع مع طلابه •

٩ — أن يخاطب طلابه كل حسب مكانته العلمية وأن يكرمهم •

١٠ — لا يتكالب على الدنيا وزخرفها وأن يكون قدوة حسنة لطلابه •

١١ — أن يفضل الفقر على الغنى بمعنى أن الدنيا تسعى اليه وهو لا يسعى اليها •

١٢ — أن يكون سلوكه موافقا لعقيدته الاسلامية •

وبهذه الشروط يكون المعلم قد أعد اعدادا كاملا لتولى رسالة توصيل الفكر الصوفى الى طلابه •

ادارة التعليم الصوفى وتمويله :

أن ادارة التعليم الصوفى لم تكن ادارة مركزية بمفهومها المعاصر وانما كانت ادارة نابعة من مسئولية طلب العلم لذاته أى بمعنى أنهـا مسئولية فردية والا اعتبر المعلم مقصرا فى حق الله عليه .. فلذا لم تتدخل الدولة الاسلامية فى ادارة التعليم كما أنها لم تضع أهدافا له ولهذا ساهم جميع المسلمين سواء كانوا من السنة أو من الصوفيين فى اقامة المؤسسات التربوية وتحمل مسئولياتها .

ولهذا لم يكن موردا ثابتا للانفاق على التعليم فالطالب يتفق على حياته من خلال عمله الذى يكتسب منـه رزقه كما أن المعلمـين لهم أعمالهم اليدوية التى تساعدهم على اكتسابهم الاموال التى يحتاجون اليها فى حياتهم .

كما أن هنـاك بعض العقـارات الموقوفة للانفاق على المؤسسات التعليمية وهذا دليل على معنى المسئولية الفردية عن التعليم وادارته وتمويله فى خلال العصور التاريخية السابقة (٩٢) .

---

(٩٢) نفس المرجع السابق : الفكر التربوى لدى الغزالى ص ٢١٤ .

الفصل الثالث

المؤسسات التربوية الصوفية

لقد ساهمت المؤسسات التربوية من دور للعلماء ومساجد ومدارس وزوايا بدور كبير وهام فى نشر التربية الصوفية خلال الفترات التاريخية المختلفة .

درست العلوم الصوفية فى هذه المؤسسات جنبا الى جنب مع العلوم الاسلامية المختلفة دون تفرقة أو اعتراض لانها علوم اسلامية تخص الجانب الروحى الاسلامى وتأخذ من منبع واحد وهو القرآن والسنة.

فقد كانت حلقات الدرس تقام لأئمة وشيوخ الصوفية فيأتى اليها الطلاب من كل فج عميق للاستماع الى الحوار والمناقشات حول الموضوعات الدينية التى تمس حياة المسلمين عامة وتهفو نفوسهم الى الأخذ بها حبا لله ومرضاة له وتجنبا لغضبه وعقابه .

واعتبر العلماء العلم للجميع ولذا لم يتخذ أهل الصوفية مكانا مخصصا لهم لاقامة حلقات الذكر أو المناقشة أو المحاضرة .. بل اشتركوا فى معظم الدور الاسلامية المختلفة التى من أهمها :

١ ـ دور العلماء :

ساهمت هذه الدور فى نشر التعليم سواء كان العقلى أو الروحى فى داخل الدولة الاسلامية وقدمت لطلابها المعرفة من جميع نواحيها على طريق المناقشات . والمحاضرات فى كافة الموضوعات المختلفة من الناحية الدينوية والدينية الروحية منها والشرعية .

لقد وجدت هذه الدور بكثرة فى العصر العباسى حيث كان علماء

وأئمة وشيوخ الصوفية يتخذون من دورهم أحيانا مكانا لتعليم طلابهم وقد ينتقل اليها بعض الخلفاء العباسيين للمشاركة فى حلقات الدرس واضفاء الصيغة الرسمية عليها •

٢ ــ دور الكتب والعلم :

قامت بدور خطير ومهم فى نشر العلم والثقافة وساعدت على نشر التعليم أيضا وجذبت اليها الطلاب من مختلف انحاء الدولة الاسلامية للدراسة والبحث العلمى وقد عملت هذه الدور على النهوض بالحركة التعليمية بصفة عامة بل مدت بصفة خاصة علماء الصوفية بالكتب وساعدتهم فى اجراء بحوثهم العلمية المختلفة •

٣ ــ المساجد والجوامع :

لعبت المساجد والجوامع المنتشرة فى ارجاء الدولة الاسلامية دورا كبيرا فى نشر التعليم وخاصة الصوفى منها •• حيث اعدت قاعات الدرس فى جوانبها واتخذ كل شيخ مكانا خاصا له معروفا لطلابه بوقره حين تقام حلقات الدرس فى المواعيد المقرره •

ومن أهم هذه المساجد :

١ ــ المساجد العراقية :

قامت فيها حلقات الدرس فى العلوم المختلفة وذاع صيتها فى العالم الاسلامى •

٢ ــ المسجد الأموى فى دمشق :

شيده الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك فى دمشق وذاع صيته فأقبل اليه الطلاب من كل فج عميق وعقدت فيه حلقات الدروس واقيمت المحاضرات المختلفة ولكل سارية من سوارى المسجد يجلس الاستاذ وحوله طلابه ولم يحرم أهل التصوف من مكان مخصص لهم حيث

شهدت حلقــات الدرس الــكثير من الطــلاب من جميع الاقطـــار الاسلامية للدراسة والتخصص فى هذا المجــال على يد أحد شــيوخ الصوفية •

٣ ـ مسجد القرويين فى فاس :

انشىء فى منتصف القرن الثالث الهجــرى ليكون مركز للثقافة الاسلامية ويعتبر من أهم الجامعات الاسلامية التى درست فيهالعلوم الاسلامية المختلفة كما كان له عدة تقاليد مختلفة مثل :

١ ــ منح الاجازة العلمية والفخرية •

٢ ــ منح كراسى الاستاذية التى نقلت الى جامعات أوربا حاليا فى العصر الحديث •

٣ ــ أتشأت بجواره المساكن الطلاب وللاساتذة •

٤ ــ وجود مكتبات به تموج بذخائر الــكتب وأبحاث علمية قيمة ومخطوطات عربية عظيمة •

٥ ــ قسم المسجد الى عدة جوانب خصصت لبعض العلماء لاقامة حلقات الدرس فيها •

٤ ـ جامع عمرو بن العاص :

أقيم بعد الفتح الاسلامى لمصر وحضر بنائه عدد كبير من كبار الصحابة وجاء اليه الطلاب من جميع الدولة الاسلامية لحضور حلقات الدرس فيه والتى تشمل العلوم الدينية والعلوم الصوفية وأخــيرا اتخذه الامام الشافعىمقرا لمدرسته وبلغ عدد الطلاب فى العصرالعباسى ما يقرب عن ٣٢٠٠ طالبا يتلقون العلم ويساهمون فى اقامة نهضــة علمية اسلامية كبرى •

٥ ـ جامع ابن طولون بمصر :

انشىء فى عصر الدولة الطولونية وفيه عقدت حلقات الدروس على المذاهب الاربعة •

٦ ـ جامع الأزهر بمصر :

ساهم الازهر الشريف بتخريج عدد من البارزين من علماء المسلمين وعلماء الصوفية على حد سواء وقد لعبوا دورا هاما فى الحياة الدينية والسياسة خلال العصور التاريخية المختلفة •

٧ ـ جامع المنصور ببغداد :

أقدم الجوامع التى انشأت فى بغداد ليكون مركزا للتعليم وقد جذب الكثير من الطلاب من جميع أقاليم الدولية الاسلامية ودرست فيه العلوم المختلفة •

وعلى نمط هذه المساجد والجوامع انتشرت المساجد الاسلامية فى كافة المدن الاسلامية وانتقل اليها علماء المسلمين سواء كانوا أهل سنة أو أهل التصوف للدرس والتحصيل ولقد لعبت هذه المساجد دورا هاما فى تاريخ التعليم الاسلامى ولم تمر عدة قرون حتى شهد العالم كله أكبر نهضة اسلامية غمرت العالم الاسلامية وأصبح العالم الاسلامى منارة العلم فجذب اليه طلاب العلم من أوروبا وغيرها •

٨ ـ الزوايا :

وهو ركن من أركان المسجد اتخذت للعباده ومع مرور الوقت اتخذت شكلا جديدا على هيئة دور تقام للدراسات العلمية والدينية وقد اتخذتها الصوفية مكانا لاقامة حلقات الذكر فيها •

٩ ـ حوانيت الوارقيين :

أعدت لتكون مكتبات لبيع وشراء الكتب المختلفة فى القرن الرابع

الهجرى وازدهرت هذه الحوانيت فى العصر العباسى حتى جذبت اليها العلماء والطلاب من انحاء الدولة الاسلامية ، وبطبيعة الحال اصبحت هذه الحوانيت دورا للعلم تقام فيها حلقات الدرس والمحاضرات والمناظرات فى مختلف العلوم العقلية والروحية وقد ازدهرت نتيجة زيارة الخلفاء والامراء لشراء الكتب منها .

١٠ — المجالس الادبية :

ساهمت هذه المجالس بقدر كبير فى حركة التقدم العلمى فى العصر العباسى وقد بذل الخلفاء والأمراء والوزراء كل جهودهم على انتشارهم فى مختلف الاقاليم الاسلامية ، بل وصل الامر الى حد أن قصورهم أعدت لتكون فى استقبال الطلاب والعلماء من مختلف الجنسيات للمجادلة والمناقشة والحوار والمحاضرات العلمية ومن أشهرها مجلس الوزير ابن الفارض وابن الفرات وابن العميد والصاحب ابن عمار وكافور الاخشيدى وسيف الدولة الحمدانى ومجالس الفاطميين وعقدت مجالس للمنطق وغيرها من العلوم المختلفة .

ولهذا فقد أسهمت المؤسسات التربوية اسهاما كبيرا فعالا فى نشر الثقافة الروحية الاسلامية فى أقاليم الدولة الاسلامية وساهمت بقدر وافر فى خلق جيل يؤمن بربه ايمانا صادقا مسئولا عن القيام بواجباته نحو مجتمعه وأسرته وبذلك يستحق أن يكون خليفة الله على الارض (٩٣) .

---

(٩٣) أنظر كتاب الايدلوجيا والتربية بين المسيحية والاسلام عبد الحكيم عبد الغنى محمد قاسم ص ٧ — ١٦ — ٢١٠ .

الباب الرابع

مدارس الصوفيـــة

* المــدارس الحجــازية
* المــدارس العراقيــة
* المــدارس الشــامية
* المــدارس المصريــة
* المــدارس المغربيــة
* المــدارس السودانية

الفصل الأول

المدارس الحجازية

تنتشر الرمال فى معظم أراضى الحجاز وترتفع الصخور فى بعض جوانبها كما تفتقر الى المياه وتزداد درجات الحرارة بدرجة كبيرة فى فصل الصيف مما كان له الاثر الكبير فى عدم نمو النبات الا فى بعض ودياته ..

أثرت تلك الطبيعة فى السكان فخلقت منهم بدو قاسية قلوبهم وحرمتهم من الاتصال بغيرهم عبر الفترات التاريخية المختلفة الا بالقدر الضئيل ولهذا لم تنبع على أرضها أى نوع من الحضارات التى تخلق من سكانها شيئا متحضرا .. ورغم هذا فقد ظهرت أشلاء من الحكمة والفلسفة أملتها تلك الطبيعة على عقول سكانها ولعب بعض الأفراد دورا هاما فى الحياة العقلية الحجازية نتيجة اتصالهم بالمدن المجاورة لهم ..

جادت تلك الطبيعة القاسية على نفوس سكانها بالانفة وغرست فيهم العزة وخلقت فيهم الاعتداد بالنفس والحرية التى تغنوا بها فى أشعارهم وظلت هذه الصفات ملازمة لهم حتى ظهور الاسلام ورغم تأثيره عليهم ظلت تلك الصفات فيهم حتى وقتنا الحاضر رغم الظروف العالمية وتأثيرها عليهم نرى تلك الصفات كما هى ..

سطع الاسلام على ربوع مكة ثم المدينة فصارتا ذاتا شأن علمى كبير .. فالعلوم التى ظهرت بعد ذلك درست فى مدارس المدينتين قد طبعت بالطابع العربى الاصيل وخاصة العلوم الدينية والعلوم الصوفية التى ظهرت فى منتصف القرن الاول الهجرى ..

لقد لعبت هذه المدارس دورا هاما وكبيرا فى الحياة الروحية الاسلامية التى عمق قواعدها الرسول عليه الصلاة والسلام فى نفوس المسلمين الاوائل ومن أهم هذه المدارس :

مدرسة المدينة :

شهدت المدينة الاحداث الاولى للدعوة الاسلامية ، فقد فتحت أحضانها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه •• وشاركت معه عليه الصلاة والسلام فى غزواته وحروبه ضد الكفر والشرك وقامت بدور كبير فى نشر الدعوة الاسلامية بين القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية فاستقبلت الوفود المبايعة لرسول الله عليه الصلاة والسلام معلنة اسلامها •

شهدت أيضا الاخوة الصادقة بين الانصار والمهاجرين وشهدت الفتنة الكبرى التى فرقت تلك الاخوة وأطاحت بالخليفة ••

سمعت تلك المدينة آيات الذكر الحكيم تتردد بين جوانبها وأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ورأت أفعاله •• وبهذا اكتسبت شهرة اسلامية كبيرة فى عصرها الاول فأصبحت مدينة العلم والحرب والسلام والسياسة فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن بعده خلفائه •

كانت المدينة المنورة حاضرة الاسلام الاولى ومدرستها التى لعبت دورا هاما فى الحياة الاسلامية ، فكانت مقصد الطلاب والعلماء يأتون اليها من كل فج عميق للاعتراف من نبعها الصافى •

لقد حافظ صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام على طابعها الاصيل فالفاروق عمر بن الخطاب أبقى على أساتذتها الاوائل من الانصار والمهاجرين فى داخلها وحرم عليهم التنقل خارجها الا فى الضرورة القصوى على أن يعودوا اليها بعد ذلك فى أقرب فرصة وسمح للاسرى من الفرس والروم أن يشاركوا المسلمين فى حياتها العلمية بعد اعلان اسلامهم فكان لهم الدور الكبير فى نقل علوم بلادهم التى صبغت بالصبغة الاسلامية •

ولم يمض قرن على ظهور هذه المدرسة حتى صارت من أغزر المدارس علما بل أكثر من ذلك ضمت العديد من مشاهير علماء المسلمين

يحاضرون فى مساجدها .. وأغلب هذه المحاضرات بل معظمها كان فى التفسير والفقه والحديث والزهد والورع والتقوى ..

شهدت هذه المدرسة علماء أفذاذ مثل على بن أبى طالب الذى يعد مدينــة كاملة للعلم وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن عاس وعلى أيدى هؤلاء تخرج الــكثير من العلماء التــابعين ، وظلت تلك المــدرسة طيلة القرنين الأول والثــانى الهجرى تمد العــالم الاســلامى بالعلوم فيقصدها العلماء من كافــة أرجاء المــدن الاسلامية آخذين عنهــا بل اتخــذها بعض العلمــاء مقرا له حتى سميت باسمه فى بعض العصــور مثل مدينة مالك ويقصد بها المــدينة المنورة .

وتختلف مناهج هذه المــدرسة عن غيرها فى المدارس التى ظهرت تبــاعا ، واتصف علمائهــا بالتقوى ، فالتقوى هى جوهر الاســلام ومن أهم المقــاييس التى يقاس بهــا المسلمين ويفضل بعضهم عن بعض بها حيث قال الله عز وجل فى هذا :

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى)

فالتقوى مقيــاسا للتفضــيل ومقيــاسا للــكرم ، وكما أن هذه التقوى جوهر الاسلام فالعبودية أيضا هى جوهر التقوى حيث قال رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما سئل :

(ألا أكون عبدا شكورا)

أشهر المتفوقين فى هذه المدرسة والذين اكتسبوا صفة دائما فيها (طائفــــة القراء) التى كان لهــا الأثر القوى فى حيــاة المسلمين ، فالقراء أتقيــاء حينما حافظوا على كتاب الله عز وجل ، هذه الطائفة

معظمها من الأنصار والمهاجرين ، درسوا وحفظوا واستوعبوا القرآن الكريم على أيد أستاذ تقى هو « عبد الله بن مسعود » .

شاركت هذه الطائفة فى الحياة العلمية من خلال حلقات الدراسة التى عقدت فى المساجد لهم بل كانوا أتقياء حينما زهدوا فى الحياة وبعدوا عن اللذة والشهوة الوقتية ولم يكن زهدهم عزلة بل مشاركة فى الحياة العامة للدول الاسلامية ، وكانوا زهاد حينما شاركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حروبه وغزواته ومن بعده خليفته أبو بكر الصديق فى حروبه مع الردة حيث استشهد الكثير منهم .

وبهذا ضرب بهم المثل فى العالم الاسلامى كمعلمين وأساتذة وقواد ومحاربين ورجال سلام وحرب وسياسة وفقهاء فى الدين ومفسرين ومحدثين ومؤرخين وعلماء وزهاد وأتقياء ..

أما الطائفة الثانية التى أحرزت تفوقا علميا كبيرا فى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم « أهل الصفة » فقراء المهاجرين والأنصار ، عاشوا عيشة زهد وتقشف وتفرغوا للعلم واعتمدوا على صدقات المسلمين الأغنياء وهم خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشوا مع القرآن وفى القرآن حفظا وفكرا وتأملا وتدبرا ، فتخرجوا كبار الدعاه للاسلام وحربا على الكفر والشرك ومعلمين وفقهاء ومفسرين وزهاد ومن أشهرهم الصحابى الجليل « أبو ذر الغفارى » ..

الطائفة الثالثة وهم طائفة الخلفاء وهم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام تتلمذوا على يديه وشاركوا فى الدول الاسلامية فى الحكم بل كانوا على رأس الدولة فلم يشغلهم الحكم ومظهره عن مشاركة المسلمين فى الحياة العلمية ونخص بالذكر منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم .

فأبو بكر الصديق خليفة رسول الله ، فالخلافة فى نظره تشمل

الخلافة فى كافة الجوانب ، خلافة فى حكم الدولة وخلافة فى النواحى الاجتماعية وخلافة فى العلوم وخلافة فى السلم والحرب وبهذا وضع نظاما فى الحكم والحياة الاجتماعية ويتمثل ذلك فى مبدأين أساسيين هما : ١ — العدالة الاجتماعية بين المسلمين ، ٢ — حق الرعية فى المشاركة فى الحكم ومعاونة الخليفة على الحق وعزله اذا انحرف عن جادة الطريق (الشريعة الاسلامية) ، ومن هنا ظهرت تقواه ، وخلافته فى العلوم بأن شارك علماء المسلمين فى العلوم الأسلامية فنراه مفسرا لبعض الآيات الكريمة ونراه محدثا عن الرسول ، وفقيه لايستهان به ، وعالما بأسرار الدعوة فاختارته الجماعة الاسلامية على قمة الدولة • وكان أبو بكر الصديق تقيا حين حافظ على جماعة الصحابة من الزلل والانحراف بأن حرم عليهم « الامارة وشاورهم فى الأمر فأخلصوا له المشورة وأعانوه على القيام بتبعات الدولة » •

ويعد أبو بكر مؤرخا فى العصر الاسلامى الأول فهو نسابه يحفظ أنساب القبائل وتاريخها القديم ومحاربا فهو الذى جهز الجيوش حينما ظهرت بوادر الرده وهو الذى جهز الجيوش ضد أعداء المسلمين فحارب الروم والفرس •

وكان أبو بكر قدوة حسنة فى الزهد والتقشف واستمد زهده من رسول الله عليه الصلاة والسلام •

وبهذا كان أبو بكر خليفة لرسول الله ومؤرخا ومفسرا ومحدثا ومحاربا وفقيها ومعلما ومحبا لله ورسوله وزاهدا فى الدنيا رغم اقبالها عليه •

أما الفاروق عمر اتخذ من رسول الله قدوه له ومن أبى بكر الصديق منبعا للطريق السوى فى الحكم ؛ لقد كان عمر تقيا حين استل سيفه من جرابه مهددا قريش معلنا هجرته الى المدينة دون تخوف ولا رهبة ؛ فشهد التاريخ بتقواه حينما تحمل المسئولية كاملة فى أمور الرعية ، وتقيا حينما شارك الجماعة الاسلامية فى المجاعة فأكل طعامها بل أقل من ذلك لم يخص نفسه بأكثر منها •

فالفاروق عمر بن الخطاب خليفة رسول الله وأميرا للمسلمين ومحاربا شجاعا وزاهدا ومعلما ومفرقا بين الحق والباطل حتى استحق لقب الفاروق وهو أول لقب منح لعربى فى عصره عن جدارة وثقة وصدق وعثمان بن عفان مثل الشيخين السابقين فلم يختلف عنهم فى شىء فلقد كان تقيا حين شارك بأمواله فى نشر الدعوة الاسلامية وتقيا حين اشتهر بقراءة القرآن ، وهى من سمات تقواه حياته التى اشتهر بها .

وعلى بن أبى طالب ربيب النبوة ، أخذ العلم من منبعه فهو عالم لا يسأل عن شىء الا أجاب عنه ، فصار مدينة للعلم كاملة وزاهدا بل كبير زهاد المدينة وتقى الامة الاسلامية وكبير لعلمائها .

شاركت المدينة المنورة ومدرستها فى الناحية العلمية بقدر كبير فى الحياة الروحية بصفة خاصة ، لقد حمل علمائها مشعل الحضارة الاسلامية ووضعوا النظام العلمى فى مدارس العالم الاسلامى ، ولما سمحت الدولة لعلمائها بالسياحة فى أرجائها أرسوا قواعد الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية فانتشرت المدارس وظهرت العلوم بمفهومها الحديث ومن أهم هذه الشخصيات التىلعبت دورا كبيرا فى الحياة الروحية هم :

« عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بنعباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص » ، هم قادة العلم والتعليم والحركة الروحية ، وأخذوا عنهم الكثير فى الفقه والتفسير والاحاديث والشريعة ، وجاء بعدهم جيلا آخر أطلق عليهم التابعين أرسوا قواعد العلم للنهضة العربية الاسلامية التى ظلت قرونا طويلة ثم نقلت الى أوروبا فأقامت حضارتها ونهضتها على نفس الاسس والقواعد الاسلامية .

المدرسة المكية :

بدأ دور مكة فى المسئولية العلمية بعد الفتح الاسلامى وتكونت

مدرستها على يد « معاذ بن جبل » وهو من أفضل شباب المدينة ، ومنهج هذه المدرسة هى قراءة القرآن الكريم حفظا وتدبرا واستيعابا مع توضيح الحلال والحرام .

وبعد فترة ظهرت شخصية أخرى اتخذت من البيت الحرام مقرا لها وهو « عبد الله بن عباس » فأقام حلقات الدراسة وكان منهجه التفسير والرواه لاحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وشرح الشريعة الاسلامية ، وذاع صيت هذه المدرسة فى العالم الأسلامى ويرجع اليه الفضل فى ذلك .

لقد جذبت المدرسة المكية الطلاب من كل فج عميق فى الدولة الاسلامية وكان بين تلاميذها الامام الشافعى الذى نقل عنها علوم الحديث والفقه ثم استكمل تعليمه فى مدرسة المدينة حتى وضحت شخصيته وذاع صيته كعالم اسلامى وفقيه .

ظهور المدرسة الصوفية :

شهدت المدرستان الاحداث الدامية التى مرت على العالم الاسلامى منذ مقتل عثمان بن عفان حتى تولية معاوية بن أبى سفيان .. وعاصرت أيضا ضرب الكعبة وشاهدت المدرستان الصراعات العديدة التى أغرقت العالم الاسلامى فى بحور من الدماء وأحستا بموجة غريبة دخيلة على العقلية الاسلامية سمتها الخيانات والاكاذيب والاغتيالات والحروب والأحزان .

بين تلك الأمواج والتيارات التى غمرت العالم الاسلامى ظهرت شخصية اسلامية قوية لعبت دورا هاما فى ظهور مدرسة جديدة هى المدرسة الصوفية ، هذه الشخصية هى على بن الحسين « زين العابدين » .

رأى زين العابدين مقتل أبيه الحسين بن على واخوته فى معركة كربلاء وكادت الدائرة تدور عليه لولا مرضه ، سمع عن مقتل جده وما أعقبه من تيارات دموية شديدة ، وقف على تلك الاحداث

الدامية التى اجتاحت العالم الاسلامى وتعرف من خلاله على الحاقدين والكذابين فابتعد عن كل هذا ، وفعل ما يبقى أن يفعله كل مؤمن يخشى الله عز وجل بأن ينصرف الى العلم والعباده غير مشارك فى أحداث تلك الفترة التى مرت على الجماعة الاسلامية ، زهد فى الحياة ولكن لم ينعزل عنها • وتأثرت المدرستان بهذه الاحداث فتغيرت تغيرا شاملا اذ جدت عليها علوم جديدة لم تكن معروفة فى العالم الاسلامى تعلم الكلام وعلوم المعتزلة ، وظهور الصراعات المختلفة بين علماء تلك العلوم أدت فى النهاية الى قتل العديد منهم ، وبينما كانت هذه الجماعات تتصارع فيما بينها من فكر جديد الدم دخيل على المدرستان فى مكة والمدينة اذ ظهرت مدرسة جديدة عرف طلابها وأساتذتها طريقهم الى الله متمثلة فى قول الله عز وجل ••

« يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه »

أول معلم فى هذه المدرسة هو « زين العابدين » وحوله تكونت الجماعة الصوفية وعلى يديه بدأت معالم المدرسة الصوفية تتضح وتنأى بعيدا عن الغلو فى الكراهية التى شلت الجماعة الاسلامية وسيطرت عليها ، فالغلو كان فى المنهج الذى اتبعته الشيعة والكراهية التى بذرت فى النفوس من الدولة الأموية وسيطرت على الشيعة •

ومن هنا كان دور المدرسة الجديدة صعبا فى رسم منهجها الجديد ، فوضعت خطة معتدلة لا غلو فيها تهدف الى تعميق الحياة الروحية بين طلابها للوصول الى الله •

كانت سمة هذه المدرسة أن حبذت التخلص من الذنوب ولا يتأتى ذلك الا بغسلها ولا يتم الغسيل الا بالدموع ، وكان منهجها الذكر لله الممزوج بالبكاء معتقدة بأن الصواعق والكوارث ، تصيب المؤمن وغير المؤمن ولكنها لا تصيب المؤمن الذاكر لله •

ثم ازدادت حركات العنف فى الدولة الاسلامية سواء كان ذلك

على المستوى السياسى أو المستوى الفكرى وتغيرت المناهج فى المدرسة الصوفية الى منهج فريد من نوعه يحمل بين طياته العمق ويبتعد عن صراع الأفكار التى لا تزيد المرء الا تحيرا ، ويقوم على أبعاد المسلم وعقله عما كان يدور فى ذلك العصر .

وقامت طريقة التدريس فى هذه المدرسة لم تعرفهـا المدرستين السابقتين هى طريقـة التأمل والفهم الباطنى للقرآن الكريم والذكر المستمر للخالق والدعاء بأسلوب معين وكان المريد (الطالب) يتشرب القيم والاخلاقيات الاسلامية .

واتخذت المدرسة لباسا مميزا لها غير لباس المسلمين العـاديين هو لبـاس الصوف . وهنا يتطرق الى أذهاننا سؤال : لماذا اتخذوا الصوف لباسا لهم ؟

والواضح فى هذه الفترة أن الترف قـد زاد على طبيعتـه اذ جاءت الفتوح الاسلامية ومعها كل وسائل الترف وأدواته واتخذ عامة المسلمين بل الخلفـاء من الحرير لباسا لهم ، كما أن بعض الخلفـاء الامويين اتخذوا من الحرير المنسوج بالذهب لباسا لهم .

ويؤرخ بعض المؤرخين الحركة الصوفية بأن ظهورها بدأ منذ أن اتخذوا من الصوف لبـاس لهم عن بقيـة غـيرهم ، كما أن لبـاس الصوف يتفق مع فكرة المعارضة السلبية التى اتخذوها وقام بتعميقها قادة الزهد وعلمائه ضـد الحكم الاموى وضـد الحيـاة الماضية التى غرق فيها بعض شباب المسلمين وأدخلهـا الموالى من الفرس والروم الذين سعوا الى افساد حياة العرب الذين عملوا على سلب الشخصية القومية منهم .

ومهما يكن من أسباب فقد ظهرت المدرسة الصوفية جنبـا الى جنب مع المـدرستين السابقتين فى مكة والمـدينة ، ولم تنمو هـذه المـدرسة ولم يتطور منهجهـا الدراسى الا بعـد انتقال مركزها من الحجاز الى العراق حيث هيئت لها الظروف والمناخ الملائم لتطورها ..

وكما كان لــكل قطر اسلامى دوره فى الحكم والقيــادة ظهرت الناحية العلمية وتحملت الاقطار الاسلامية دورها الكامل ومسئوليتها العلمية حتى وضحت المعالم الاسلامية التى نقلت عبر المعابر المختلفة الى أوروبا •

وكانت للحيــاة الروحية ومدارسها الصوفية نفس الدور السابق فى الاقطار الاسلامية كما كان لها نفس القيادة ، واختلفت المنــاهج الدراسية فى هذه المــدارس ، وظهرت العلوم الصوفيــة مع العلوم الاسلامية جنبــا الى جنب وكانت الناحيتين العلمية والروحية أساس الدعوة الاسلامية (٩٤) •

---

(٩٤) انظر كتاب بحور الصوفية : أحمد بهجت ص ٦٠ — ١٢٠ .

الفصل الثانى

المـدارس العراقيـــة

انتقلت المدارس الصوفية من الحجاز الى العراق حيث وجــدت المناخ الملائم لانتقالها ، ولقد ســاهم العراق بنصيب كبير فى نمــو هذه المدارس وتطور مناهجها الدراسية ويرجع ذلك الى عــدة أسباب هامة منهــا :

قامت الحضــارات القديمــــة فى بلاد الرافدين وبها الكثير من العلوم • ولهــذا كان من الضرورى والطبيعى أن يســتعيد العراق دوره فى المساهمــة العلمية بعــد دخول العراق فى الدول الاسلامية كقطر من أقطارها •

وكان قبل الفتح الاسلامى يقطنها الــكثير من اليونانيين الذين أسروا أثناء الحروب التى نشبت بين الفرس واليونان وفى تلك الفترة كانت الافكار والاراء المختلفة فى الفلسفة والحكمــة تغمر الحيــاة • وحينما تم الفتح الاســلامى تجمدت هذه الافكار والاراء ولم تجد مكانا لتروج فيهــا • كما أن المســلمين الاوائل اهتمــوا بالقــرآن والاحاديث فلما أستقر الوضع السياسى فىالعراق بعد الفتحالاسلامى بدأت هذه الافكار فى الظهور مرة أخرى ولــكن بصورة مختلفة تماما عن ســابقتها حتى تتمشى مع الفكر العربى والاسلامى مع نبذ الافكار التى تخالف الشريعة الاسلامية •

غمرت الاحداث والصراعات والفتن العراق منذ مقتل عثمان بن عفان وشغلت الحروب الحياة العراقية وشلت تلك الاحداث والحروب الحياة الفكرية • ثم عادت بصورة واضحة مبالغ فيهــا بعد مقتل على ابن أبى طالب وطلحة والزبير والحسين بن على وغيرهم من الصحابة وأبنــائهم ولقد تأثرت الحياة الفكرية بهذه الفترة الدامية وبدأتتظهر أسئلة كثيرة تدور حول هذه الاحداث • سواء كان ذلك فى حلقــات

الدراسة فى المساجد أو فى المناظرات العامة وكثرت الآراء الجدلية وانقسم المسلمين الى مذاهب مختلفة تتناحر فيما بينها ومن خلال هذا التناحر ظهرت المدارس الصوفية التى انتقلت الى العراق مع انتقال مراكز القوة السياسية اليها .

وكان الموالى من الفرس واليونان الذين تعلموا اللغة العربية نقلوا جزء من الحياة الروحية التى تسود المجتمع الفارسى واليونانى قبل الاسلام الى البصرة ولهذا سارعت الصوفية الاسلامية الى فتح مدارسها لتقضى على تلك الحركة الروحية المستوردة الى العالم الاسلامى ، ولقد تعددت هذه المدارس ومناهجها الدراسية ومن أهم هذه المدارس :

المدرسة الكوفية :

انتقلت حاضرة الاسلام من المدينة الى الكوفة فى عهد الخليفة الرابع « على بن أبى طالب » وانتقلت اليها الاحداث والفتن التى غمرت العالم الاسلامى من وراء الصراعات السياسية التى نشبت بعد مقتل عثمان بن عفان . ونزح مع انتقال الحاضرة الاسلامية عدد كبير من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام لانهم يمثلوا الاغلبية فى أنصار على بن أبى طالب . وكان على رأس النازحين أحد أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام « عبد الله ابن مسعود » .

لقد شغلت الحروب الخليفة على بن أبى طالب كما شغلته الحياة السياسية الجديدة وأبعدته فى تلك الفترة عن المشاركة فى الناحية العلمية ولم يتفرغ كغيره من أصحاب رسول الله للعلم .

كما شغلت السياسة والحروب على بن أبى طالب ، وشغلت الحياة العلمية عبد الله بن مسعود ، فقد تفرغ لتعليم أبناء الكوفة القرآن قراءة وحفظا وتدبرا وتفسيرا وتفهما واستيعابا ولقد لزمه تلاميذه يتعلمون منه ويتأدبون بأدبه ، وقد نبغ الكثير فى مدرسة الكوفة التى

كان معلمها الاول « عبد الله بن مسعود » ولقد حملت المدرسة مشعل الحركة العامية الجديدة والفريدة من نوعها كما أن هذه الحركة قد قامت بدورها فى الحياة الروحية مع الحياة العقلية ، ثم تطورت الحياة الروحية كزهد ثم تطور الزهد الى تصوف معتدل لا مبالغ فيه وليس له مصطلحات تخرجه عن الشريعة الاسلامية والبعد عن بساطة الاسلام وظلت المدرسة الصوفية الكوفية تقوم بدورها حتى قيام الدولة الاموية وكان منهجها الشريعة الاسلامية والتفسير للقرآن الكريم وقراءاته والاحاديث (سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام) ، كان نفس الاهتمام وتخرج العديد من هذه المدرسة الذى لعب دور هام فى الحياة الروحية الاسلامية فيما بعد • ولم تتطور هذه المدرسة بل ظلت محافظة على التراث مع الاهتمام بالناحية الروحية • وحتى فى فترات التطور والنمو الثقافى التى شملت الحياة الفكرية بعد الترجمة ظلت هذه المدرسة بتراثها القديم المحافظ عليه•

ومن الشخصيات اللامعة فى مدرسة الكوفة هم :

١ — سلمان الفارسى •
٢ — حذيفة بن اليمان •
٣ — على بن أبى طالب •
٤ — مسروق بن عبد الرحمن الكوفى ويلقب براهب الكوفة •
٥ — الاسود بن يزيد •
٦ — علقمة بن قيس ويلقب بزين القرآن •
٧ — الربيع بن الخثم •
٨ — سفيان الثورى •
٩ — داود الكائى •

المدرسة البصرية :

البصرة مدينة كبيرة من مدن العراق ذاع صيتها بعد حركةالنزوح لاصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام التى تمت بعد الفتنةالكبرى

والتى أودت بحياة الكثير من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام •

وبعد فترة النزوح هذه استقرت الحياة الطبيعية فى البصرة وعادت الامور الى نصابها وصارت البصرة من أهم المدن العراقية التى شاركت بنصيب كبير فى الحياة الروحية وعملت على تطويرها •
ومن أشهر النازحين الى البصرة المعلم الاول لمدرستها وهو « أبو موسى الاشعرى » الذى اختير فى عملية التحكيم بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فى نزاعهما المشهور على الخلافة الاسلامية •

ولقد قام « أبو موسى الاشعرى » بدوره كمعلم فى مدرسة البصرة ومن أشهر العلوم التى قام بتدريسها علم القراءات ولم تكن العملية التعليمية وظيفته الوحيدة بل اتخذ القضاء عملا له للفصل فى الخصومات وأيضا فقيها فى الدين أخذ عنه وتخرج على يده العديد من علماء المسلمين فى تلك الفترة مثل « الحسن البصرى » الذى أسس المدرسة الصوفية الروحية •

ظلت المدرسة البصرية بعد أبو موسى الاشعرى هى المدرسة الام التى تجذب اليها العديد من الطلاب من أرجاء الدولة الاسلامية للدراسة التى يعتمد منهجها على علوم القراءات وعلوم الحديث والفقه والتفسير والشريعة •

ومن المدرسة الام هذه ظهرت المدارس الصوفية البصرية مثل مدرسة حسن البصرى التى وضعت منهجا جديدا للتصوف الاسلامى وقتئذ •

وظهرت هذه المدارس المنبثقة من المدرسة البصرية بألوان جديدة فى الحياة الروحية التى طبعت هذه الحياة بما يتناسب مع متطلبات الحياة العامة والتى تخدم الحياة السياسية وقتئذ ومن أهم هذه المدارس هى :

مدرسة حسن البصرى :

اشتهر حسن البصرى فى المدرسة البصرية بنبوغه عن أقرانه فى الناحية الروحية — المستمدة من الكتاب والسنة والتى قام بغرسها فى روحه أساتذته وخاصة « زيد بن ثابت » .

يعد حسن البصرى المؤسس الحقيقى لأول مدرسة صوفيةجديدة من نوعها مختلفة فى مناهجها عن غيرها ذات المناهج التقليدية .

بعد تخرج حسن البصرى من مدرسة البصرة ظهرت شخصيته العلمية التى كانت من ألمع الشخصيات العلمية فى عصره . فهو عالم فصيح شجاع لا يخشى أحد فى ابداء رأيه ، فقيه يستفتى فيما يعرض عليه من أمور الدين فيفتى عن علم . وكان قصاصا صادقا ودقيقا بما يقضى .

لقد احتل حسن البصرى مكانة ومنزلة علمية فى تاريخ الصوفية لم يسبقه اليها أحد من قبل واشهرته العلمية الصقت به العديد من الاراء المتناقضة والنظريات الفلسفية المختلفة ولهذا أعده المؤرخين أسطورة عمره .

لقد قامت مدرسته بدور هام فى الحياة الروحية الاسلامية فجذبت اليها الطلاب من كل أرجاء الدولة الاسلامية وتخرج منها العديد من علماء الصوفية المشهورين .

كان منهج هذه المدرسة على نمط مدرسة ابن عباس ، فقد نقلت عنه التفسير ورواة الحديث واختلف منهج مدرسة حسن البصرى فى الاهتمام بموضوع « الجنة والنار » ، وكانت معظم محاضراته تصب فى هذا الموضوع بصفة خاصة ، ويقال ان سبب اهتمامه بالجنة والنار هو خوفه الشديد من عقاب الله عز وجل له . ولهذا ظهرت طائفة اسلامية جديدة أطلق عليها طائفة (الخائفين) وعلى رأسها كان حسن البصرى الذى آل على نفسه انقاذ البصرة من الضلال الذى غمر كيانها وفرق أهلها وأوقعها فى المحظور الذى يعرضها للعقاب

بالنار • ولم يكن اهتمامه بالبصرة وما وصلت اليه فقط • بل تعرض الى المجتمع الاسلامى ككل • بل أكثر من ذلك حمل نفسه تبعة خطيرة وصعبة هى مسئولية كبرى فى عنقه كمعلم وكداعية لانقاذ المسلمين من الضلال والوقوع فى المحظور ويدور منهج الدراسة فى هذه المدرسة حول آراء وأفكار واحساس معلمها حسن البصرى والتى بدورها قد بلورت المنهج فى عدة نقاط هامة منها •

١ ــ علم الاخلاق وينحدر فى القدوة الحسنة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دين ماهو عليه من عمل وقول فيبكى أسفا على الناس وعلى نفسه •

٢ ــ من عمليات المقارنة بين عصره وعصر الصحابة يظهر الحزن الذى يسود طابع مدرسته ويشكل نسيج منهجه الدراسى فيكثر من البكاء كبقية السابقين من العباد • بل حرم على نفسه الضحك وعنه أخذ طلابه حتى ظهرت بعده طائفة تطلق على نفسها اسم (البكائين) نسبة الى كثرة البكاء معتقدة بأن الذنوب لا يمحوها الا الغسيل بالدموع •

٣ ــ اعتبر حسن البصرى القرآن الكريم مفتاح الحزن المقيم له فى الدنيا حيث قال فى هذا الموضوع :

« والله يا ابن آدم لئن قرأت القرآن وآمنت به ليطولن فى الدنيا حزنك وليشتد خوفك وليكثر بكاؤك » ولم يكن حزنه على الخوف من الموت ولكن على قصر الحياة لديه ويرى الموت فى حد ذاته مخيفا قاسيا ويرى الدنيا وهما وسرابا •

٤ ــ صفاء النفس عند حسن البصرى يأتى من احياء القلب الذى يسيطر على كافة جوانح الانسان ويطالب تلاميذه بمخاطبة قلوبهم ومراقبة أنفسهم •

٥ ــ يغرس فى طلابه الصبر لفظا وعملا حتى يتخلصوا من الشهوات ويوضح لهم بأن الصلاة لا تصح الا بعد التخلص من تلك الشهوات والخطايا •

٦ — ويرى الحسن البصرى أن صـــلاح حال الفرد المسلم يأتى عن طريق مراقبة النفس ومحاسبتها وزجرها •

وبهذه النقاط التى حـــدد بها حسن البصرى منهجه الجديد فى مدرسة بالبصرة قد وضع علما جديدا وفريدا من نوعـــه ضمن العلوم الاســـلامية هو :

« علم ارادة النفس الاسلامية والذى كان له الاثر الـــكبير فى منهج كل من الحارث المحاسبى وأبو حامد الغزالى وعن أحاديثه حول النفس ومحاسبتها والغوص فى أعماقها قـــد وضح لنا هدف هذا العلم الجـــديد بين العلوم الاســـلامية وظهر حسن البصرى عملاقا فى علم النفس الاسلامى » •

المـــدرسة العـــدوية :

أسست هذه المدرسة سيدة الحب الالهى « رابعة العدوية » التى ذاع اسمها ومنهجها الصـــوفى فى العـــالم الاسلامى ويهمنا كدارسين أن نعرف الـــكثير عن حياتها السابقة قبل التعرض لمنهجها االتربوى •

وقد وصلت الينـــا آراء كثيرة عن نسبها وعن أسرتها سواء كانت هذه الاراء جاءت عبر العصور التاريخية موضـــوعة عنها فى الـــكتب والمصادر العربية أو آراء خاصة بالمستشرقين وتبلور هذه الاراء فى عدة نقاط هامة وهى :

١ — الواضح من هـــذه الاراء أن هنـــاك محاولات كثيرة وعجيبـــة موضوعة عن نسب رابعة العدوية فقد اختلفت المصادر العربية فى نسب رابعة وأسرتها •

٢ — يرجع المستشرقون نسبها الى أصول فارسية وأخرى مسيحية والهـــدف من ذلك هى محـــاولة غير علميـــة لتشويه التصـــوف الاسلامى بأنه مستمد من التصوف الفارسى القديم أو من الرهبنة (المسيحية) أو التصوف الهندى •

٣ — أن جميع الآراء التى جاءت عن طريق المصادر العربيـــة رغم اختلافها قـــد أجمعت على أن الاصول فى التصوف الاســلامى مستمدة من الـكتاب والسنة وأن رابعة العدوية من أصل عربى وأن قبيلتها قيسية •

٤ — ان محاولات المستشرقين غير موضــوعية وقامت على الحـــدس والتخمين وليست على المنهج العلمى السليم المعروف لدينا الان•

٥ — تصور لنا المصادر العربية بأن رابعـــة العـــدوية لامعة الذكاء متعددة الايمان والحس منذ طفولتها الاولى وانها حفظت القرآن وحافظت على الصـــلاة ، وقد ذاقت مرارة اليتم وهى فى سن الشباب وأن أخوتها جميعا بنات •

٦ — تتفق المصـــادر العربية فى قصة رابعة العربية وظروف حيــاتها والمتاعب التى واجهتها منذ المجاعة التى شملت مدينــــة البصرة وفرقت بينهـــا وبين اخواتها يضربن جميعا الارض تلمسا للقوت ونتيجة لهـذا القحط انتشرت عمليات اللصوصية فى الطرق ومعهم تجار الرقيق بعيـــدة عن أعين الناس يلتمسون صيدا ثمينا وشاء القدر أن تكون رابعـــة هذا الصـــيد فتقع فى أيديهم كما تقع فى العبودية فقد باعها التـــاجر الذى اختطفها بست دراهم وهـــذا مبلغ ضئيل لاى فتاة تعرض فى أسواق العبيد •

٧ — نالت رابعة من سيدها الجديد ألوانا كثيرة من العذاب والقسوة وكانت رابعـــة ذات معدن معين مختلف عن بقية جيلها فى تحمل هذه الالوان المختلفة كما أن العنـــاية الالهية تخصها صفة يقف العقل والفكر عندها • بدأت تهرب من عذابهـــا وضيق حيـــاتها الى سعة ايمانها الكبير الذى أغرقها فى بحور المناجاه •

٨ — أعتقها سيدها الجـــديد ولا ندرى لمـــاذا وكيف لان المصـــادر العربية لم توضح ذلك ؟

٩ — كانت رابعة مغرقة فى صـــلاتها ساجـــدة تحس بالنور يغمر كل

كيانها وهى تقول « الهى أنت تعلم أن قلبى يتمنى طاعتك ونور عينى فى خدمتك ولو أن الامر بيدى ما انقطعت لحظة عن مناجاتك ولكنك تركتنى تحت رحمة هذا المخلوق القاسى » •

١٠ــ كانت فريضة الحج بالنسبة لرابعة من الفرائض الضرورية فى مستهل حياتها الروحية ولا تستطيع تتبع هذا الجانب فى حياتها لانه قد ضاع فى أعماق الاساطير التى وضعت لحياتها •

وقد وضع دكتور عبد الرحمن بدوى نظرية فى الايمان من خلال تتبعه لقصة رابعة العدوية وتتلخص فيما يلى :

١ ــ بأن الانقلابات الروحية الكبيرة جاءت نتيجة العنف والافراط والمبالغة وضرب فى ذلك مثلا من الامثلة بما حدث للقديسين من عنف للشهوات الحسية الى عنف للفكر ذاته أدى الى الايمان •

٢ ــ ان الاعتدال شيمة الضعفاء والتطرف شيمة المبدعين الخلاقين •

٣ ــ تطرف رابعة فى ايمانها وحبها سبقه تطرف فى فجورها وحبها للدنيا •

٤ ــ يقصد بأن الايمان القوى والسلوك الى الله لا يأتى الا بعد الافراط فى الشهوات والفجور مسبقا وان المؤمنون فسقه واقتاتوا بقوت الحواس •

وأرى فى نظريته مايلى :

١ ــ نسى دكتور / عبد الرحمن أن الايمان بالله لا يأتى الا عن طريق الاقتناع والمعرفة بالخالق وكلما ازدادت المعرفة بالله ازداد الايمان وازداد الحب لله •

٢ ــ لا يأتى الاقتناع والمعرفة الا عن طريق العلم بالكون والمخلوقات ولهذا قال الله سبحانه وتعالى :

« يخشى الله عباده العلماء » •

والخشية هى أعلى درجات الايمان ولا يصل اليها الا العلماء الذين أغرقوا أنفسهم فى المعرفة ولا تتم المعرفة الا عن طريق الحب والايمان لا يأتى عن طريق الاغراق فى شهوات الحس واللذات •

٣ — قصد بنظريته هذه أن علماء المسلمين الذين عرفوا الله حق المعرفة كانوا ملاحدة وفسقة وأن ايمانهم بالله سبقه الاغراق فى الشهوات والحس •

٤ — أن نظريته ليس لها سندا أو أدلة تؤيدها وانما اعتمد على التخصيص والاستنتاج •

المنهج الدراسى للمدرسة العدوية :

عاشت رابعة العدوية فى فجر الانبثاق العلمى الاسلامى ، فقد بلغت موجة الفتح العربى غايتها فى القرن الاول الهجرى وهيمن عالم القرآن والسنة على الامة الاسلامية وبدأ العالم الاسلامى يلتفت الى الجوانب الثقافية والفكرية والعلمية والتنقيب على الآراء الفلسفية والجدلية والبحث عن التراث القديم للأديان السماوية •

أخذت مدارس المنطق ومعاهد الجدل تأخذ طريقها الى أبواب الفقه الاسلامى والى ساحات التفسير فترسى قواعدها التى لم تكن معروفة فى الصدر الاول للاسلام •

وكان لابد من حركة مقاومة سريعة للوقوف فى وجه هذا التيار فجند رجال الحديث أنفسهم لقيادة الجماهير الاسلامية التى كانت فى حاجة الى من يخاطب قلبها ويوقظ روحها ويلمس المفاتيح التى تحرك أحاسيسها وتشعل وقود الايمان فى جوارحها للتصدى لهذا التيار المدمر •

جاءت رابعة ومدرستها على ميعاد فى تلك الفترة لتحول الزهد الى محبة والرهبة والخوف والبكاء الى رهبة والعقيدة الى بساطة والفلسفة الى ايمان والفقه الى تعبد وأخلاق •

جاءت رابعة لترسى قواعد مدرسة فريدة جديدة من نوعها فى الاسلام هى مدرسة الحب الالهى فجعلت من الحياة أنشودة سماوية تهتف بحب الله وجعلت الطاعة عملا ذا روح وجعلت من الرضا صورة مشرقة باليقين فيها جنة الرجاء .

جعلت رابعة من خلال الحب الالهى الحب للكون بكل ما فيه ، وتلك أعلى وأسمى ذروة الحب فى تذوق الحياة ، وتسلسل من كل هذا حبها لكل ما يجرى به القضاء والقدر لانهما من أمر الله ، وكل أمر من عند الله سبحانه وتعالى فهو خير لو فهمه الناس واستوعبوه .

جعلت رابعة التقوى وحب الله طريقها للتفاهم بين الناس وما يجاورهم ويحيط بهم من جماد ونبات . فمن اتقى الله خضع له كل شيء ومن أحب الله سخرت له الحياة .

وتعد رابعة أستاذة علم النفس الصوفى بلا منازع اذا عرفت النفس البشرية وطبيعتها وعوامل اعتلالها وعوامل شقائها اذا مرضت وعوامل صفائها ونقاء معدنها ومراحلها وذلك عن طريق المنهج الذى وضعته لمدرستها . وخطة الدراسة التى وشعتها سيدة الحب الالهى وأستاذة علم النفس الصوفى تتلخص فى عدة نقاط مشتملة على مضمون النسيج الصوفى الذى قررته مناهج المدارس الصوفية فيما بعد ومن أهتم تلك النقاط هى :

١ — التوبة :

أسلوب اسلامى يتمثل فى الرجوع الى الله وبه يبدأ الصوفى صفحة جديدة فى حياته الدراسية فى المدرسة الصوفية ويطبق هذا الأسلوب بطريقة نظرية وعملية فى آن واحد . فالنظرية مزيج من الاستغفار والشوق الى الله ويأتى من داخل العبد ذاته يحس به احساسا قويا . أما العملى فهو قيام الليل فى الصلاة وقراءة القرآن واستذكار الموت وما بعده من عقاب وثواب وتذكرة للموت بحيث على الدارس فى هذه المدرسة أن يعد (اكفانه) ويضعها أمام نظره متذكرا

أن الموت فى كل لحظة وقد يثير هذا التذكر الاحساس بالخوف الذى يؤدى الى البكاء والاستغفار والابتهال والصلاة لله •

والتوبة فى المدرسة العدوية مقام وحال لانها صفة دائمة للمؤمنين فهى مقام اعد لاتصالهم بالله فى كل لحظة استجابة لقول الله عزوجل•

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنين » •

وشرط هذه التوبة الصدق النابع من القلب وعدم العــودة الى الذنوب مرة أخرى والدارس فى المدرسة العدوية مؤمن ايمانا قويا بالخالق ويعتبر ايمانه أول درجات الدراسة الصوفية حتى يدخل فى التسليم المطلق الكامل لله سبحانه وتعالى فيغمره الله جل وعز بالعزة والثقة بالنفس •

٢ ــ الرضــا :

عن طريق درجات الايمان التى يصل اليها الدارس فى المدرسة ينشد العبد الرضا من الله فان وصل اليه لا يبالى باحــداث الحيــاة فيرتقى الى أعلى درجات الرضا فيستوعب كل شىء فى الوجود كان من قضاء الله وقدره وتعد هذه الدرجة العلمية من كمال العبودية للخالق سبحانه وتعالى •

فالرضا بكل أمر واقع فيه حكمة وعسى تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خير كثيرا فالرضا من أسرار الحياة للمؤمن •

٣ ــ المراقبــة :

أسلوب من الاساليب التى صارت به المدرسة العدوية فى خطة دراستها وهذا الاسلوب مستمد من الكتاب والسنة يدرب الدارسون عليه بطريقتين هما :

١ ــ مراقبة النفس والقلب مراقبة دقيقة ومحاسبة شديدة •

٣ ــ الاحســاس بمراقبة الله بمخلــوقاته لانه يراهم فى كل تحركاتهم اينما حلوا واينما ارتحلوا •

٤ ــ المحبــة :

تعد العمود الفقرى للمدرسة العدوية فالدارسون فيها يحبون الله حبا شديدا ليس خوفا من ناره ولا طمعا فى جنته ولقد قالت رابعة حينما سئلت عن الجنة فقالت « الجار ثم الدار » أى تنشده قبل أن تنشد جنته •

وسئلت عن حقيقة ايمانها فأجابت « ما عبــدته خوفا من ناره ولا طمعا فى جنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له » •

ويقول دكتور محمد مصطفى عن الحب الالهى « أن لفظة الحب ظلت مختفية من معظم مصطلحات الصوفية حتى كانت رابعة » •

يوضح المنهج الدراسى للمدرســة العدوية بأنهــا كانت رائدة المدارس الصوفية التى رسمت طريقا جديدا للتصوف الاسلامى فاندفع تياره بسرعة خاطفة كما أن رابعة تعد أستاذة لعلم النفس الصــوفى وسيدة الحب الالهى فى عصرها •

وعلى نمط هاتين المدرستين السابقتين مع طلابها وزمن ظهورها • ومن خلال هذه المدارس ظهرت الشخصيات الصوفية اللامعة فى الفكر الاسلامى الروحى وأهم هذه الشخصيات •

١ ــ عامر بن عبد قيس صاحب الثورة الروحية الاولى فى البصرة •

٢ ــ الاحنف بن قيــس منهجــة العلمى مبنى على محاســبة للنفس والصبر •

٣ ــ فرقد بن يعقوب السنجى الزاهد الارمنى المسلم •

٤ ــ حبيب العجمى الصوفى الفارسى •

٥ — مالك بن دينار ومحمد بن واسع وثابت بن أسلم النبانى وأيوب السخيتانى وهم من الوعاظ العباد فى مدينة البصرة •

٦ — عبد الواحد بن زيد أول محب عفيف وهو من الزهاد •

٧ — عينة الغلام المحب الشهيد •

٨ — رباح بن عمر العيسى نظريته الخله •

المدرسة البغدادية :

تعد هذه المدرسة امتدادا لمدرسة رابعة العدوية فى البصرة فقد انتقل عامل الحب الالهى الى صوفية بغداد لكنه بطريقة مخالفة عما كان فى مدرسة رابعة • اذ قام أئمة الصوفية بمزج عامل الحب الالهى مع عامل الولاية وجعل منهما عاملا واحدا •

أما من ناحية التصوف الاسلامى كعلـم له منهجه بين العلـوم الاسلامية فقد قامت المدرسة البغدادية بعدة محاولات فى هذا الشأن•

فالتصوف فى رأى المدرسة البغدادية ظـاهرة دينية فريدة من نوعها لتربية المسلمين تربية ذوقية وجدانية تمس القلب والروح قبل الجوارح كما أنها من الناحية العلميـة فهى علم تطبيقى لانه يرتبط بمجاهدة النفس • كما أنها علم يمس الحياة فى الآخرة ويضفى على بعض المفاهيم الفقهية الجامدة روحا جديدة ممتزجة بالعاطفة الدينية التى تمس القلوب وتؤثر فى النفوس •

وتنحصر أعمال الصوفية فى عدة مفاهيم منها التصديق والايمان واليقين والصدق والاخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة والشوق والوجد الورع والخوف والصبر وغيرها من — مجموعة الانسجة الصوفية •

لقد بدأ هذا العلم الجديد بمفهوم جديد للعبادات والاحكام هو المفهوم الباطنى الذى استمده من الكتاب والسنة •

حاولت هذه المدرسة بكافة الطرق الى توحيد علوم الفقه مع علوم

لاصوفية فى علم واحد ولكن المحاولة لم تتم لان الفقه قائم منذ بدايته على الرواية الصادقة أما التصوف قائم على التذوق الوجدانى والدراية والاحساس •

ويدور المنهج الدراسى فى المدرسة البغدادية حول النقاط التالية:

١ — الزهـد •
٢ — الحب ممتزج بالولاية •
٣ — الانقطاع لله •
٤ — محاسبة النفس ومراقبتها •
٥ — التبغيض فى الكبر والحسد والشماته •
٦ — الاخلاق وتدور مبحثها فى :

(أ) النفس والامراض التى تصاب بها وطرق علاجها •
(ب) القلوب وأسرارها •
(ج) الاخلاق التى يتصف بها المريد فى هذه المدرسة •

٧ — التقوى وغايتها المعرفة والفهم ولا يتم الوصول اليها الا عن طريق العلم والعمل •
٨ — الموت وما بعده من عقاب وثواب •
٩ — الصبر وقوة الاحتمال •
١٠ — الذكر والدعاء لله سبحانه وتعالى •

وقد ظهر العديد من علماء الصوفية فى هذه المدرسة وتخصصوا فى بعض العلوم الصوفية ولقد أضافوا الى الحياة الروحية الكثير من المفاهيم الجديدة ومن ألمع هذه الشخصيات :

١ — أبو هاشم الزاهد : وهو أول من لقب بالصوفى ولباسه الصوف •
٢ — منصور بن عمار : أهتم بالاخلاق والكرامات •
٣ — معروف الكرخى : منهجه الحب ممتزجا بالولاية •
٤ — بشر بن الحارث الحافى : منهجه التصوف والزهد مع العمل •
٥ — الحارث المحاسبى : الاعتماد فى منهجه على الكتاب والسنة والقدوة

بأصحاب رسول الله ومحاسبة النفس ومراقبتها ومجاهدتها •

٦ ـ سرى السقطى : منهجه الحب وعلاماته الانقطاع لله •

وقد انبثقت من هذه المدرسة جماعة من العلماء اتخذوا من الفلسفة والأفكار الفارسية والبوذية أفكار جديدة وحاولت أن تصبغها بالصيغة الاسـلامية وقد أطلق على أفكارهم الجديدة باسم شـطحات • وقد تعرضوا من خلال تلك الأفكار الى التعذيب والقتل • هذه الأفكار التى ظهرت من جزاء فكرهم المستورد قد عرض الفكر الصوفى كله للهجوم الذى لا مبرر له • فالفكر الصوفى كما ذكرت فى الفصول الاولى من كتابى أنه استمد نسيجه من الكتاب والسنة وهذين المصدرين فيهما ما يغنى الصـوفى أو الزاهد بأن يقيم مدرسـته ومناهجها والخطـة الدراسية فيها(٩٥) •

---

(٩٥) أنظر كتب الدكتور عبد الحليم محمود وهى فى معظمها تبحث فى التصوف ، ويعد الدكتور عبد الحليم محمود أحد مؤرخى الصوفية فى مصر فى العصر الحديث .

الفصل الثالث

المدارس الشــامية

الشام ذات الارض الخصبة والمياه الوفيرة والمناخ المعتدل وعلى أرضه هبطت الديانات السماوية فانتشرت تعاليمها فى أرجـــاء المنطقة كلها وأكثر من ذلك قامت الحضارات القديمة على ضفاف أنهاره فصارت الشام منطقة جذب لكل السكان البحر المتوسط وشبه الجزيرة ومصر •

ساهم السكان الجدد الذى نزحوا الى الشام فى اقامة نهضة علمية ومدارس ـــ لعبت دورا هاما فى تاريخ المنطقة كلها وبين جدران هذه المدارس ظهر العلماء العظام الذين أثروا العالم القديم بأفكارهم وقادوا المنطقة الى منطقة علمية لعبت دورا هاما فى تاريخ الانسانية فى العصور القديمة •

على أرض تلك المنطقة ظهرت المراكز العلمية وخاصـــة فى صور وانطاكية وصيدا وبيروت ودمشق وحمص •

فى تلك المراكز ظهرت المذاهب الفلســفية اليونانية والنظــريات الفقهية الرومانية فاثر ذلك فى العقلية الشامية تأثيرا كبــيرا ، ولعب السريانيون دورا كبيرا فى العلوم القديمة ، فكان لهم دورا هـــاما فى الحركة العلمية فى بلاد الشام وسكان شبه الجزيرة المجاورين لهـــا زحفوا اليها طمعا فى خيراتها فتناثروا بأفكـــار المنطقة وأثروا فيهـــا بأفكارهم •

ولما تم الفتح الاسلامى لهذه البلاد انتشرت اللغة العربية بين سكانها ولم تقف الدولة الاسلامية فى وجه أهل الشام من التفقه فى الدين بل أرسلت اليهم ثلاثة من كبار أساتذتها ومعلميها هم « معاذ ابن جبل ، وعباده بن الصامت وأبو الدرداء » •

لقد بذل الثلاثة جهودهم لاقامة أول المدارس الاسلامية فى تلك المنطقة وقاموا بالتدريس فيها وعرفوا فيها بأنهم فقهاء ومعلمين وقراء مشهورين ولم يكتفوا بذلك ، بل تولوا منصب القضاء فى المدن التى وفدوا اليها ومن بعدهم جاءت وفود المعلمين الى تلك المدارس •

ونقل الامويون مركز خلافتهم الى دمشق وكان من الطبيعى أن ينتقل العلماء الى مركز الخلافة ، وللاسف لم يشجع الامويين الحركة العلمية لانهم مشغولين بالقضاء على معارضيهم فى المنطقة العربية كلها • فالمدارس التى ظهرت فى تلك المنطقة قامت على جهود ذاتية ، ونتيجة للحماسة الدينية التى غمرتهم ، وزادت بعد ذلك حاجة الناس الى معرفة الشريعة والاحكام الاسلامية •

ومع هذه المدارس ظهرت الحركة الروحية فى بلاد الشام وبدأ الناس يتعرفون على منهجها •

ويوضح الباحثون المستشرقون فى بحوثهم التى نشروها بأن هناك عنصر خارجى قد اتصلت به الحياة الروحية الاسلامية واتهامهم زورا وبهتانا بأن المسلمين أخذوا دليل الصوفية عن البوذية أو المسيحية أو الفارسية أو اليونانية ذلك أن منطقة الشام كانت تموج بالفرس واليونان وبالمسيحية والهنود والسريانين قبل الفتح للشام ، وعنهم نقلوا حضارتهم وحياتهم الروحية ، وأن العرب الذين جاءوا من الصحراء استولوا على الحكمة فى تلك المنطقة •

نسى الباحثون أن التصوف الاسلامى له أصوله الكثيرة فى الكتاب والسنة وانهما منبعان صفيان لكل زاهد أو متصوف يرغب فى حياة صوفية •

المدرسة الدمشقية :

هى أولى المدارس التى أنشئت فى بلاد الشام واتخذت من المساجد ركنا لها حيث كانت تقام حلقات الدراسة ، ولقد وضعت هذه

المدارس منهجا دراسيا جديدا يتلائم مع طبيعة ونوعية التصوف فى بلاد الشام ، ولقد درست هذه المدرسة مواد التفسير والاحاديث والقراءة الصحيحة وأشهر الرواة للحديث هو « معاذ بن جبل » .

واعتمدت منهج هذه المدرسة على عدة نقاط هامة هى :

١ — الجوع :

لقد اتخذت هذه المدرسة من الجوع شعارا خاصا بها وأطلق على مريدها الجوعة نتيجة لعدم اقبالهم على تناول الطعام الا مايقيم أودهم متخذين من حديث رسول الله ﷺ قدوة حسنة قال « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » ولقد رأت الصوفية أن الاكثار من الطعام يكون بمثابة حاجز قوى يؤدى الى الكسل والخمول ويمنع الفرد المسلم أن يفكر تفكيرا علميا ويمنع النفس أن ترقى الى مدارج الصفاء .

ويرى أبى سليمان الدرانى وهو أحد شيوخ الصوفية بأن كثرة الاكل يجلب اللذة الجنسية ويبعد الفرد المسلم عن العبادة حيث قال « الجوع يحارب اللذة ويوجه الفرد الصوفى الى العبادة والتفرغ لها ».

٢ — الخوف والدموع :

اتصفت هذه المدرسة بالخوف الشديد على نمط مدرسة حسن البصرى ، فالخوف فى قاموس هذه المدرسة هو الخشية من الله .

ولكن الخوف فيها ظهر ممتزجا بالبكاء الشديد ، ويرى صوفية المدرسة الدمشقية بأن الدموع تغسل الفرد المسلم من أدران الذنوب، ولهذا كثر بها البكاء وعرف أصحابها بهذه الصفة حتى ترى تأثير الدموع الكثيرة على وجوهم .

٣ — الشريعة الاسلامية :

قامت هذه المدرسة على دراسة الشريعة الاسلامية فالشريعة فى نظرها ليست من أعمال الحكام فى الدولة الاسلامية وهى تطبق على

الحكام والمحكومين سواء فليس فى نظرهم حاكم من حقـه أن يشرع للناس ولا يعتبر بحال من الاحوال ما يصدره الحاكم من أمر أو نهى مبدأ قانونيا يعمل به كسابقه الا اذا كان اجتهـادا فى حدود الاطـار العام للشريعة الاسلامية التى مصدرها كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام •

فاذا كانت الشريعة الأسلامية مرنة تسـتجيب لحـاجات الناس المتجددة فليس معنى هذا انها تخرج عن اطار القرآن الكريم والسنة•

وانما تستخرج لكل مسألة طارئة قياسا فى اطار أصولها ويتم ذلك عن طريق ما عرف فى العصور السابقة وعصورنا بالاجتهاد •

ولما كانت الأمة لاتستطيع بكليتها أن تقوم بهذه الواجبات أوجد الاسلام ما يسمى « الاكتفاء أو النيابة » أى اذا قام بها بعض من الامة سقطت عن بقية المسلمين ، وقد أطلقوا على هذه المهمة الاجتهاد « كغائبه » وأطلقوا على أصحابها بأسم « أصحاب الاجتهاد » وهم أصحاب العلم والبصر بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مع انصافهم بصدق النظرة وقوة الرأى وحسن الاسلام وتقواه ، ولم يكن هناك نظام معين يختارون به هؤلاء أو يتخذوهم لسلطانها أو تأثيرها أفهمه الخليفة أو الحاكم مهمة تتغير به ولا يسمح للحاكم أو الخليفة أنيكون فى داخل هذه الهيئة « أهل الاجتهاد » الا اذا انطبقت عليه شروطهم •

مدرسة أبو الدرداء الانصارى :

أتيح للصحابة فريضة السياحة فى الاقطار الاسلامية فى عصر الخليفة الثالث « عثمان بن عفان » فكان أبو الدرداء عويمر بن زيد الانصارى من المهاجرين الى الشامداخل أبوالدرداء مع الذين دخلوا الاسلام وكان عمله وقتئذ التجارة • قلما فهم الاسلام واستوعبه أراد أن يتفرغ للعبادة •

فترك تجارته وأن كان لا يحبذ ذلك الا أنه فعل هذا تفرغا للدعوة الاسلامية ، ولم يحض فى دعوة النـاس على ترك أعمالهم • وعنـد

وصوله بلاد الشام قام بتأسيس أول مدرسة له وأن كانت تغلب عليها التصوف فاستمد أصولها من الكتاب والسنة ، وكانت مدرسة مثل المدرسة الدمشقية ، لكنها تختلف عنها فى التأثير الكبير الذى لعبته فى الحياة بكافة جوانبها فى بلاد الشام .

وكان من أهم سمات هذه المدرسة أنها قامت على عدة تقسيمات هى : عالم ومتعلم وعامة المسلمين .

والسمة البارزة فى منهج هذه المدرسة تعليم أبناء المسلمين قراءة القرآن الكريم قراءة سليمة وتدبر آياته فهما واستيعابا ، وفى نظر هذه المدرسة أن قراءة القرآن عبادة .

شهدت المدرسة الاحداث السياسية فى الدولة الاسلامية من قبل عثمان بن عفان الى تولية على بن أبى طالب . شهدت أيضا الحروب الدائرة بين معاوية مع العلويين . شهدت حروب صفين وعملية التحكيم بين الطرفين ، شهدت مقتل على بن أبى طالب . شهدت قيام الدولة الاموية فلم يشارك تلاميذها فى هذه الاحداث ولم يبدوا أرائهم فى الفئات المتحاربة . لقد ابتعدت عن الاحداث السياسية ولهذا كتب لها البقاء .

درست فى حلقات الدراسة علوم الصبر والرضا والتوكل حيث وضح ذلك فى قول أحد شيوخها .

« أن دور الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدرة والاخلاص فى التوكل والاستسلام للرب عز وجل » .

قامت هذه المدرسة على قواعد علمية كمثيلاتها فى الشام واتخذت من الجوع سمة مميزة ويوضح ذلك أحد شيوخها .

« اللهم أبعد عنا الشبع فى الطعام وعدم الجوع فى العلم » .

وهذه المدرسة كمثيلاتها فى بلاد العراق والحجاز قام منهجها الى تفسير القرآن الكريم ورواية الاحاديث والصيام والقيام فى الليل

الصلاة وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم والذكر والحزن كما وصل اليه المسلمون والتمسك بالقليل من الطعام لاقامة صلب الانسان المسلم ولم تظهر علوم الصوفيــة التى تبلورت على النحو العلمى فى مدرستها .

مدرسة أبى سليمان الدرانى :

كان لابد من أن تتطور الحياة الروحية فى تلك المدرسة من فكرة العبادة وأساسها الجوع الى أساس روحى أعمق وأكثر معرفة بالنفس الانسانية وتختلف الحياة الروحية فىهذه المدرسة منالتصوف أو بمعنى أكثر من علم جديد فى النفس يطلق عليه «علم ارادة النفسوأخلاقها». وأن تجمع هذه المدرسة كل ما ورد عن الجوع وتنسقه فى شبه نظرية من النظريات والعلم . كما ظهر الفقه فى بقية المدارس السابقة .

صاحب هذه المدرسة هو عبد الرحمن عطشه المشهور بأبىسليمان الدارانى الذى توفى فى ٢٠٥ وهو من أهل الشام وينسب الى مدينة داريا وهى مدينة قريبة من دمشق ولكن يرجع أصله الى العــراق . ففى العراق كان يعمل ويكد ويكــدح ويدرس حيث طريق الســلوك الصوفى أوفى الشام فقد عرف وتوصل الى المعرفة بكامل جوانبها .حتى ظهرت علوم الفتوحات الربانية .

لقد تلمذ فى المدرسة الكوفية ونقل عنها الحديث وكان أستاذه فى هذه المدرسة سفيان الثورى . وفى المدرسة البصرية التقى بأستاذه صالح عبد الجليــل ودرس على يد معروف الكرخى وقــد تفوق فى الحكمة . يعــده مؤرخى الصــوفية بأن صــوفى ســنى . ولقــد اتخذ تصوفه من الكتاب والسنة وأصبح له أسلوب مميز عن غيره من مشايخ مدرسته فى المجاهدة وفى السلوك الصــوفى ويوضح لنا بأن تلقى الفيض الربانى فى الليل واتخــذ من هذه الآية قاعدة أســاسية لمنهجه العلمى حيث يقول عز وجل :

« أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصــفه وثلثه

وطائفة من الذين معك » ويقوم الليل ليذكر الله كثيرا هو تلاميــذه وقد اتخذ هذه الآية قاعدة له « أمن هو قانت أناء الليل ، ساجــدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة الله » وقد قام سليمان الدرانى والاحزاب كابدوا الليل بعلمهم •

١ ــ **جماعة يقطعهم الليل** : وهم تلاميذه الذين يقرأون الاوراد والاحزاب كابدوا الليل بعلمهم •

٢ ــ **جماعة قطعوا الليل** : وهم العلماء قطعوا الليل بالصبر والمصابرة فغلبوه بذكر الله •

٣ ــ **جماعة قطع الليل بهم** : أى يمــر بهم الليل سريعا وهم فى حالة يقظة كاملة ولم يعرف النوم جفونهم وهم يذكرون ويناجون الله وهم الذين عاشوا فى نعيم الله وأن الله عز وجل قد رفع نومهم فهم فى مناجاة دائمة •

ومن أهم العلوم التى درست فى هذه المدرسة فى :

١ ــ التأمل : التفكر فى الحياة وفى الاداب والسلوك •

٢ ــ الجوع : وهذا علم عملى يقوم على مجاهدة الجسد وحتى لايكون الاكل حافز على الفكر •

٣ ــ علوم المعرفة : معرفة القلب والنفس •

٤ ــ علوم المقامات : الرضا ــ الورع ــ التوكل ــ الحب •

٥ ــ علوم الاحوال : المحاسبة ــ الصدق •

الدارس لفكر صاحب المدرسة يرى أنه قد وصل بالحياة الروحية الى تكوين حزب صوفى كامل ولقــد تخرج من مدرسته العــديد من علماء الصوفية والذين كونوا مدارسهم فيما بعد ولعبوا دورا كبيرا فى الحياة الروحية من أهم تلاميذه ولهم شهرة فى التصــوف هم : أحمد بن والى الحوارى وقاسم الجوعى •

لقد تفوق أحمد بن والى الحوارى فى مدرســة الدارانى حتى أطلقوا عليه أهل الصوفية لقب « ريحانة الشام » فلقد كان الحوارى

امتـداد لأسـتاذه الدارانى وصـورة واضـحة عنه ـ ويقـال أن أستاذه قد عرض عليه دقائق حياته وأخباره ورحلاته ومقـابلاته • ولقد ردد اراء أستاذه فى الصوفية والزهد •

أما قاسم بن عثمان الجوعى فهو الشخصـية الثانية لمدرسـة الدارانى فى الشام وقد أطلق عليه لقب الجوعى الكبير ولقـد خطى الجوعى خطوة كبيرة فى التصوف حيث قام بعمليات مزج بالمقـامات فمزج الجوع بالمحبة ، ومزج المحبة بالمعـرفة والطاعة بالتصـديق وبالمحبة • ومن تلاميذ مدرسة الدرانى العديد منهم منصور بن عمر وأبو كريمة العبدى ، وبشير الطبرى وابن عباد الشامى وابن الفتح الجلى(٩٦) •

وأشهر ما قيل فى هذه المدرسة من شعر فى المحبة :

أنت سئولى وبغيتى وسرورى — قد أبى القلب أن يحب سواكا
يا حبيب القلب من لى سواكا — ارحم اليوم مذنبـا قـد أتاكا
يا مناى وسـيدى واعتمادى — طال شوقى ـ متى يكون لقاكا
ليس سؤلى من الجنان نعيم — غـير انى اريدهـا لأراك

---

(٩٦) أنظر كتاب تنشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للدكتـور على النشار فى العصر الحديث •

الفصل الرابع

المدارس المصرية

كانت مصر مهدا للحضارة القديمة والوارثة لحضارة اليونان والرومان وبها المذاهب الفلسفية والطوائف الدينية وملتقى الآراء الشرقية والغربية وكان يقنطها المصريون ومزيج من أمم عديدة كاليهود والرومان وحين الفتح الاسلامى أقبل اليها العرب لخصوبة أرضها فاختطوا الفسطاط لتكون حاضرة أقليم مصر وانتشروا فيها حسب التوزيع القبلى لهم ونزلوا مستقرين فى مدنها وارياقها ودخل كثير من المصريين فى الاسلام حبا فيه فاختلطت الانساب بينهم نتيجة التزاوج •

أصبحت مصر وهى صاحبة الحضارة ورائدة للثقافة القديمة مركزا علميا فى الدولة الاسلامية وحركتها العلمية صارت اسلامية وليست فلسفية ولا دنيوية • وهى مثل جميع المراكز العلمية وأكبر شىء فى هذه الحركة النامية هو الدين ولذا كان طبيعيا أن تنتشر علوم الدين فى ذلك العصر ومعنى ذلك أن الآراء الفلسفية والآراء الشرقية والغربية قد أبيدت ابادة تامة وانما اصابها شىء من التجمد نتيجة الفتوحات الاسلامية والآراء الاسلامية التى تخاطب العقل والروح ثم عادت تلك الفلسفات والآراء تستفيد نشاطها وقدرتها بعد أن صبغت بالتعاليم الاسلامية وأخذ منها ما يتناسب مع الاسلام ويتفق مع مبادئه وبترت بقية الآراء المتعارضة معها ولم يظهر النشاط منذ بداية الفتح وانما ظهر فى أواخر العصر الاموى وبداية العصر العباسى الاول •

وقد وصل اليها العلماء الذين قاموا بدور عظيم وشأن جليل فى

مدرستها واشهرهم « عبد الله بن عمرو بن العاص » فقد اشتهر برواية أحاديث رسول الله ﷺ •

ويؤرخ له علماء التاريخ بأنه كان كثير الاطلاع فى غير الحديث حيث كان يجيد لغة التوراة ويقرأ بالسريانية وقد نقل عنه الكثير من رواة الاحاديث وقد تولى ولاية مصر بعد وفاة أبيه ثم خرج الى الحجاز ثم عرج الى الشام ثم عاد حيث استقر بمصر وله بها دارا وقد مات ودفن فيها •

وهو المؤسس الحقيقى للمدرسة الأول المصرية وكما ذكرت أخذ عنه كثير من أهل مصر ، ومن تلاميذه الذين اشتهروا فى هذه المدرسة هم « يزيد بن أبى حبيب » وهو من النوبة وقد عمل على نشر العلم فى مصر ودراسته قامت على توضيح الحلال والحرام ومسائل الفقه المختلفة • واشهر تلاميذه هو «عبد الله بن لهيصه والليث بن سعد»أما عبد الله بن لهيطه من حضرموت وقد التحق بمدرسته بمصر الكثير من علمائها وأخذ عنهم وكان يدون ما يسمع وقد نقل الينا الكثير من الحوادث التاريخية التى حدثت فى مصر فى تلك الفترة وقد تولى القضاء فى مصر فحكم بين الناس بالعدل •

أما سعد بن الليث فأصله مولى من اصفهان فى فارس وأنه ولد بمصر وقد طاف بالكثير من الأقطار الاسلامية لأخذ العلم بعد تخرجه من المدرسة الاولى فى مصر وقد قابل الكثير من علماء المسلمين التابعين فأخذ عنهم الحديث والتشريع وقد قال فيه الشافعى لتلاميذه •

« الليث افقه من مالك الا أن أصحابه (أى تلاميذه) لم يقوموا به » (أى لم يحفظوا تراثه العلمى) •

واتصف بمنزله عالية ورفيعة بين قوممه ويعتبر حجة فى عظائم الامور ومن الثقاة الذى لا ينطرق الى روايته الشك وكون بعد ذلك مدرسته الخاصة التى ضيعها تلاميذه ولم تصل الى أيدينا ، وله مذهب خاص مثل الشافعى ومالك وابن حنبل وأبو حنيفة وقد اتبعه معظم

المصريين فى مذهبه ، وقد ضاع مذهبه كما ضاعت مدرسته العلمية التى لعبت دورا هام فى الحياة المصرية وقتئذ .

وتعد مصر من أكثر الأقطار الاسلامية أثراء فى الحياة الروحيةسواء كانت فى العصور السابقة قبل الفتح الاسلامى فقد فتحت زراعيها لتحضن كل المهاجرين اليها من العالم ليجدوا من اعتدال جوها وخيراتها الكثيرة كل هذا أدى الى نشر دعوتهم كما أن استقرار أهلها وعدم وجود اضطرابات سياسية بها جذب اليها المهاجرين وخاصة من المغرب العربى . وقد كونوا مدارسهم الصوفية فى اقاليم مصر فلانجد مدينة الا وكانت مهبطا لشيخ مهاجر اليها يقيم مدرسته الروحية وبصفة عامة أن التصوف المصرى يعد أحسن أنواع التصوف المعتدل الذى لا يشوبه شائبة ويستمد أصوله من الكتاب والسنة وكل فكرة بعيدة عن المصدرين السابقين مرفوضة تماما من المصريين . لان الحياة الروحية تتمشى مع الطبيعة المصرية الهادئة المستقرة وتتلائم مع النفسية المصرية التى ورثتها عن الاجداد منذ القدم . فالنفسية المصرية تهفو دائما الى حياة روحية طيبة مستقرة تركن اليها وقت المصاعب . كما أن الزراعة قد غرست فى أهل مصر الصبر والجلد والهدوء فلما جاءت اليها الحياة الروحية وجدت أرضا خصبة لتنمو فيها ولذا انتشرت مدارسها فى كافة المدن المصرية وسنعرض أشهر هذه المدارس فى مصر من أهمها :

المدرسة الرفاعية :

رائدها ومؤسسها الامام أحمد الرفاعى بن صالح بن أحمد يحيى الدين بن عباس وقد شهدت جزيرة عبيدة قرب واصل فى البصرة ، مولده فى عام ٥١٢ وينسب الى جده رفاعة الذى هاجر من مكة عقب اضطهاد العلويين الى المغرب حيث استقر مع قبيلة مغربية . سافر والد الامام أحمد مكة لقضاء فريضة الحج وظل بمكة لفترة قليلة ثم تركها الى موطنه الاصلى البصرة حيث تزوج واستقر بها وانجب الامام أحمد الرفاعى .

تردد الامام منذ طفولته على الكتاب لحفظ القرآن الكريم فأجاده وحفظه ، ثم أخذ مكانته بين حلقات الدراسة منذ السابعة من عمره فدرس الفقه وتفسير الاحاديث فلما شب وبلغ أشده بحث عن عمل يرتزق منه ولم يعطله كسب الرزق عن التردد على حلقـات الدرس ومجالس العلم • وبعد وفاة شيخه بايعه أتباعه بالمشيخة •

منذ تلك اللحظة صار الامام أحمد الرفاعى أستاذ يلتقى فى المسجد الكبير بتلاميذه • وأهم الشروط لقبول التلميذ فى مدرسته أن يكون له عملا يعتمد به على نفسه فان لم يجد له حرفة يقتات منها حرم عليه دخول مدرسته لأنه من العاطلين •

وشعاره فى مدرسته بقوله :

« طريقى دين بلا بدعة وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء وقلب بلا شغل ونفس بلا شهوة » وأتخذ علوم الشريعة أساسا فى مدرسته فهو يرى أن كل حقيقة خالفت الشريعة فهى خروج عن الدين وزندقة •

وعبر أكثر من مرة أمام تلاميذه بأن تجارته العمل ورأســماله الاخلاص وزاده التقوى وأن الرياء وترك العمل يجلبان التدمير ويورثان الكسل وقد قسم الرفاعي تلاميذه مدرسته الى :

١ ـ المريدين : لكل مجموعة من المريدين شيخا يعلمهم ويوجههم الى الى الطريق •

٢ ـ الشيوخ : لكل مجموعة من الشيوخ شيخا سلك الطريق من قبل يوجههم الى ما وصل اليه •

٣ ـ الخلفاء : ولكل مجموعة من الخلفاء خليفة •

والمريد (التلميذ) لايصل الى ما تهفو اليه نفسه حتى يخرج عن كل ما ألفه ويترك جميع الشهوات والمباحات أى بمعنى آخر يجاهد نفسه فى الحلال وقد وضع الامام أحمد الرفاعى منهجا فى مدرسته وتدور أفكار هذا المنهج حول هذه النقاط التالية :

١ — الكتاب والسنة •
٢ — عدم مجاراة موتى القلوب •
٣ — موافقة السلف على ماهم عليه •
٤ — ترك الدنيا وشهوات النفس وقهرها وبغض الرياسة •
٥ — الصبر على البلاء والاستسلام له •
٦ — الوفاء والاخلاص واجتناب الجفاء •

واشترط المريد عند قبوله فى المدرسة أن يكون :

١ — ترك الماديات وحب الدنيا •
٢ — الصبر ولا ييأس من رحمة الله •
٣ — كتمان السر ولا يشكو الى مخلوق مثله •
٤ — أن يهرب من الناس الى الله عز وجل •
٥ — أن يعمل لله تعالى ولا يرى أنه يعمل شيئا •
٦ — أن يظهر الغنى فى الفقر •
٧ — أن يلتزم المريد جانب شيخه •

ويشترط الشيخ ما يلى :

١ — أن يلزم الكتاب والسنة ويبتعد عن البدع •
٢ — أن يكون مع مريده كالأب مع أبنائه •
٣ — أن يتحمل مسئوليـــة كبرى فى تعليم المريدين ومسئوليتـــه ليست فى الدنيا فقط بل تتعدى للآخرة •

ويشترط فى الامام ما يلى :

١ — أن يدعو الى الحب والخير والمؤاخاة •
٢ — أن يكون مخلصا مبتعدا عن الغرور والرياء •
٣ — أن يكون قلبه محتويا على الخوف وعقله على الذكر وروحه على الشكر ولسانه على الصمت ووجهه على العبادة •
٤ — أن يترك الدنيا وخواطرها •
٥ — أن يخالف النفس ويجاهدها بالصبر والاستقامة والتسليم •

٦ — أن يخدم بأدب ويصدق فى كلامه •
٧ — أن يكون حديثه موفقا للشرع •
٨ — لا يكون مثل العبد السوء يؤدى الخدمة وينتظر الجزاء •
٩ — أن يبتعد عن الغفلة ويدخل الى اليقظة •
١٠ — أن يقطع نفسه الى الله وأن رزقه مضمون •

ويشترط فى الخليفة ما يلى :

١ — أن يبغض نظره عن أعراض الناس •
٢ — أن يمسك لسانه فى الخوض فى سيرة الناس •
٣ — لا يحاسب الناس بمظاهرهم وانما بميزان المؤمنين •
٤ — لا يظن فى أحد السوء •
٥ — لا ينظر الى عيوب الآخرين •
٦ — لا يستصغر أحد ولا يسخر من قول أحد ولا يبخس حقوق الناس •
٧ — اذا سئل لا يستعجل جوابه ولا يدلى به الا بعد تأمل وتفكر عميق •

وقد اهتمت المدرسة الرفاعية بنظافة مريدها وحسن مظهرهم والخشوع لله وثبتت فى روحهم الاعتزاز بالنفس وعدم الخضوع الا لله سبحانه وتعالى ولا يأخذ علمهم الا من الكتاب السنة ويوضح ذلك قول الامام الرفاعى وهو ينصح مريديه بقوله « لا تتواضع للاغنياء ولابناء الدنيا ولا تنهض لهم ولاتقرب منهم وأن دعوك • أن ابناء الدنيا اذا اكرمتهم أهانوك وأن احببتهم أبغضوك » •

وحين وفاة الامام الرفاعى كان تعداد مدرسته قد بلغ ١٠٠٠٠٠ر١٠٠ مريدا ومكتبته التى تركها لنا تحتوى على العديد من كتب الفقه ومن أشهر كتبه كتاب النهجية وشرح البنية فى الفقه وكتابه الطريق الى الله وكتابه المجالس الاحمدية والكثير من الاشعار التى بلغت فوق عشرات الألوف وما يقرب عن ٦٣٢ حزبا ووردا ووعاء وقد وصلنا كل هذا عن طريق تلاميذه •

المدرسة البدوية :

مؤسسها السيد أحمد البدوى فى مدينة طنطا • فقد ولد أحمد البدوى فى مدينة فاس عام ٥٩٦ من أسرة عربية يرجع نسبها الى الامام على بن أبى طالب وقد هاجرت أسرته على أثر الاضطهاد العلوى فى الشرق •

حفظ القرآن فى سن السابعة وبدأ فى دراسة الفقه والتفسير حيثما كان يتردد على مجالس العلم فحفظ كل ما يقال • وقد رحلت الاسرة من المغرب الى مكة ومروا بمصر ويقال أن الاسرة استقرت بمصرعامين وقد رحلوا الى مكة وتعلم البدوى الفقه على يد الشافعى بينما كان تعلمه فى المغرب على المالكية وتردد ما بين مدارس مكة والمدينة وكان اصراره على أن يكون متعلما لا معلما واختلف عن بقية الصوفية فقد تعلم الفروسية وفنونها وعكف على العبادة وعزف عن الزواج وبدأ فى الاعتزال عن الناس وخلال رحلته العلمية فقد والده — فى عام ٦٢٧هـ وأخيه ٦٣١ هـ وكان لهذا أثر كبير فى حياته العلمية فازداد تعبدا وتلثما واعتكافا وكف عن الحديث بتاتا ولا يتكلم الا اشارة واعتزل عن الناس فى مغارة فى جبل أبى قيس فى مكة يتعبد فيه •

بدأ رحلته فى الفكر والتأمل فى الأمة الاسلامية وما وصلت اليه ومراجعة ما وصل اليه من علوم ومعرفة وزيادة التقرب الى الله • ثم بدء رحلتـه العلميـة فى التزود من العلـوم الرفاعية والجيـلانية ثم رحل الى العراق وقد لاقى فى رحلته المصاعب والمتاعب فزار قبـر الحسين ثم منصور الحلاج والشيخ عبد القادر الجيلانى ثم كان يدرس ويحضر حلقات العلم فى بغداد ويتعرف على أفكار علمائها فلقد كانت رحلته عبادة وعمل وتجميع للفكر واتصـال روحى بالمتصوفين وقـد نظم مدرسته ووضع لها منهجا دراسيا بعد أن استقر فى طنطا وتدور المنهج حول هذه النقاط الهامة التى طبقها على مريده ومن أهمها :

١ — أن يكون عارفا بالله مراعيا لاوامره •

٢ — أن يتمسك بسنة النبى وكتاب الله •

٣ — أن يكون دائم الطهارة وراضيا عن الله •
٤ — أن يترك ما فى أيدى الناس ويتحمل اذاهم •
٥ — أن يكون متواضعا للناس •
٦ — أن يكون عالما بأن الشيطان عدوه كما أخبره الله عز وجل •

يقول الله عز وجل « أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » •
وفى الاخلاقيات دار منهجها حول :

١ — عدم حب الدنيا لان حبها يفسد العمل الصالح •
٢ — التقوى •
٣ — الشفقة على اليتيم •
٤ — الاكثار من الذكر والصلاة فى الليل •
٥ — البعد عن النميمة والاذية للآخرين وعدم ظلم الناس •
٦ — صلة الاصدقاء والاخوة والاقارب •
٧ — الاحسان الى من أساء اليك •
٨ — التصوف لدى المدرسة البدوية أخلاق حيث قال البدوى « من زاد عليك خلقا زاد عليك تصوفا » •
٩ — الصبر أن ترضى بحكم الله وتسلم لامره وتفرح بالمصيبة كفرحك بالنعمة •
١٠ — الزهد بمخالفة النفس وترك الشهوات •
١١ — التوبة ندم على الذنب •

أما اسلوبها التعليمى فقد استفادت من أسلوب المدرسة الرفاعية وأئمة التصوف وأهم ما نقل عن الرفاعية فى التدريس أن حلقات الدرس تتم على السطح حتى أطلق على بعض اتباع البدو اسم «السطوحية»•

أما الجانب العلمى فى التربية تقوم المدرسة بتدريب تلاميذها تدريبا عسكريا وترسلهم الى ساحات القتال حيث انتصرت مصر لاول مرة فى حروبها مع الصليبيين اذا كان المعروف أن الجيوش المقاتلة من المماليك وقد أظهر تلاميذ المدرسة بطولات يشهد لها فى ذلك الوقت حيث كانوا يأسرون الصلبيين فى حروبهم مع مصر •

والكتب الدراسية التى تركها لنا صاحب المدرسة البــدوية هى مجموعة من الادعية والصلوات وخضعت للتلاميذ وقد تم نشرها تحت عنوان «فتح الرحمن» وكذلك مجموعة من الوصايا والعظات موجهالى أحد تلاميذه أمما الكتاب فهو «الاخبار فى حل الالفاظ غاية الاختصار» وهو كتاب يحتوى على شروح طويلة فى الفقــه والمعاملات والاحوال الشخصية على مذهب الامام الشافعى •

المدرسة القنائية :

انشأئها عبد الرحيم القنائى بمحافظة قنا • ولد عبد الرحيم فى قرية ترنماوى من مقاطعة سبتا فى المغرب الاقصى عام ٥٢١هـ • تعلم القرآن الكريم وحفظ الاحاديث وتلقى العلم فى المسجد الكبير وحضر حلقات الدرس على كبار العلماء • وكان معلما وواعظا وقد جمع بين ثقافة المغرب والشرق وقد غادر موطنه الاصلى الى الحجاز ووصل الى مكة فأوى فريضة الحج وظل يتنقل من مكة والمدينة متاجرا ليكتسب قوته وعكف على الدراسة والعلم على أيدى علماء مكة والمدينة ووصل عبد الرحيم الى قوص أحدى مدن قنا حيث ألتقى ببعض الطلاب وظل يلقى بعض محاضراته عليهم ثم رحلبعد ذلك الىمدينة أسنافاستقربها يعمل تاجرا بها ويقوم بالتدريس فى مساجدها حتى صدر قرار من والى مصر بتعيينه شيخا لقنا •

ونظريته فى تعليم تلاميذه تتلخص فيما يلى :

١ ــ الدين علم وعمــل وأخلاق • فمن ترك واحدة منها ضــل الطريق •

٢ ــ العلــم مصــدره أحاسيس تربطه أرتباطا وثيقــا بالعمــل والارادة •

٣ ــ العلم أصل العقائد الدينية وهو العلم الواقعى والعلم الطبيعى يرتبط أرتباطا وثيقا بالدين فيبحث العلماء فى الكون والنفس فيصل الى الخالق ويظل سائرا فى طريقه الى الله حتى يبلغ المرتبة العليا من هذا العلم •

٤ — العمل : تدعو المدرسة قبل الانخراط فيها أن يكون المريد له عملا يكسب منه قوته • فالانسان يجب أن يستغل طاقاته التى زودها الخالق به •

٥ — اهتمت المدرسة بدراسة الفروق عن ماهية الروح والنفس وضرورة الفصل بينهما •

(أ) فالروح فى نظر المدرسة القنائية هى جوهر الاعلى من النفس لاتصالها بالله سبحانه وتعالى فهو الذى يعرف ماهيتها وتكوينها فهى سر من أسرار رب العالمين أما النفس فهى فى الجسد تستمد كيان حياتها من وجود الروح بينها وبين الجسد ولذلك فالروح باقية برجوعها الى الله والنفس هى التى تذوب فى الجسد كما قال الله تعالى « ونزهق أنفسهم » •

(ب) الروح مؤمنة ولاتطلب الا الخير والنفس مبعث الاهواء والشر والنزعات والوساوس •

وقد قسمتها المدرسة الى عدة أقسام :

١ — النفس الراضية هى المتصلة بالروح •
٢ — النفس المرضية هى مقام الاستنارة •
٣ — النفس اللوامة هى فى مقام الاطلاع •
٤ — النفس الامارة هى فى مقام الظلم والظلمات •

٦ — علم الاخلاق لدى المدرسة القنائية فقد أقامت التصوف على أنه ركنا من أركان الاخلاق وأهتمت بذلك بالاخلاق حيث قال عبد الرحيم القنائى « نبع من مزيج من العلم الظاهر والباطن والعمل المنتج والمثمر تطويه الروح فترسله الى النفس الامارة فتغسلها من ادرانها وبهذا يحصل النقل الى الادراك الصحيح والمعرفة فيخلص البدن فيتجه الكل الى الله » وهذه تسمى الاخلاق الذاكية وهى أعلى درجات الكمال وبها اتصف النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم »

ولقد قامت المدرسة القنائية بدورها الكبير فى المدن المجاورة فعملت على نشر الاخلاق بين المسلمين واقامت حياة روحية تختلف اختلافا كبير عن بقية المدارس الأخرى •

المدرسة الشاذلية :

وقد أقام صرحها أبو الحسن على الحسن الشاذلى الحسينى أبن عبد الله ولد بقرية عمارة فى بلاد المغرب سنة ٩٥٣ هـ ولما شب أخذ يدرس العلوم الدينية وقد تتلمذ على كبار الفقهاء وأئمة الصوفية وقام بجولة علمية الى العراق فأخذ يتردد على أستاذته ودرس الفقه ثم عاد بعد جولته العلمية من العراق الى بلاده مرة أخرى وكان استاذه ابن بشبش فى المغرب وكان متمسكا بالكتاب والسنة وقد رسم ابن بشبش حياة أبو الحسن الشاذلى العلمية ثم رحل بعد ذلك الى تونس وكانت سياحته عبادة وفى سبيل الله ثم ذهب الى جبل زعوان للتفرغ للعبادة والاستجمام الروحى والعلاج النفسى حتى يرقى الى مدارج السالكين — ثم اتجه الى تونس مرة أخرى ثم رحل الى مصر فوصل الاسكندرية حيث أقام بها فتزوج وأنجب أولاده : الشيخ شهاب الدين أحمد وأبو الحسن على وأبو عبد الله محمد وبناته زينب • وبعد ذلك أقام مدرسته حيث قال البوصيرى فيه بانه « بحر العلم » •

أما الشاعر فقال فيه :

لقد كان بحرا فى الشرائع رسخا
ولا سيما على الفرائض والسنن

ومن جهل التوحيد عب وارتوى
فلله كم روى قلوبا بها محسن

وحاز علوما ليس تخص لكاتب
وهل تخص الكتاب ما حاز من فنن

ومنهج المدرسة يدور حول هذه النقاط :

١ ــ الاخلاص : وتنقسم الى قسمين أخلاص الصـادقين وأخلاص الصديقين •
٢ ــ التوبة يبدأ بها السالك الى الله •
٣ ــ النيـــة : ولابد لكل عمل ياتيه الانسان من النية والاخلاص فيها
٤ ــ الطريق الى الله :أن يتبع السنة والكتاب •

(أ) الذكر وبساطته العمل الصالح وثمرته النور •
(ب) التفكير وبساطته الصبر وثمرته العلم •
(ج) الفقر وبساطته الشكر وثمرته المزيد فيه •
(د) الحب وبساطته بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصل بالمحبوب (الله) •

٥ ــ الخلوة : أن يخلو الانسان الى ربه ولو فى فترة قصيرة •
٦ ــ الجهاد : جهاد العدو •
٧ ــ النفس : وقد أهتمت المدرسة بتعليم النفس وركزت دراستها فى:

١ ــ النفس مركز الشهوة فى المخالفات •
٢ ــ النفس مركز الطاعات •
٣ ــ النفس مركز فى الميل الى الراحات •
٤ ــ النفس مركز العجز عن اداء المفروضات •

٨ ــ الدنيا : نبذ الدنيا •
٩ ــ العبودية : العبودية لله •
١٠ ــ الطاعات : المحافظة على الطاعات •
١١ ــ علم اليقين : معرفة الله معرفة يقينية •
١٢ ــ الذكر : ذكر الله وللذكر صيغ كثيرة • فذكر بالقلب واللسان •
١٣ ــ الورع : العمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الكامنة•
١٤ ــ الزهد : فراغ القلب مما سوى الله •
١٥ ــ التوكل : صرف القلب عن كل شىء الا الله •
١٦ ــ الرضا : الرضا عن الله •

١٧ ـ المحبة حب الله لا يشغلك عن حب غيره •

وبهذه النقط الهامة قد أوضحت لنا المدرسة الشاذلية منهجها الدراسى وعلى اساسه تخرج العديد من علماء الشاذلية ومريدهم •

وقد ترك لنا الشاذلى العديد من الكتب والكثيرمن الاحزاب والأوراد وتعد مدرسته من أكبر المدارس الصوفية فى مصر بل هى المدرسة الام فى العالم الاسلامى وقد لعبت دورا هاما فى حياة المصريين الروحية ومازال نورها يصل الى آفاق العالم الاسلامى وعنها نقلت المدارس الصوفية الاخرى كل المبادىء والقيم والمناهج الصوفية •

الفصل الخامس

مدارس الصوفية فى المغرب والسودان

ساهمت مدارس التصوف الاسلامى فى المغرب بنصيب بالغ الاهمية فى نشر الاسلام فى داخل القارة الافريقية كلها ولم يقتصر دور هذه المدارس على الدعوة الاسلامية فى حد ذاتها • بل وضعت فى رقبتها مسئولية كبرى تحملتها فى تجهيز الجيوش الاسلامية لمقاتلة الغزاة والوقوف فى وجه الافكار الوافدة الى المنطقة • وقد ضحى الكثير من علماء وفقهاء ومريدين الصوفية بأنفسهم فى سبيل نصرة الاسلام والمسلمين •

سجل التاريخ الاسلامى لهذه المدارس فى المغرب العربى صفحات من نور عن كفاحها المرير والطويل ضد موجات الغزو العابثة المدمرة لكافة جوانب الحياة • ورغم ضربات المستعمر القوية والتى أدت الى سقوط الشهداء من الصوفية فى ساحات المعارك فان المدارس الصوفية لم تستسلم ولم تغلق أبوابها • بل نشطت نشاطا كبيرا وواصلت جهودها فى سبيل النصر الذى نالته ومن أهم تلك المدارس :

المدرسة القيروانية :

مقرها مدينة القيروان التى أسست فى بداية الفتح الاسلامى للمغرب العربى فى عهد القائد العربى عقبة بن نافع • وفى أثناء عمليات الفتح قام العلماء من الصحابة والتابعين بفتح أول مدرسة لهم فى المدينة الجديدة • وقد درس فيها علوم الدين كالفقه والشريعة الاسلامية والاخلاق الاسلامية والتفسير والاحاديث وقراءة القرآن على أسس علمية سليمة مع علوم التصوف من زهد وصبر وورع وحب — وخوف وخشية من الخالق الى آخره وقد ذاع صيت هذه المدرسة حتى

غطى الآفاق الاسلامية وجذبت اليها الكثيرمن رواد الفكر الصوفى لينهلوا من هذا النبع الصافى • ولعب الأدارسة والاغالبة دورا كبيرا فى النهوض بهذه المدرسة فى عهودهم •

المدرسة المرابطية :

أول مدرسة قامت على مبدأين مبدأ دينى وعملى المبدأ الدينى يقوم على دراسة العلوم الصوفية والعلوم الدينية التى تشتمل على الفقه والحديث والتفسير • وقد اتخذت من المدرسة القيروانية نمطا متشابها فى منهجها الدراسى وأما العملى فى هذه المدرسة فهو العمل على تكوين دولة تقوم باعداد المكان للجنود وهو ما يطلق عليه الرباط • فهو مكان أعد للعبادة ومكان أعد ليكون مقرا للجنود الذين يرابطون فى هذه المنطقة ويحافظون على حدودها • وفى الآونة الاخيرة أنشأت الدولة العديد من المساجد التى تقام فيها حلقات الدرس • ثم قامت هذه المرابط المختلفة فى اقامة الدولة التى أطلق عليها دولة المرابطين •

ونتيجة لهذا الجانب العملى الذى تحملته المدرسة فهو الكفاح ضد الغزاة القادمين من بلاد الأندلس ومؤسس هذه المدرسة هو « عبد الله ياسين » جمع بين التصوف والسياسة وقد نال تعليمه فى مدرسة القيروان وأظهر تفوقا فى العلوم الدينية وساهم فى اقامة دولة المرابطين •

المدرسة البشيشية :

مؤسس هذه المدرسة العالم الفاضل الجليل القدر « عبد السلام بن بشيش » فى المغرب وكان متحمسا للدين وعاملا على نشره وسار على منهج الشريعة الاسلامية لاينحرف عنها كما كان زاهدا فى الدنيا شجاعا • ولقد سلك الطريق الى الله منذ كان عمره لايتجاوز السبع سنوات • وأتخذ من السياحة رحلة علمية ليحصل على درجته العلمية واعتبر السفر والتنقل عبادة اذ أن الانسان فى وطنه تشغله مشاغل كثيرة ولابد له من خلوة مع الله لتصفو نفسه وقد تعلم السياحة من

ذى النون المصرى فلقد كانت رحلاته الدينية تقـوم على شـواطىء الانهار أو على مشارف الصحراء • وكانت الدولة الاسـلامية توفر للسائحين من العلماء كل ما يلـزمهم من مآوى ومآكل ومشرب حتى يتفرغوا للحياة العلمية •

وقد رأى ابن بشبش أن التصوف ليس عملا عمليا ولا بحثـا نظريا ولا يتعلم بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية • بل أن ماكتبه كبار مشايخ الصوفية ما هو الا حافز للتأمل والقراءة لا تؤدى الى التصوف وانما يجب أن يكون هنـاك معلما أو شـيخا يسترشـد به المريد فى طريقه الى الله وكان أسـتاذ بن بشيش (عبد الرحمن بن الحسين المدنى الشريف) •

ويشتمل المنهج الدراسى فى المدرسة على :

١ ــ الشريعة الاسلامية تلزم الدارس بالعمل بها •
٢ ــ قراءة القرآن كما كان الصحابة والتابعين يقرؤنه •
٣ ــ التفسير للقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف حفظا وفهما •
٤ ــ الصلاة والتقرب الى الله بالنوافل •
٥ ــ الورع : حسن النية والاخلاص فى العمل ومحبة العلم •
٦ ــ البعد عن الشهوات والنساء وحب الجـاه حيث قال « من طلب الرياسة وكله الله لها » •
٧ ــ القناعة فى كل الامور بما قسم الله تعالى ، فى اطار الشرع من الرزق الحلال •
٨ ــ الزهد فى الدنيا أصل فى الاعمال •
٩ ــ التوكل على الله فى الاحوال كلها •

١٠ ــ الله : والحديث عن الله سبحانه وتعالى كثير متعدد الجوانب والحديث من الله سبحانه وتعالى لدى الصوفية منحة القلوب الى محبته وللصوفية فى ذلك كثـير من النفائس • فحب الله سبحانه وتعالى وحب رسوله ﷺ وهو مركز كل شىء فى مدرسة ابن بشيش •

١١ — الطهارة : وليست طهارة الجسم وانما طهارة النفس من دنس الدنيا حيث يقول ابن بشيش فى هذا الصدد •
حيث الزم الطهارة من الشرك كلما أحدثت تطهرت من دنس حب الدنيا وكلما مالت الى الشهوة ، أصلحت بالتوبة النصوحة التى لاعودة مرة أخرى الى دنس الدنيا •

١٢ — العبادة فى المدرسة البشبشية : اداء الفرائض وأجتناب المحارم والرضا بالقضاء والتفكر فى أمر الله والتفقه فى دين الله والزهد فى الدنيا •
وعلى منهج هذه المدرسة قامت المدرسة الشاذلية لان الشاذلى أحد تلاميذ ابن بشبش •

المدرسة الجيلانية :

لقد قامت هذه المدرسة بدور هام فى العالم الاسلامى بصفة عامة وفى المغرب بصفة خاصة فقد ساهمت فى الجهاد فى سبيل الله حينما جاءت التيارات المدمرة للحياة الروحية فى المغرب •

لقد أسس هذه المدرسة أحد شيوخ الصوفية الكبار هو عبد القادر الجيلانى وهو أحد الاربعة العظام فى التصوف « الرفاعى — الجيلانى — البدوى — الدسوقى » •

وجذور المدرسة امتدت الى العراق واليمن والهند وتركيا ومصر• وقد قامت المدرسة بدور كبير وبالغ الاهمية فى نشر الدعوة الاسلامية فى أفريقيا •

ومنهجها الدراسى يقسم الدارسين الى فئتين هما :

١ — الفئة الاولى : ابناء المسلمين يتعلمون القراءة والكتابة •

٢ — الفئة الثانية : كبار السن يتعلمون علوم الصوفية مع العلوم الفقه وعلوم الحديث والتفسير •

وقد ساهمت المدرسة فى اقامة المراكز الاسلامية التى قامت

بدورها فى نشر الاسلام فى أفريقيا • ووقفت المدرسة بدورها فى وجه المد الاوربى الزاحف الى المغرب العربى •

المدرسة المختارية :

مقرها مدينة فاس حيث استقر بها كبار الصوفية وقام بتأسيس هذه المدرسة أحد الصوفية هو « أحمد بن محمد بن المختار » الذى ساهم فى نشر الاسلام فى غرب أفريقيا ووسطها • كما استجلب العديد من الطلاب الافارقة اليها •

قامت هذه المدرسة على منهج شامل لحياة التصوف بمعناه الحديث وأهم العلوم الصوفية التى درست :

« الصبر — الخوف — الحب — الورع — التقوى »

كما درست العلوم الدينية التى تشمل :

« الفقه — التفسير — الحديث — الشريعة الاسلامية »

وقد عملت المدرسة على تخريج الكثير من أبناء أفريقيا وأرسالهم الى معاهدها فى موطنهم ليقوم كل منهم بتعليم أبناء وطنه وقد دربتهم كدعاة فى الاسلام فى تلك المناطق • لكن بعض هذه المعاهد استخدمت السيف فى نشر الاسلام وهذا يتنافى مع التعاليم الاسلامية التى تحض على الاقناع بالحجة ويرجع ذلك الى سوء فهم بعض المعلمين المبعوثين من الافارقة للمبادىء الاسلامية وقوة الحجة الروحية فى الاقناع •

المدرسة السنوسية :

مقرها ليبيا وقد ظهرت على شكل زوايا تقام فى الصحراء هذه الزوايا بها مسجد ومدرسة وقطعة من الارض للزراعة حتى يصير اكتفاء ذاتى للمنطقة التى بها زواية • ولقد لعبت تلك الزوايا دورا هاما ضد الاستعمار الاوربى •

مؤسس هذه المدرسة (السيد محمد بن على السنوسى) الذى ينتسب الى ادريس مؤسس دولة الادارسة فى بلاد المغرب •

لقد قام بدراسة العلوم الدينية فى جامعة القروين فى فاس وهى أقدم الجامعات فى شمال أفريقيا •

ويؤرخ له مؤرخى الصوفية بأنه كان محبا للعلـم حريصـا كل الحرص على طلبه • وقام منهجه العلمى على السياحة فطاف معظم البلاد الاسلامية والتقى بمشاهير علماء المسلمين وقتئذ وزار المدرسة الشاذلية والناصرية •

وقد قام بانشاء أول مدرسة فى جبل أبى قبيس وهذا أول عمل تعليمى له دور بالغ الاهمية فى نشر منهجه الجديد[١٩٦] ثم نقلت المدرسة بعد ذلك الى ليبيا •

ومنهج هذه المدرسة فى الزوايا السنوسية له جانبان أولهما قائم على أساس دينى هو تدريس علوم الفقه والشريعة والتفسير والحديث• ثم قامت المدرسة بتطهر العقيدة الاسلامية مما الصق بها من أوهام وشوائب كما درست علوم التصوف (التوبة — المحبة — الصبر — الورع — التقوى) •

وكان للكتاب شأن كبير فى الدراسة فقررت المدرسة السنوسية الكتب التالية :

— بغية القاصد وخلاصة المقاصد •
— ايقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن •
— السلسبيل المعين فى طريق الاربعين •
— الدرر السنية فى اخبار السلالة الادريسة •
— المنهل الروى الرائق فى اسانيد العلوم وأصول الحقائق •

والجانب الثانى : تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة والعمل على تربيتهم تربية اسلامية تشمل الشجاعة وفنـون القتال وتحفيظ بعض الآيات القرآنية وتنشئتهم على نمط اخلاقى اسلامى والواضح

---

(١٩٦) دكتور — محمد فؤاد : السنوس الكبير ص ٧٨ .

من هذا المنهج الفريد من نوعه وطبيعة الحياة فى ليبيا أن المدرسة السنوسية ربطت الجانب الدينى بالجانب التربوى ربطا وثيقا وانها ساهمت فى تخريج العديد من علماء المسلمين الذين ساهموا بدرجة كبيرة فى نشر الاسلام فى غرب أفريقيا •

وأختيرت الزوايا فى أماكن بعيدة عن الانظار لتكون فى آمان ضد أى اعتداء من جانب المستعمر الاوربى • وفى كل زواية يقوم شيخ الزواية بتعليم الصغار القراءة والكتابة وشيوخ الصوفية السنوسية يقومون بتدريس علومهم وتدريبهم العملى لمريدهم •

لقد قامت الزوايا بدور هام فى تاريخ ليبيا ضد الاستعمار الايطالى حيث أنها وقفت فى وجهه ومنعته من التوسع السياسى والاقتصادى فى داخل أفريقيا •

ولها دور آخر فى حرب الاستقلال ضد المستعمر الاوروبى منذ احتلال أراضى ليبيا فى عام ١٩١١ • وقد أعدت جميع الزوايا بمدارسها أبناء الشعب الليبى لمقاومة هذا العدو الزاحف اليها عن طرق البحر لاحتلال أرضها واخضاعها تحت نفوذه والاستيلاء على خيراتها والقضاء على مقاومتها •

تركت الدولة العثمانية الشعب الليبى وجها لوجه أمام الاستعمار الايطالى بدون سلاح ولكن الزوايا تمكنت من ايقاف الزحف ولو بعض الشىء • وقد أرسلت المنشورات التى اشعلت نار المقاومة فى نفوس شيوخ القبائل فجهزوا شبابها بالاسلحة والمؤن ودارت الحرب بين الطرفين وفى النهاية وقع قائد المقاومة الامير عمر المختار فى أيدى اعدائه وفقدت المقاومة ركنا كبيرا كانت تعتمد عليه •

ورأى الايطاليون أن تنفيذ حكم الاعدام فى الزعيم الليبى عمر المختار اخمادا للمقاومة والقضاء على الحياة الروحية واستكانة للزوايا والرضى بالاستعمار الايطالى بديلا عن الدولة العثمانية •

لقد اخطأت السياسة الايطالية فى حساباتها فالشعب والزوايا لم

تستكين بل ظلت فى حربها حتى قامت الحرب العالمية الاولى وبعدها نفضت تركيا يدها من ليبيا وتركتها وحيدة تعانى الاستعمار الايطالى لكن مقاومتها ظلت ساهرة يقظة توالى ضرباتها بقوة فى وجهه •

أندلعت الحرب العالمية الثانية وانضمت ايطاليا مع اعداء انجلترا ونتيجة لهذا هزمت ايطاليا فى الحرب فاشتدت المقاومة فى ليبيا وقامت مدارس الزوايا بدورها الوطنى • ومدت انجلترا يدها لليبيا وتكونت الفصائل العسكرية التى قاتلت حتى نالت ليبيا استقلالها وانحصرت الموجة الايطالية الى الابد •

المدرسة السودانية :

أطلق المصريون على بلاد الجنوب اسم السودان ومعناها أرض السود أو أرض كوش[١٩٧] •

ويوضح لنا المؤرخون أن هناك صلات قوية قامت بين طرفى النيل فى السودان ومصر والدليل على صحة ذلك أن ذا النون المصرى قد استقر فى مصر وأصله سودانى • كما أن هناك صلات أيضا بين المنطقة العربية وبين السودان والاحباش وأن ذلك قبل الفتح الاسلامى والدليل على ذلك وجود بلال بن رباح مؤذن الرسول وسعيد بن جبير فى مكة•
وأن الحدود السودانية لم تعرف الا فى العصر الحديث اذ أن هذه الحدود لا أثر لها فى عهد البطالمة والرومان والعهد المملوكى وحتى فى عصر محمد على ظل السودان تحت راية واحدة ووحدة متماسكة تعرف باسم وحدة وادى النيل[١٩٨] •

وفى بداية الدولة الاسلامية نشأت عدة صلات بين الدولةالسودانية هذهالصلاتثقافيةواجتماعية•وأهم عامل له أثره فى الناحية الثقافية هو الموقعالجغرافى فهو يقعجنوب مصر ومجاورا للمغربولهذاكانالسودان فى عهد الدولة الاسلامية وفى عصر من عصورها مهبطا للهجرات الكثيرة

---

(١٩٧) دكتور/عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان ص ٣٠١
(١٩٨) دكتور/محمد عوض : السودان ووادى النيل ص ٢١ .

من الدعاة والمتصوفين جاوءا اليها نتيجة الظروف السياسية الصعبة التى اضطرتهم الى الفرار بحياتهم ودينهم • معظم هؤلاء المهاجرين من مصر والعراق والشام وشمال أفريقيا •

استقبلت تلك الارض الخصبة هذه الافواج الضخمة النازحة اليها فنمت فيها بذرة التصوف وأفكارها فالارض بكر وأى بذرة تنمو فيها نموا سريعا •

تدفقت الافكار الصوفية اليها من المدارس المختلفة فى مصر والمغرب والعراق والشام وغيرها من الدول الاسلامية المجاورة نتيجة الهجرات التى وفدت اليها •

والمدرسة التى لها تأثير كبير فى الافكار الصوفية فى السودان هى المدرسة الشاذلية التى تعد امتدادا للمدرسة الغزالية (الامام الغزالى) • ولم يكن السودان وحدها التى وصلتها الافكار الشاذلية وانما امتدت الى مراكش فى القرن الخامس عشر •

والمدرسة الاخرى التى لها تأثير فى السودان هى المدرسة السنوسية التى امتدت دعوتها عبر الحدود السودانية الى الصومال •

أما العامل الاخر الذى له تأثير فى الحياة الصوفية بالسودان هو البعثات الطلابية الى جامعة الازهر • فقد جاء المبعثون ومعهم عصارة الفكر الاسلامى من علوم التوحيد وعلوم الشريعة وعلوم الصوفية ، وقد نزل على أرض السودان علماء التصوف من ذوى الثقافة المغربية والحجازية والعراقية وكانت السودان أكثر البلاد الاسلامية استجابة للحياة الروحية لسلامة فطرتها وصدق طبيعتها وأن أهله فى غنى عن الصراع ويرغبون فى الانطلاق •

والفكر الصوفى بدأ فى السودان ساذجا فى مدح البطولة الشخصية للمعلم الصوفى ثم تأثر بأنتقال علماء التصوف مثل عبد القادر الجيلانى مؤسس المدرسة الجيلانية والى هذه المدرسة ترجع كل الاتجاهات الوافدة من العراق والحجاز • ثم انتقل الفكر الصوفى السودان الى

مدح رسول الله ﷺ وهى المرحلة الثانية بعد مدح البطولة للمعلم الصوفى •

أن الصلاة على رسول الله ﷺ تجردهم من كل ما هو دينوى سواء كان خيرا أو شرا لانها صلاة حب الرسول عليه الصلاة والسلام لذاته فهى محبة خالصة لله وهذه المحبة تتصل بالمدرسة العدوية التى وضعت بذور الحب الالهى فى التصوف الاسلامى •

وللمدرسة السودانية منهج طابعه الخاص ويتلخص فيما يلى :

١ ــ الزهد : يكون الزهد فى متاع الحياة • ثم تطور الى تصوف وله علمه الباطنى •

٢ ــ الجوع : وضعت المدرسة الصوفية أركان الجوع (بالعزلة ــ والسهر ــ وقلة الكلام) ويرى فى ذلك حديث عن رسول الله ﷺ فيقول « الصمت يورث معرفة الله ــ والعزلة تورث معرفة الدنيا ــ والجوع يورث معرفة الشيطان ، والسهر يورث معرفة النفس » ولذا لم يحبذ الجوع فى مدرستها •

٣ ــ التوبة : ترى المدرسة الصوفية السودانية أن التوبة لله سبحانه وتعالى التى تلزم الفرد المسلم بطاعة الله والخوف منه والصبر على مراد الله والزهد فيما سوى الله والتوبة لها معنى خاص هو انها تؤدى الى ثبوت الوحدانية وافتقار المذنب لله والندم خوفا من الوقوع فى عقوبة الله •

وعندها أن الذنب نوعان : أولهما الظاهر الذى يشتمل على الغيبة والنميمة ، الكذب ، الزنا ، ترك الصلاة ــ الربا ــ والثانى هو الذنب الباطنى ويشمل : الكبر ــ العجب ــ الحسد ــ الهم ــ الحقد ــ البخل ــ الطمع) •

٤ ــ اخلاق : وفى تراث المدرسة الصوفية نرى الاخلاق فيها يغلب عليه

« الاخلاق الشرعية » التى يتأدب فيها الصوفى بأدب فى الاقتداء وأتبــاع الاســتقامة ــ وعــدم الانحراف • فالمدرسة السودانية هى أحدى المدارس الصوفية الكبرى التى ظهرت فى العالم الاسلامى وكان لها دورا كبيرا فى الحياة الروحية ومازالت حتى الآن مدارس الصــوفية بالسودان تؤدى دورها فى التربية الاسلامية(١٩٩) •



الخـــاتمة

وفى النهاية هذا قليل من كثير للصوفية ومناهجها تحتاج الى تحليل وارجاع الى اصولها وذلك يثقل على القارىء ولذا اثرت أن انقل اليه هذا القليل لعله يتعرف على الصوفية وأهلها •

وفى النهاية أسأل أن ينتفع بهذه الجهد جميع المسلمين •

أنه نعم المولى ونعم النصير ،،

---

(١٩٩) انظر « رسالة الماجستير فى الصوفية واثرها فى الدعوة الى الله » المقدمة من الاستاذ/محمد يوسف حمودة ــ جامعة الازهر .

المراجع العربيـــة

١ ـ القــرآن الــكريم :

٢ ـ ابن القيم الجوزية : زاد المعاد ـ القــاهرة ـ طبعة ثانيــة ـ مكتبة الازهر (بدون)
ـ اغاثة الهفان مصــايد الشيطان ـ مكتبــة عاطف (بدون)

٣ ـ ابن خـــلدون : ـ المقدمة ـ تحقيق دكتور على عبـد الواحد وافى أربعة اجزاء ـ الطبعة الاولى ٦٠ ـ ١٩٦٣ نشر لجنة البيان العربى ـ القاهرة.

٤ ـ ابن‌عطاءالسكندرى : ـ التنوير فى اسقاط التدمير
ـ تاج العروس

٥ ـ ابو نعيم الاصفهانى : ـ حلية الاولياء من ١ الى ١٠

٦ ـ ابوحامد الغزالى : ـ احياء علوم الدين جزء من ١ ـ الى ١٦
ـ المنفذ من الضلال
ـ مكاشفة القلوب

٧ ـ ابو طالب الكى : ـ قوت القلوب ج ١ ، ج ٢

٨ ـ الحلبى ابن النديم : ـ الدوارى فى الذرارى : طبع القسطنطينية١٢٩٨
ـ الفهرست طبعة مصر سنة ١٣٤٨ هـ

٩ ـ ابن سيناء : ـ القانون ـ القاهرة ـ مطبعة بولاق ١٢٩٤

١٠ ـ ابن مسكوبة : ـ فى اعماق النفس : سلسلة الثقافة الاسلامية ١٣٨٠ هـ

١١ ـ ابن تيمية : ـ اثر التصوف فى الاسلام
ـ منهاج السة اجزاء من ١ ـ ٤
ـ موافقة جريح المعقول بصريح المنقول .

١٢ ـ الطوسى : ـ حاشية على محصل افكار المتقدمين والمتأخرين للرازى .

١٣ ـ الســلمى : ـ طبقات الصوفية تحقيق الاستاذ نور الدين شريبه ١٩٥٣ .

١٤ ـ القفطى : ـ اخبار الحكماء باخبار الحكماء .

١٥ ـ الشيرازى : ـ الاسفار الاربعة .

١٦ — **ابن الاثير** : — الكامل فى التاريخ اجزاء من ١ — ١٢ بولاق ١٢٧٢ هـ .

١٧ — **أحمد أمين** : — ظهر الاسلام اجزاء من ١ — ٤ — دار المعارف القـاهرة .
— ضحى الاسلام اجزاء من ١—٣ لجنةالتأليف— القـاهرة .

١٨ — **اخوان الصفا** : —رسائل اخوان الصفا — اجزاء من ١ — ٤ القاهرة ١٩٢٨ م .

١٩ — **الاشـعرى** : — أبو الحسن على بن اسـماعيل : مقـالات الاسلاميين واختلاف المصلين اجزاء ١ — ٢ اسنميول ١٩٢٠ .

٢٠ — **ابن حـزم** : — الفصل فى الملل والنحل اجزاء ١ — ٥ القاهرة ١٢٤٧ .

٢١ — **أبوحيانالتوحيدى** : — الاشاراتالالهية — تحقيق نشر البـدوى القاهرة مطبعـة — جامعة فؤاد الاول جـ٢ ١٩٥٠ .

٢٢ — **أحمدابراهيمالشريف** : — دراسات فى الحضـارات الاسـلامية : (دكتور) دار الفكر العربى (بدون) .
العالم الاسلامى فى العصر العباسى — طبعة ثانية دار الفكر العربى : ١٩٧٣ .

٢٣ — **ابراهيم بسيونى** : — الامام القشيرى : مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٢ .

٢٤ — **أحمد الشرباصى** : — الغزالى والتصوف الاسلامى : دار الهلال .

٢٥ — **أحمد فؤادالاهوانى** : — الكندى فليسوفالعرب : طبعة مصر١٩٦٤م
— التربية الاسلامية (دراسات اسلامية) دار المعارف ١٩٧٥

٢٦ — **أحمد بهجت** : — الله فى العقيدة الاسلامية — المختار الاسلامى فى ٧٧ .
— بحار الصوفية — دار المعارف .

٢٧ — **اسماء فهمى** : — مبادىء التربية الاسلامية — القاهرة(بدون)

٢٨ — **اسماعيل بن كثير** : — تفسير القرآن الكريم جـ ٢ ١٣٦٧ هـ .

٢٩ — **السهروردى** : — كلمة الاشراق طبعة طهران ١٣١٦ هـ .

— هياكل النور : تحقيق دكتور محمد على الوريان ١٩٦٠ .

٣٠ — السلمى : — طبقات الصوفية الخانجى ١٩٥٣ .

٣١ — بهى الدين زيان : — الغزالى ولمحات عن الحياة الفكرية الاسلامية (الكتاب العاشر من سلسلة قادة الفكر فى الغرب) مكتبة النهضة بمصر ١٩٥٨ .

٣٢ — جيد عبد العزيز : — اخوان الصفا — الكتاب رقم ٧ من سلسلة نوابع الفكر العربى طبعة ساسة دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

٣٣ — جولد تسهير : — العقيدة والشريعة فى الاسلام ترجمة محمد يوسف — دار الكتب الحديثة ١٣٧١ .

٣٤ — جلال الدين السيوطى : — الجامع الصغير .
— تأييد الحقيقة .

٣٥ — جمال الدين أبو المذاهب : — قوانين حكم الاشراق .

٣٦ — حسن ابراهيم (دكتور) : — تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى — القاهرة ١٩٤٨ .

٣٧ — حسن عبد العال (دكتور) : — التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى دار الفكر العربى ١٩٧٧ .

٣٨ — الخازن : — لباب التأويل فى معانى التأويل مطبعة مصر ١٣٣١ هـ .

٣٩ — زكى مبارك : — التصوف فى الاسلام — طبعة بيروت (بدون تاريخ) .

٤٠ — فتحية سليمان : — التربية عند الغزالى — دار الفكر العربى

٤١ — فوقية حسين (دكتور) : — الامام الجوينى سلسلة اعلام العرب ١٩٦٥

٤٢ — سعيد عبد الفتاح (دكتور) : — المدينة الاسلامية وأثرها فى الحضارة الاوربية طبعة أولى دار النهضة العربية ١٩٦٣ .

٤٣ — سعاد باهر : — الازهر وأثره وثقافة — المجلس الاعلى للبحوث الاسلامية — وزارة الاوقاف ١٩٥٨ .

٤٤ — سيد قطب : — العدالة الاجتماعية فى الاسلام دار ١٩٧١
— السلام العالمى والاسلام دار ١٩٧٤
— ظلال القرآن من ١ — ١٨ دار ١٩٧٧

— مشاهير القيامة فى القرآن دار المعارف١٩٧٩

٤٥ — طه الراوى : — بغداد مدينة السلام : دار المعارف ١٩٤٥ .

٤٦ — عائشةعبدالرحمن : — القرآن وقضتيا الانسان — دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٢ .

٤٧ —(دكتورة)بنت الشاطىء : — تحقيق رسالة الغفران للمصرى دارالمعارف ١٩٦٠ .

٤٨ — عبدالحكيم عبدالغنى قاسم : — الايديولوجيا والتربية بين المسيحية والاسلام: دار الفكر العربى (القاهرة) .

٤٩ — على سامى النشار : — مناهج البحث عند مفكرى الاسلام دار الفكر العربى ١٩٤٢ .

(دكتور) — نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام : اجزاء من ١ — ٤ دار المعارف .

٥٠ — عثمان أمين (دكتور) : — الرواتية (تاريخ وفلسفة الرواتين) .

٥١ — عبد الرحمن بدوى : — الاراء الطبيعية دار المعارف
— رابعة العدوية دار النهضة المصرية (بدون)
— افلوطين عند العرب ١٩٥٥ .

٥٢ — عبدالكريم الجيلى : — الانسان الكامل فى معرفة الاوائل والاواخر— اجزاء ١ — ٢ طبعة ١٨٨٦ القاهرة .

٥٣ — عبد الوهاب عزام : — التصوف وفريد الدين العطـــار الحلبى — القاهرة ١٩٤٣ م .
— من اقبال سيرته دار القلم ١٩٥٤ .

٥٤ — عباس العقاد : — الشيخ الرئيس ابن سينا دار المعارف ٦٧
— الفلسفة القرآنية دار الاسلام (بدون) .
— الله مطابع الاهرام التجارية ٧٢ .
— حقـــائق الاســـلام واباطيل خصـــومه دار الاسلام ٥٧ .
— التفكير فريضة اسلامية دار الهلال (بدون)

٥٥ — عبدالقادر الجيلانى: — القبــة
— الفتح الربانى والفيض الرحمانى
— فتوح الغيث

٥٦ — عبدالمجيد النقشبندى: — الانوار القديسية تحقيق وتقديم محمد الرخاوى

٥٧ — عبد الحليم محمود : — والمدرسة الشــاذلية وامامها أبو الحسن

الشاذلى) دارالكتاب الحديث ج ٢ (بدون)
— القرآن والنبى — دار المعارف (بدون)
— عبد السلام بن بشيش — دار الشعب(بدون)

٥٨ — **عبد الرؤوف المناوى**: — الكواكب الدر .

٥٩ — **عبدالعزيز الدباغ** : — الابريز .

٦٠ — **عبد الفتاح بركة** : — الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية .
(دكتور)

٦١ — **عبدالعزيز عبدالمجيد**: — التربية فى السودان .

٦٢ — **عمر فروخ** : — تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون
دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٢ .

٦٣ — **عبد الغنى عبود** : — الاسلام والكون دار الفكر العربى ١٩٧٧ .
(دكتور) : — الانسان فى الاسلام دار الفكر العربى ١٩٧٨
— اليوم الآخر دار الفكر العربى ١٩٧٨
— الاسرة المسلمة دار الفكر العربى ١٩٧٨
— فى التربية الاسلامية دار الفكر العربى ١٩٧٧
— الله والانسان دار الفكر العربى ١٩٧٧

٦٤ — **عبدالكريم الخطيب**: — الله والانسان دار الفكر العربى ١٩٧١
— الله ذاتا وموضوعا دار الفكر العربى ١٩٧١

٦٥ — **عبد الرحمن عميره** : — الفلسفة الاسلامية بين التقليد والابتكار
(بدون) .

٦٦ — **محمد الصاوى** : — الموسوعة فى سماحة الاسلام سجل العرب
١٩٧٢ .

٦٧ — **محمد أسعد طنطاوى**: — رسالة المسجد والامام المجلس الاعلى
للشئون الاسلامية ١٩٧٤

٦٨ — **محمد اسماعيل ابراهيم**: — القرآن واعجازه العلمى دار الفكر العربى
١٩٧٧ .

٦٩ — **محمد حسنين مخلوف**: — حكم الاسلام فى التوسل بالانبياء والاولياء .

٧٠ — **محمد على أبوريان** : — اصول الفلسفة الاشرافية ١٩٥٩
(دكتور)

٧١ — **محمد غلاب** : — هذا هو الاسلام .
(دكتور)

٧٢ — **محمد قاسم (دكتور)** : — فى النفس والعقل ١٩٤٩ .
— مناهج الادلة فى عقائد اهل الله ١٩٥٦
— الفليسوف المفترى عليه ابن الرشد ١٩٥٦ .

٧٣ — **محمد الخضيرى** : — المعانى الافلاطونية عند المعتزلة مايو ١٩٦٢

٧٤ — **محمد أبو زهرة** : — محمد رسول الله ج ٢ دار الفكر العربى١٩٧٧
— الامام أبو حنيفة دار الفكر العربى ١٩٧٦
— الامام أبو حنبل دار الفكر العربى ١٩٧٧
— الامام الشافعى دار الفكر العربى ١٩٧٧
— الامام مالك دار الفكر العربى ١٩٧٧

٧٥ — **محمد أبو الفيض المنوفى** : — جهرة الاولياء فى اعلام التصوف طبعة مصر ١٣٨٧ هـ .

٧٦ — **محمد الدسوقى** : — الاجتهاد فى الفقه الاسلامى : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٩٧٣ .

٧٧ — **محمد جمال الدين** : — الله والكون : الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٦ .

٧٨ — **محمد جواد رضا (دكتور)** : — العرب والتربية والحضارة المنهل الكويت ١٩٦٩ .
— مصدر المعرفة عند الامام الغزالى المنهل الكويت ١٩٧٨ .
— الفكر التربوى الاسلامى .
(مقدمة فى أصول الاجتماع والفعلانية دار الفكر العربى (بدون) .

٧٩ — **محمد جلال أشرف** : — التصوف فى مدرسة بغداد المعارف ١٩٧٥
— الله والعالم والانسان المعارف ١٩٧٥ .

٨٠ — **محمدعزتاسماعيل الطوطاوى**: — النصرانية والاسلام دار الانصار (بدون)

٨١ — **محمدعبدالله عثمان**: — تاريخ جامعة الازهر لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٢ .

٨٢ — **محمد عبد الرحيم** : — الجامعات الاسلامية الكبرى ١٩٥٣ دار الطباعة العربية .

٨٣ — **محمدعطيةالابراشى**: — التربية الاسلامية وفلاسفتها : الحلبى القاهرة ١٩٦٠ .

٨٤ — **محمدفاضل الجمالى**: — نحو توحيد الفكر التربوى الاسلامى — تونس ١٩٧٢ .

٨٥ — **محمد غـــلاب** : — المعرفة عند مفكرى المسلمين الدار المصرية لتأليف والترجمة ١٩٦٩ .

٨٦ — **محمدمصطفى حلمى**: — الحياة الروحية فى الاسلام دار النهضـــة **(دكتور)** (بدون تاريخ) .

٨٧ — **مدكور ابراهيم** : — الفلسفة الاسلامية (منهج وتطبيق دار أحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٤٧ .

٨٨ — **مصطفى جواد** : — عصر الغزالى — المجلس الاعلى ١٩٦١ . **(دكتور)**

٨٩ — **محمد فؤاد شاكر** : — السنوسى الكبير .

٩٠ — **مصطفى محمود** : — الماركسية والاسلام — دار المعارف القاهرة ١٩٧٥ .

٩١ — **مناع القطان** : — مباحث فى علم القرآن — طبعة من دراسات الشئون الاسلامية ١٩٧٧ .

٩٢ — **محمد عوض** : — السودان وادى النيل **(دكتور)**

٩٣ — **محمديوسف حموده**: — الصوفية وأثرها فى الدعوة الى الله تعـــالى رسالة ماجستير كلية أصول الدين — جامعة الازهر — تحت اشراف دكتور/احمد احمـــد عليش وكيل كلية الدعوة الاسلامية .

٩٤ — **نيكســـون** : — فى التصوف الاســـلامى وتاريخه : ترجمـــة دكتور/أبو العلا عفيفى — طبعة مصر ١٣٨٨

٩٥ — **وائل عثمان** : — حزب الله فى مواجهة حزب الشيطان تقديم فضيلة الشيخ محمـــد متولى الشعراوى — طبعة ثانية نهضة مصر ١٩٧٥ .

٩٦ — **وحيد الدين خان** : — الاسلام يتحدى (تقديم دكتور شاهين)المختار (بدون) .

٩٧ — **هانى عبدالرحمن صالح**: — الخصائص العامة للاسلام — وهبه١٩٧٧

٩٨ — **وليم بجلى** : — تربية المعلمين — ترجمة الاستاذ/عبدالعزيز احمة مطبعة العصرية بمصر ١٩٤٥

٩٩ — **هيوبرت همفرى** : —فى سبيل البشرية ترجمة أحمد شناوى مكتبة الوعى العربى ١٩٦٤ .

١٠٠ — **هيوسيتونواطسون**: — ثورة العصر — بحث فى فلسفة السياسة والاجتماع — الكتاب الاول من سلسلة (كتب القاموس) ترجمة محمد رفعت — مكتبة الانجلو المصرية (بدون تاريخ) .

١٠١ — **والدمار كمفرت** : — فتوحات علمية — ترجمة يوسف مصطفى الحارونى مراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل — مؤسسة سجل العرب ١٩٦٤ .

١٠٢ — **وليم كلياتريك** : — المدينة المبعثرة والتربية — ترجمة دكتور عبد الحميد السيد واخرين — مكتبة مصر ١٩٥٨ .

١٠٣ — **ايفلين ديوى** : — مدارس المستقبل — ترجمة عبد الفتاح المنياوى مكتبة النهضة المصرية (بدون) .

١٠٤ — **يوسف كرم** : — تاريخ الفلسفة اليونانية القاهرة ١٩٤٣
— تاريخ الفلسفة فى العصور الوسطى دار الكتاب ١٩٤٦
— تاريخ الفلسفة الحديثة المعارف ١٩٥٧ .

المصـــادر الأجنبيـــة

1) Arnold Sir Thomas W.

2) The Preaching of Islam 3d-edition, ed, Reynold A-Nicholson, -- (London, 1935).

3) « Arabi Before Muhammad » -- (London, 1927).

4) Literary History of Persia — From, the Earliest Times Until Firdawsi.

5) Mohammad and the Rise of Islam. 3rd, ed. — (London, 1932).

6) History of Egypt under Roman Rule — (London, 1913).

7) De Gaury Gerald : Rulers of Mecca, London, Gearge G. Harrap & Co. Ltd.

8) Muir Sir William : Ihedaliphate 1925.

9) Heyd : Pistoire du Commerce de Lvanet au Moyenage 2 Vol. Leipzig -- 1885-1886.

10) Levy : The Social Structure of Islame.

11) Gaulhier : introduction à l'étude de la Philosophie Musulmane.

12) Munk : Melanges de Philosophie arab et juive.

13) Brehier : Histore de Philosphie T.I.

14) Leclere L'histoire de la medecine arabe.

15) Asin Palacios : Sens de moi, Tchafot dans les oeuvers d'Elghazali.

16) Report of the Conferene on christian Education, in changing Africa, OUP 1963.

17) Final Report of the Conference of African States on the Development of Education in Africa ECA UNESCO, 1961.

18) Hailey lord : An African Survey Univ. Press, 1936.

19) Makulu, H.F. Education, Development and Nation Building in Independen, Africa SCM Freas, London, 1971.

20) Outline of a Plan For African Educational, Development UNESCO, Paris 1961.

21) An Historical Inquiry Concerning the origin and Develcpmnt of Sufism Journal PF, the Royal Asiatic Society : 1906, P. 203-248.

22) Asceticism (Muslim) Ency of Religion and Elhics, Vol. 2, 1909, 2nd ed., 1930, P. 99-105.

23) « SUFIS » Ency of Religion and Ethics, 1921, 2nd. ed., 1934. Vol. 12.

24) « The Goal of Mohammmedan Mysticism » Journal of the Royal Astatic Society, Jan., 1913.

25) « The idea of Personality In Sufism » Cambridge University Press, 1923.

محتويات الكتاب

الموضـــــوع رقم الصفحة

الموضـــوع رقم الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٧٣٣٩

رقم الايداع الدولى x — ١٠٦ — ١٣٣ — ٩٧٧

مطـــابع الدار البيضاء

١٨ ش مستشفى الدمرداش

القاهرة — العباسية — تليفون ٢٨٢٥٠٤٦

فى هذا الكتاب يقدم الأستاذ « عبد الحكيم عبد الغنى » أشهر المدارس الصوفية التى ظهرت فى العالم الاسلامى منذ القرن السادس الهجرى ومن أشهرها :

* مدرستى مكة والمدينة : شهدتا الأحداث الدامية التى مرت على على العالم الاسلامى منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان •

* المدرسة العدوية : مدرسة سيدة الحب الالهى « رابعة العدوية »•

* المدرسة البغدادية : مقرها « بغداد » وهى امتداد للمدرسة العدوية ومذهبها الحب ممتزجا بالولاية •

* المدرسة الكوفية : ومؤسسها أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو « سليمان الفارسى » وقد اتخذت الكتاب والسنة منهجا لها •

* المدرسة البصرية : مؤسسها « حسن البصرى » امام الصوفية ومذهبها الخوف من الله •

* المدرسة الرفاعية : صاحبها الامام أحمد الرفاعى ومنهجها الكتاب والسنة ومذهبها العمل •

* المدرسة البدوية : مؤسسها الامام « السيد أحمد البدوى » ومذهبها الدعوة والجهاد فى سبيل الله •

* المدرسة القنائية : أقامها سيدى عبدالرحيم القنائى بمحافظة قنا•

* المدرسة الشاذلية : مؤسسها أبو الحسن على حسن الشاذلى •
وهناك العديد من المدارس فى العالم الاسلامى •

مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ت : ٧٥٦٤٢١

طبع بالمطبعة الفنية ـ ت : ٣٩١١٨٦٢